تفسير سورة الفاتحة من تفسير السعدي

{بِسْمِ اللهِ} أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ {اسم} مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى.

{اللهِ} هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال.

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات. فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتّصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ} هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه. {رَبِّ الْعَالَمِينَ} الرب، هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

فدل قوله {رَبِّ الْعَالَمِينَ} على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.

كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدّم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

و {العبادة} اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. و {الاستعانة} هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر {الاستعانة} بعد {العبادة} مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي.

ثم قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.

وهذا الصراط المستقيم هو: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. {غَيْرِ} صراط {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم. وغير صراط {الضَّالِّينَ} الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم.

فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن:

فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} .

وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: {اللهِ} ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ {الْحَمْدُ} كما تقدم.

وتضمنت إثبات النبوة في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فالحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الفاتحة

الكلمة	المعنى
بسم الله	أبتدئ بكل اسم لله تعالى
الرحمن	ذو الرحمة الواسعة
الرحيم	ذو الرحمة الواصلة للخلق
الحمد لله	الثناء على الله مع المحبة والتعظيم
رب العالمين	مربيهم بالخلق والرزق والتدبير والإنعام
يوم الدين	يوم الجزاء والحساب
نستعين	الاستعانة: طلب العون من الله في الوصول إلى المقصود
اهدنا	دلّنا وأرشدنا وثبّتنا
الصراط المستقيم	الطريق الذي لا عِوج فيه، وهو الإسلام
الذين أنعمتَ عليهم	الذين أكرمتهم بالهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
المغضوب عليهم	الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به كاليهود
الضالّين	الذين عبدوا الله على جهل كالنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الفاتحة

حمدا لك اللهم، وصلاة وسلاما على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

السلام عليكم ورحمة لله وبركاته، وحياكم الله أيها المباركون في هذه الوقفات مع الوقف والابتداء في سورة الفاتحة.

أول المسائل التي تواجهنا في هذه السورة من حيث الوقف والابتداء هي مسألة: هل يُشرع الوقوف على رؤوس الآيات أولا ؟

الصحيح أنه يشرع الوقوف على رؤوس الآيات، لأن السنة وردت بذلك، فقد ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول صلى الله عليه وسلم فقالت: كان يقطّع قراءته آيةً آيةً، حتى ذكرت تطبيق ذلك فقالت: كان يقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف (الرحمن الرحيم) ثم يقف (مالك يوم الدين) ثم يقف وهكذا، وهذا هو الذي تلقته الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقطع قراءته فتلقوا عنه هذه الفواصل على رؤوس الآيات.

لذلك نص العلماء على أن رؤوس الآيات توقيفية، بمعنى أنها مأخوذةٌ من النبي صلى الله عليه وسلم لا مجال للاجتهاد فيها، وما حصل من خلافٍ في بعض المواضع هل هو رأس آيةٍ أو لا له تفصيلٌ ذكره بعض أئمة الإقراء، خلاصته أنه قد يكون ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الموضع الواحد أنه وقف مرةً ووصل أخرى، ووجّهوا ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم يكون وقف أولاً لبيان أنها رأس آية، ثم وصل لارتباط الجملة بما بعدها، والله أعلم.

ونحن نتكلم عن هذه المسألة، فالمقصود الأول منها هو ما إذا كان رأس الآية متصلاً بما بعدها لفظًا ومعنًى، فإذا كان متصلاً بما بعدها لفظًا ومعنًى كما عندنا هنا في سورة الفاتحة، فهنا وقع الخلاف بين الأئمة ما الذي يقدَّم؟ فمنهم من يقول: إن الوقف على رؤوس الآيات كالوقف على غيرها، وبالتالي إذا كان رأس الآية ينتهي بمعنًى تامٍ وقفنا عليه، فإن لم ينته بمعنًى تامٍ لا نقف عليه بل نصله بما بعده، وآخرون قالوا: بل رؤوس الآيات مقاطع مقصودةٌ للشارع، فلا بد من الوقف عليها على جميع الأحوال ولو اتصلت بما بعدها لفظًا ومعنًى، كما عندنا في بداية سورة الفاتحة: **(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ)** فهذا متصلٌ بالآية الأولى لفظًا ومعنًى، فـ (الرحمن) صفة لله و (الرحيم) صفة و(مالك يوم الدين) أيضًا صفة، فكلها مجرورة لأنها صفاتٍ لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، أربع صفاتٍ لله سبحانه وتعالى، فهذا كله متصل وإن كان في ثلاث آيات.

فأصحاب القول الأول يقولون: لا نقف بل نصله كله إلى أن نصل إلى (مالك يوم الدين)، وأصحاب القول الثاني يقولون: بل نقف لأن رؤوس الآيات مقصودةٌ في نظم القرآن، وتوسّط علماء آخرون فقالوا: يوقف على رؤوس الآيات إن لم يكن هناك ارتباطٌ لفظيٌّ بينها وبين ما بعدها، فإن كان هناك ارتباطٌ لفظيٌّ كما عندنا هنا، فإننا نقف أولاً على رؤوس الآيات عملاً بالسنة، ثم نعود فنصل آخر الآية بالآية التي بعدها.

يعني على مذهبهم نقول (الحمد لله رب العالمين) نقف ثم نعود ونقول (رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) أو(الرحمن الرحيم) ونقف ثم نعود ونقول (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) وهكذا، فهم يريدون الجمع بين القولين، بين العمل بالسنة وارتباط المعنى، لأن ارتباط المعنى أيضًا مقصودٌ في نَظم القرآن وهو جزءٌ من إعجاز القرآن.

ولابن عاشور رحمه الله كلامٌ جيدٌ في هذه المسألة في مقدمة تفسيره، فهو يقول: وكان من جملة طُرق الإعجاز ما يرجع إلى محسّنات الكلام من فن البديع، ومن ذلك فواصل الآيات وهي مرادةٌ في نظم القرآن لا محالة، فكان عدم الوقف عليها تفريطًا في الغرض المقصود منها، إلى إن قال: فكان الاعتبار بفواصله التي هي مقاطع آياته عندهم أهم، لأن عجز قادتهم وأولي البلاغة والرأي منهم تقوم به الحجة عليهم وعلى دهمائهم. ا.هـ.، يعني أن هذا جزءٌ من إعجاز القرآن الذي يبين إعجازه، والذي عجز العرب أن يأتوا بمثله.

ولعل الأقرب والعلم عند الله أن نقول: أن الوقف على رؤوس الآيات مطلقًا سنةٌ متبعةٌ، والله تعالى أعلم.

بناءً على هذه المقدمة نأتي الآن على تطبيق هذا على سورة الفاتحة.

أولاً: نعلم أن عدد آيات سورة الفاتحة سبع آيات، (هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) كما جاء في الحديث، وكما قال الله: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ)، فأجمع العلماء على أن سورة الفاتحة سبع آيات، لكنهم اختلفوا في عدّها، فالكوفيون عدّوا البسملة آية من سورة الفاتحة، وبناءً عليه عندهم البسملة آية بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ آية ثم الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ آية ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ آية مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ آية إِيَّا كَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ آية ٱهْدِنَا ٱلصِّرَ ٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ آية ثم صِرَ ٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ آيةٌ واحدةٌ، فهذه هي السبع في عد الكوفيين، بينما غيرهم من البصريين والمدنيين لم يعدوا البسملة آية، وبناء على قولهم صِرَ ٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ رأس آية غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ آية، وحفصٌ عن عاصمٍ هم من الكوفيين الذين يعدون البسملة آية.

نأتي الآن إلى التطبيق، نقول: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** رأس آية فيسن الوقف عليه، وإن اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى، **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** صفةٌ لرب العالمين فهو متصلٌ لكن نقول نقف من باب أنه رأس آية، **الرَّحْمَنِ الرَّحِيم** نقف لأنه رأس آية وإن اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى، لأن مالك صفة لها فيوقف عليها، **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** وقفٌ صحيحٌ بالاتفاق، لأن (إياك) جملةٌ مبتدأةٌ ليست مرتبطة بما قبلها فيصح الوقف عليها من الوجهين، من وجه كونها رأس آية، ومن وجه أنه تم الكلام عليها وابتدأ بكلامٍ جديدٍ، **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** (إياك نعبد) لا يصح الوقف عليها، لأن الواو بعدها واو عطف فهي جملتان معطوفتان.

وسيأتي الكلام على عطف الجمل تفصيلا بإذن الله في حلقاتٍ قادمةٍ، لأنها من المسائل التي فيها نقاشٌ طويلٌ، لكن الأحوط فيها والأفضل والأسلم والأيسر أننا لا نفصل المعطوفات عن بعضها ولو كانت جملاً .

طيب إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أيضًا وقفٌ صحيحٌ، ثم يأتي اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وقفٌ صحيحٌ أو لا؟ وقف صحيح لأنه رأس آية وإن كان متصلا بما بعده لأن (صراط) التي بعدها بدلٌ منها، ثم قال: (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**) هنا وقع خلافٌ بين الكوفيين من جهة وبين البصريين والمدنيين من جهةٍ أخرى، فالكوفيون ومنهم قراءة حفصٍ عن عاصمٍ التي نقرأ بها غالبًا لا يرونها رأس آية، وبالتالي ليس عندهم هنا وقفٌ، لأن الجملة لم تتمّ، وبناءً عليه لا بد أن يقرأ القارئ (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) كاملةً بدون وقف فيها كاملةً لمن يقرأ بقراءة حفصٍ، أما على قراءة البصريين والمدنيين وغيرهم فيصح الوقف لأنها رأس آية، يصح أن نقف صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ).

ويدل للوقف الذي اعتبرناه وقفًا متفقًا عليه في هذه السورة، وهي ثلاثة مواضع: الموضع الأول: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لأن بعدها جملة جديدة، والثاني: إ(يَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لأن بعدها جملةٌ مستأنفةٌ، ونهاية السورة.

يدل على هذه الثلاث آيات حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قالَ : (الحمدُ للهِ ربِّ العالمين) قالَ اللهُ : حمِدني عبدي ، فإذا قالَ: (الرحمنِ الرحيمِ) قالَ اللهُ : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قال: مجّدني عبدي، ثم قال: هذا بيني وبين عبدي، لما يقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بمعنى الثناء على الله سبحانه وتعالى من الحمد والثناء والتمجيد انتهى عند قوله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، ثم جاءت الآية المتوسطة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بينه وبين حق الله سبحانه وتعالى وبينه وبين ما يقوم به العبد تجاه ربه سبحانه وتعالى، ثم قال: ولعبدي ما سأل، ثم يبدأ سؤال العبد في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

فهذا يبين أن الوقف على مالك يوم الدين، وإياك نستعين، ولا الضالين، هذه الثلاث الأوقاف متفقٌ عليها وهي تامةٌ يصح الوقف عليها على جميع الأقوال والأوجه.

في ختام هذا المقطع أود أن أنبه إلى أن معرفة رؤوس الآيات مهمةٌ لقارئ القرآن، كما ذكرنا الآن هنا، لأنها أمرٌ توقيفيٌّ أُخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيستفيد منه القارئ في معرفة أين يقف حتى لو اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى. والخطأ في هذا يكثر في السور التي فيها آياتٌ قصيرةٌ، كالصافات والشعراء وكثيرٌ من قصار المفصل وما شابه ذلك، فينبغي العناية بذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفهم كتابه وتدبره والعمل به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضائل ولطائف سورة الفاتحة

أولا: فضائل سورة الفاتحة:

عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: " ألم يقل الله: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} [الأنفال: ٢٤]. ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: {الحمد لله رب العالمين} [الفاتحة: ٢] «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». صحيح البخاري (٦/ ١٧)

عن ابن عباس، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: " هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته". صحيح مسلم (١/ ٥٥٤)

عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية»، ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهما» وفي لفظ: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري (٣/ ٩٢) ومسلم.

في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وقرأ عليه أبيٌّ أم القرآن، فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت». أخرجه الترمذي (٥/ ٥) وأحمد (١٤/ ٣١٠).

ثانيًا: لطائف سورة الفاتحة:

ولهذا قال من قال من السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله إياك نعبد وإياك نستعين. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٨).

وقال ابن تيمية: الحمد لله أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قوله في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفى كل أمر ذي بال. والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود، مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه، مع البغض له. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣١٢).

وقال: فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها بالتحميد، وإذا رفعوا رءوسهم من الركوع يقول: إمامهم سمع الله لمن حمده، ويقولون: جميعا ربنا ولك الحمد، ويختمون صلاتهم بتحميد، بجعل التحيات له والصلوات والطيبات. وأنواع تحميدهم لله مما يطول وصفه. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٧١)

وقال ابن تيمية: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.
وقال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تدفع الرياء، و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تدفع الكبرياء. المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٧٥)

وقال ابن تيمية: ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة.
لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب. ليس كما يقوله طائفة من المفسرين: إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى؟ وأن المراد بسؤال الهدى: الثبات، أو مزيد الهداية. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣٢٠).

وقال ابن تيمية: كل مخلوق فهو محتاج إلى الله مفتقر إليه، والحاجة والفقر للمخلوق وصف لازم، لا يفارقه لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل العبد محتاج إلى الله من جهة ألوهيته ومن جهة ربوبيته، فهو محتاج إلى أن يعبد الله لا يعبد غيره، ومحتاج إلى أن يستعين بالله لا يستعين بغيره، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، فإن لم يعبده بل عبدَ غيرَه أو أعرضَ عن العبادة خَسِرَ الدنيا والآخرة. جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٢٨٥)

وقال ابن القيم: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاء وفاقا {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} . مدارج السالكين (١/ ٣٣).

وقال ابن القيم: قوله {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين} يتضمن الأصل الأول وهو معرفة الرب تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى وهي اسم الله والرب والرحمن فاسم الله متضمن لصفات الألوهية واسم الرب متضمن الربوبية واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر ومعاني أسمائه تدور لى هذا وقوله {إياك نعبد وإياك نستعين} يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه واستعانته على عبادته وقوله {اهدنا الصراط المستقيم} يتضمن بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له كما لا سبيل له إلى عبادته بمعونته فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته وقوله {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل

فأول السورة رحمة وأوسطها هداية وآخرها نعمة وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية وحظه منها على قدر حظه من الرحمة فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته فلا يكون إلا رحيما منعما وذلك من موجبات الهيته فهو الإله الحق وإن جحده الجاحدون وعدل به المشركون فمن تحقق بمعاني الفاتحة علما ومعرفة وعملا وحالا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين والله المستعان.
الفوائد لابن القيم (ص: ١٩)

وقال ابن القيم: ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن، فمن أعطى الفاتحة حقها - علما وشهودا وحالا معرفة - علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح، فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني غي ينافي قصده وإرادته، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولا وآخرا. مدارج السالكين (١/ ١٩٧)

وقال ابن القيم: ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرا عجيبا في الشفاء.
ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، وكان كثير منهم يبرأ سريعا. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٩)

وقال ابن القيم: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع. زاد المعاد (٤/ ١٦٤).

وقال ابن عثيمين: بلاغة القرآن، حيث حذف حرف الجر من {اهدنا} ؛ والفائدة من ذلك: لأجل أن تتضمن طلب الهداية: التي هي هداية العلم، وهداية التوفيق؛ لأن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية علم، وإرشاد؛ وهداية توفيق، وعمل؛ فالأولى ليس فيها إلا مجرد الدلالة؛ والله عزّ وجلّ قد هدى بهذا المعنى جميع الناس، كما في قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدًى للناس} ؛ والثانية فيها التوفيق للهدى، واتباع الشريعة، كما في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين} وهذه قد يحرمها بعض الناس، كما قال تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى} : {فهديناهم} أي بيّنّا لهم الحق، ودَلَلْناهم عليه؛ ولكنهم لم يوفقوا... تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (١/ ١٦).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فوائد سورة الفاتحة

١ إثبات الحمد الكامل لله عزّ وجلّ، وذلك مأخوذ من "أل" في قوله تعالى: {الحمد} ؛ لأنها دالة على الاستغراق. واللام في {لله} وهي للاختصاص والاستحقاق، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه ما يسره قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"؛ وإذا أصابه خلاف ذلك قال: "الحمد لله على كل حال"...

والله تعالى يحب الحمد، فلذا حمد تعالى نفسه وأمر عباده به. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى وذلك أنه حمد نفسه". أخرجه الطبراني بهذا اللفظ. ولفظ البخاري. " ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه".

والحمد يكون لمقتضٍ. وإلا فهو باطل وزور، فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه رب العالمين والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين. "كأنه سبحانه يقول يا عبادي إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي فاحمدوني فإني أنا الله وإن كان للإحسان والتربية والانعام فإني أنا رب العالمين وإن كان للرجاء والطمع في المستقبل فإني أنا الرحمن الرحيم وإن كان للخوف فإني أنا مالك يوم الدين". تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٨٨)

٢ تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؛ وهذا إما لأن "الله" هو الاسم العَلَم الخاص به، والذي تتبعه جميع الأسماء؛ وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الألوهية فقط. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٠).

٣ عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالم؛ لقوله تعالى: (العالمين..) وهذه الربوبية مبنية على الرحمة الواسعة للخلق الواصلة؛ لأنه تعالى لما قال: {رب العالمين} كأن سائلاً يسأل: "ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ، وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟ " قال تعالى: {الرحمن الرحيم}. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١١).

٤ إثبات هذين الاسمين الكريمين. {الرحمن الرحيم} لله عزّ وجلّ؛ وإثبات ما تضمناه من الرحمة التي هي الوصف، ومن الرحمة التي هي الفعل.. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١١).

فالله رحيم بعباده لطيف بهم، بل هو خير الراحمين وأرحم الراحمين، اقرأ في القرآن: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار...) (فانظر إلى آثار رحمة الله...) ، وهذه الرحمة واسعة (ورحمتي وسعت كل شيء) فسل الله من رحمته كل حين وآن...

٥ إثبات ملك الله عزّ وجلّ (قل اللهم مالك الملك...)، وظهور ملكوته يوم الدين؛ لأن في ذلك اليوم تتلاشى جميع الملكيات، والملوك (لمن الملك اليوم...). ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٢).

٦ إثبات البعث، والجزاء؛ لقوله تعالى: (مالك يوم الدين) وفيه حث الإنسان على أن يعمل لذلك اليوم الذي يُدان فيه العاملون. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٣).

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت...)، (إن الله لا يظلم مثقال ذرة...) (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)

٧ إخلاص العبادة والاستعانة لله؛ لقوله تعالى: {إياك نعبد} ؛ حيث قدم المعمول فيهما، وبدون الإخلاص يصير العمل نقمة، ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٤).

(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل...) (أنا أغنى الشركاء عن الشرك...) حديث أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة

٨ لا بد في العبادة من إخلاص؛ يدل عليه قوله تعالى: {إياك نعبد} ؛ ومن استعانة يتقوى بها على العبادة؛ يدل عليه قوله تعالى: {وإياك نستعين}؛ ومن اتباع للشريعة؛ يدل عليه قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} ؛ لأن {الصراط المستقيم} هو الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٦).

٩ تعليم آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده. وزادت السنة الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له. أيسر التفاسير (١/ ١٤).

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في الصلاة، ولم يذكر الله عز وجل، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجل هذا " ثم دعاه فقال له ولغيره: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بعد بما شاء. مسند أحمد (٣٩/ ٣٦٣) وأبو داود (٢/ ٧٧) والترمذي (٥/ ٣٩٤) وغيرهم.

١٠ أن الصراط ينقسم إلى قسمين: مستقيم، ومعوج؛ فما كان موافقـاً للحق فهو مستقيم، كما قال الله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه} [الأنعام: ١٥٣] ؛ وما كان مخالفـاً له فهو معوج. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٧).

والصراط المستقيم واحد، وطرق الضلال كثيرة، فعن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطا بيده، ثم قال: " هذا سبيل الله مستقيما "، قال: ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: " هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) مسند أحمد (٧/ ٤٣٦).

١١ انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ وقسم مغضوب عليهم؛ وقسم ضالون.. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ١٩).

وهذا يتضمن طلب حسن القدوة والترغيب في سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين.

وأسباب الخروج عن الصراط المستقيم: إما الجهل؛ أو العناد؛ والذين سببُ خروجهم العناد هم المغضوب عليهم. وعلى رأسهم اليهود؛ والآخرون الذين سبب خروجهم الجهل كل من لا يعلم الحق. وعلى رأسهم النصارى؛ وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة. أعني النصارى؛ أما بعد البعثة فقد علموا الحق، وخالفوه؛ فصاروا هم، واليهود سواءً. كلهم مغضوب عليهم.. ابن عثيمين – تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠).

١٢ إسناد النعمة إلى الله تعالى وحده في هداية الذين أنعم عليهم؛ لأنها فضل محض من الله.. (الحمد لله الذي هدانا لهذا...)،

ولهذا كان أعظم الدعاء طلب الهداية إلى الصراط المستقيم

قال ابن تيمية: الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هدي كان من المتقين {ومن يتق الله يجعل له مخرجا} {ويرزقه من حيث لا يحتسب} مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٩).

وقال ابن القيم: لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء. مدارج السالكين (١/ ٤٧).

وهنا وقفة: لماذا أراد الله منا أن نطلبه الهداية في كل صلاة؟

لأن الهداية عزيزة – والوصول إلى تفاصيلها عزيز – والثبات عليها عزيز خاصة في زماننا الذي يصبح الرجل فيه مؤمنا ويمسي كافرا ، ولو دعونا هذا الدعاء في كل صلاة لتحققت لنا الهداية الكاملة إلى كل تفاصيل الدين علما وعملا

ومن أكثر الأدعية في القرآن والسنة طلب الهداية، والثبات عليها، والتعوذ من الضلال والزيغ والفتن.

ربنا لا تزغ قلوبنا – واجنبني وبني أن نعبد – اللهم اهدنا فيمن هديت – أسألك الهدى والسداد – اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك – يا مقلب القلوب ثبت – أسألك الهدى والتقى – التعوذ بالله من الفتن – أعوذ بك أن أضِلّ – التعوذ بالله من الحور بعد الكور. والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الفاتحة

١- داوِم على حمد الله تعالى في كل حين وآن، بل اجعل لسانك رطبا بالحمد، لأن الله هو المستحق للحمد لكونه رب العالمين، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأنه مالك يوم الدين (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين).

٢- الله سبحانه هو رب العالمين، فهو رازقهم ومدبر أمورهم، فسلْه حاجاتك كلها (رب العالمين).

٣- الله سبحانه هو الرحمن الرحيم ، فتعرّض لرحمته بتعاطي أسبابها من الصلاة والدعاء وبر الوالدين والإحسان إلى الضعفاء والفقراء (الرحمن الرحيم).

٤- استعدّ للحساب يوم القيامة بمحاسبة نفسك في الدنيا، ولا تغترّ بما تملك في الدنيا من المال والجاه فكل ذلك زائل (مالك يوم الدين).

٥- أخلِص عبادتك لله وحده لا شريك له، مستحضِرا أنه لا يستحق العبادة إلا هو (إياك نعبد).

٦- كُن مستعينا بالله وحده في أمور دينك ودنياك، متوكّلا عليه وحده في تحقيق جميع حاجاتك، وأهم الحاجات التي تحتاج إلى طلب العون من الله القيام بعبادته على وجهها (وإياك نستعين).

٧- أكثِر من طلب الهداية من الله تعالى، وألحّ عليه في ذلك، حتى تنجو من فتن الشبهات والشهوات التي أحاطت بك من كل جانب (اهدنا الصراط المستقيم).

٨- تعرّف على سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهدي أصحابه الكرام حتى تقتفي آثارهم في ذلك (صراط الذين أنعمت عليهم).

٩- احذر أن تكون عالِما بحكم من أحكام الشريعة تاركًا للعمل به فتكون من المغضوب عليهم (غير المغضوب عليهم).

١٠- احرِص على طلب العلم في كل شأن من شؤون حياتك، حتى تعبد الله على علم وبصيرة، وتنجو من سبيل الضالين الذين يعبدون الله على جهل، وتسلم من الوقوع في البدع والمحدثات (ولا الضالين).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (١-٧) من تفسير السعدي

تقدم الكلام على البسملة. وأما الحروف المقطعة في أوائل السور، فالأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها [من غير مستند شرعي] ، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها.

وقوله {ذَلِكَ الْكِتَابُ} أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم،

والحق المبين. فـ {لا رَيْبَ فِيهِ} ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب، وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمنا لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه.

فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال {هُدًى} وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم.

وقال في موضع آخر: {هُدًى لِلنَّاسِ} فعمم، وفي هذا الموضع وغيره {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} لأنه في نفسه هدى لجميع الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأسا، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية.

ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية [تامة] .

ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك فقال: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين

بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب، [الإيمان بـ] بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، [وما أخبرت به الرسل من ذلك] فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها.

ثم قال: {وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ} لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها باطنا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها.

ثم قال: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يدخل فيه النفقات الواجبة كالزكاة، والنفقة على الزوجات والأقارب، والمماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي، قربة إلى الله، وأتى بـ"من "الدالة على التبعيض، لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم.

وفي قوله: {رَزَقْنَاهُمْ} إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين.

وكثيرا ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان.

ثم قال: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزلَ إِلَيْكَ} وهو القرآن والسنة، قال تعالى: {وَأَنزلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} فالمتقون يؤمنون بجميع ما جاء به الرسول، ولا يفرقون بين بعض ما أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ولا يؤمنون ببعضه، إما بجحده أو تأويله، على غير مراد الله ورسوله، كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم، بما حاصله عدم التصديق بمعناها، وإن صدقوا بلفظها، فلم يؤمنوا بها إيمانا حقيقيا.

وقوله: {وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ} يشمل الإيمان بالكتب السابقة، ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصا التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم.

ثم قال: {وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} و "الآخرة "اسم لما يكون بعد الموت، وخصه [بالذكر] بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل، و "اليقين "هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

{أُولَئِكَ} أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة {عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية [الحقيقية] إلا هدايتهم، وما سواها [مما خالفها] ، فهو ضلالة.

وأتى بـ "على "في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ "في "كما في قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتَقر.

ثم قال: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} والفلاح [هو] الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك.

فلهذا لما ذكر صفات المؤمنين حقا، ذكر صفات الكفار المظهرين لكفرهم، المعاندين للرسول، فقال:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} .

يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفا لهم لازما، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة، وكأن في هذا قطعا لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنك لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات.

ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ} أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.

{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} أي: غشاء وغطاء وأكنة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وهذا عقاب عاجل.

ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البقرة (١-٧)

الكلمة	المعنى
ذلك الكتاب	إشارة إلى هذا القرآن الكريم
لا ريب فيه	لا شك فيه بوجه من الوجوه
للمتقين	للذين أدّوا الفرائض واجتنبوا المعاصي فجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية
يؤمنون	حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح
بالغيب	بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها
بما أُنزل إليك	بالقرآن والسنة
وبالآخرة	وبكل ما يكون بعد الموت
يوقنون	اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل
ختم الله	طبع الله
غِشاوة	غِطاء وسِتر

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة (١-٧)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فهذه فقرة الوقف والابتداء للآيات السبع الأولى لسورة البقرة وفيها مسائل:

المسألة الأولى: الوقف على قوله تعالى. (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ) هل يوقف على لا ريب أم لا ريب فيه؟ كلا الوجهين جائزان يصح أن تقف على لا ريب ثم تقول فيه هدى للمتقين ويصح أن تقف على لا ريب فيه ثم تقول هدى للمتقين، وهذا عليه عامة من صنف في الوقف والابتداء، وبعض المصاحف وضعت علامة التعانق الدالة على أنه من وقف على أحد الموضعين لا يقف على الموضع الآخر وكلا الموضعين يصح إختيار الوقف على أحدهما فوضعوا ثلاث نقاط على قوله لا ريب وثلاث نقاط على قوله فيه، فإذا وقفت على لا ريب لا تقف على لا ريب فيه، وإذا وقفت على لا ريب فيه لا تقف على ما قبله لا ريب، ثم تكمل هدى للمتقين أو فيه هدى للمتقين، لكن أي الوجهين أولى عند التأمل؟ المعنى لا يكاد يختلف، لكن هنا لطيفة تحتاج إلى أن نتنبه لها وهي إذا وقفنا على لا ريب فيه قلنا هدى للمتقين على إضمار هو هدى للمتقين ففيه إشارة إلى أن القرآن كله هدى، بينما لو وقفنا على لا ريب وقلنا فيه هدى للمتقين في الظرفية قد توهم التبعيض أي أن الهدى فيه في جزء منه أو ما شابه ذلك، أقول: قد توهم هذا ولا يلزم، فبناءً على هذا نقول الأولى دفع الإيهام ونقف على لا ريب فيه، ثم نكمل هدى للمتقين وهو الذي اختارته لجنة المصاحف في النسخ الأخيرة من مصحف المدينة ازالوا علامة التعانق ووضعوا الوقف على لا ريب فيه.

وأحب أن أنبه هنا على أني لا أتعمق في التفاصيل التي يذكرها علماء الوقف والابتداء من كون الوقف أولى أو الوصل أولى أو جائز الطرفين أو لا يصح الوقف إنما أكتفي بـ: هل يصح الوقف أو لا يصح؟ فإن صح صح الابتداء بما بعده، فإن قلنا إنه حسن فمعناه إنه حسن في ذاته ولا يصح الابتداء بما بعده، وإن قلنا لا يصح فالأمر واضح، لا يصح الوقف ولا يصح الابتداء بما بعده، ولا أحب أن أتوغل في الأوجه الإعرابية الجائزة، وهي التي يتكلم عنها المصنفون في الوقف والابتداء كثيرا، يهمني فهم المعنى العام الذي ترتب عليه الوقف.

المسألة الثانية وهي عطف الجمل وقد جاءت معنا هنا كثيرا، لأن الله لما وصف المتقين قال: الذين يؤمنون بالغيب هذه جمله ثم عطف عليها فقال ويقيمون الصلاة جملة ثانيه ثم قال عطفا ومما رزقناهم ينفقون ثم عطف والذين يؤمنون بما أنزل إليك ثم عطف وما أنزل من قبلك ثم عطف وبالآخرة هم يوقنون، هذه المعطوفات على بعضها تتكرر كثيرا في

القرآن، والعطف إما أن يكون عطف كلمة مفردة على كلمة مفردة أو عطف جملة على جملة، والقاعدة العامة في الوقف والابتداء (أن المعطوفات لا يفصل بينها) بمعنى أنها لا بد أن توصل في القراءة، فلا وقف بينها، نستثني من هذه القاعدة أولا رؤوس الآيات، فرؤوس الآيات كما ذكرنا في الدرس السابق هي مقاطع في نفسها ويسن الوقف عليها لأنها رأس آية ولأنها توقيفية فلا نقاش عندنا في قول الله تعالى هنا ومما رزقناهم ينفقون لأنه رأس آية، وإن قلنا أن الواو التي بعدها عاطفة، لكن نأتي إلى ما يتعلق بالمعطوفات قبلها وما بعدها أيضا قال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . هذه المعطوفات كما قلنا الأصل أنه يوصل بينها ولا يفصل، ثم نستحضر أمر آخر وهو أن كل جملة عطفت على ما قبلها واحتاجت إلى إضمار فالعطف وثيق الصلة كما عندنا هنا في قوله تعالى: والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .وما أنزل من قبلك يحتاج إلى إضمار أي ويؤمنون بما أنزل من قبلك فلما احتجنا إلى الإضمار لم يصح الفصل أبدا، واضحة هذه النقطة؟ أعيد: إذا احتاجت الجملة المعطوفة إلى إضمار حتى تصح الجملة فلا يفصل بينها وبين الجملة التي قبلها، مثل: الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، جملة وما أنزل من قبلك لا تقوم لوحدها، إنما تحتاج إلى إضمار، فإذا قال لك إنسان وما أنزل من قبلك ابتداءً لم تفهم المقصود إلا أن يقول ويؤمنون بما أنزل من قبلك، فأضمرنا يؤمنون واضمرنا الباء، هنا نقول أصبح وثيق الصلة فاحتاج للوصل ولم يصح الوقف، لكن إذا لم تحتج الجملة إلى إضمار فهل يصح الوقف أو لا؟ نقول الأمر فيه سعة، فإن وقف فلا حرج، ومثاله عندنا قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .الواو في قوله تعالى وأولئك هم المفلحون واو عطف ومع ذلك صح الوقف قبلها لأنها لم تحتج إلى تقدير، ووضعت علامة الوقف في كثير من المصاحف قبلها سواءً علامة الوصل أولى الذي هو صلى أو غيرها في مصاحف أخرى. والله أعلم

المسألة الثالثة: في الوقف على قول الله تعالى (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ) هل في الآية وقف أو لا؟ نعم في الآية وقف على قوله تعالى: (وعلى سمعهم) والواو التي بعدها واو إستئنافية ابتدائية، وللمعلومية في باب الوقف والابتداء من أهم ما تحتاج أن تنتبه له أنواع الواو، فالواو قد تكون عاطفة وهذا هو الأكثر لكنها قد تأتي أيضا استئنافية بمعنى ابتدائية لجملة جديدة وقد تأتي حالية وقد تأتي بمعنى مع وغير ذلك

(فلا يوقف قبل الواو إلا إذا كانت إستئنافية ابتدائية اما إذا كانت عاطفه أو حاليه أو بمعنى مع أو غير ذلك فإنه لا يوقف قبلها) احفظوا هذه القاعدة جيدا، وستأتينا في تطبيق الوقف والابتداء كثيرا.

طيب نأتي إلى هذه الآية ختم الله على قلوبهم ثم جاءت واو وعلى سمعهم هل هي عاطفه أو استئنافية الجواب هي عاطفه أي ختم الله على قلوبهم وختم على سمعهم ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة الواو هنا هل هي عاطفه أو إستئنافية

الأكثر على أنها استئنافية، وبالتالي يصح الابتداء بها والوقف قبلها، فيقف على ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، ويبتدئ وعلى أبصارهم غشاوة .فالختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار، وإن كان هنا قد قال البعض أن الواو عاطفة وبالتالي يصح الوصل بل الوصل أولى ويكون المعنى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم بغشاوة لكن الأولى هو ما ذكرته قبل ذلك، فيكون الوقف على سمعهم ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾

هذه المواضع التي أحببت التنبيه عليها في هذا اللقاء اسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما وعملا وهدى والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة (١-٧)

أولاً: فضائل سورة البقرة:

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». صحيح مسلم (١/ ٥٣٩)

حدثني أبو أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة. صحيح مسلم (١/ ٥٥٣)

سمعت النواس بن سمعان الكلابي، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما». صحيح مسلم (١/ ٥٥٤).

ثانيا: لطائف سورة البقرة (١–٧)

قال الشنقيطي: صرح في هذه الآية بأن هذا القرآن (هدى للمتقين) ، ويفهم من مفهوم الآية – أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب – أن غير المتقين ليس هذا القرآن هدى لهم، وصرح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) وقوله: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) وقوله: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقوله تعالى: (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) الآيتين. ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص؛ الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام؛ الذي هو إيضاح الحق. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٠)

قال القرطبي: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ حَظُّ الْقَلْبِ. وَإِقَامُ الصَّلَاةِ حَظُّ الْبَدَنِ. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ حَظُّ الْمَالِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ. تفسير القرطبي (١/ ١٧٩)

قال البقاعي: وجه ترتب الإنفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب، لأن الإنسان لما كان لا يطلع على جميع رزقه كان رزقه غيبـًا، فاذا أيقن بالخلف جاد بالعطية، فمتى أمد بالأرزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه وانفتح له باب إمداد برزق أعلى وأكمل من الأول. فاذا أحسن الخلافة فيه بالإنفاق منه أيضـًا انفتح له باب إلى أعلى... نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٨٦)

قال الشنقيطي: قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون) عبر في هذه الآية الكريمة «بمن» التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله. ولم يبين هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه، والذي ينبغي إمساكه. ولكنه بين في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه: هو الزائد على الحاجة وسد الخلة التي لا بد منها، وذلك كقوله: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ، والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات، وهو مذهب الجمهور.....

فإن قيل: هذا الذي قررتم يقتضي أن الإنفاق المحمود هو إنفاق ما زاد على الحاجة الضرورية، مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلى ما أنفقوا، وذلك في قوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)، فالظاهر في الجواب - والله تعالى أعلم - هو ما ذكره بعض العلماء من أن لكل مقام مقالا، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعا. وذلك كما إذا كانت على المنفق نفقات واجبة، كنفقة الزوجات ونحوها فتبرع بالإنفاق في غير واجب، وترك الفرض لقوله صلى الله عليه وسلم: «وابدأ بمن تعول» وكأن يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس فينفق ماله ويرجع إلى الناس يسألهم مالهم، فلا يجوز له ذلك، والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقة واجبة وكان واثقا من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال. وأما على القول بأن قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون) يعني به الزكاة، فالأمر واضح، والعلم عند الله تعالى. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٠)

قال ابن عثيمين: {على هدًى} أي على علم، وتوفيق؛ و {على} للاستعلاء؛ وتفيد علوهم على هذا الهدى، وسيرهم عليه، كأنهم يسيرون على طريق واضح بيّن؛ فليس عندهم شك؛ تجدهم يُقبلون على الأعمال الصالحة وكأن سراجـًا أمامهم يهتدون به: تجدهم مثلاً ينظرون في أسرار شريعة الله، وحِكَمها، فيعلمون منها ما يخفى على كثير من الناس؛ وتجدهم أيضـًا عندما ينظرون إلى القضاء والقدر كأنما يشاهدون الأمر في مصلحتهم حتى وإن أصيبوا بما يضرهم أو يسوءهم، يرون أن ذلك من مصلحتهم؛ لأن الله قد أنار لهم الطريق؛ فهم على هدًى من ربهم وكأن الهدى مركب ينجون به من الهلاك، أو سفينة ينجون بها من الغرق؛ فهم متمكنون غاية التمكن من الهدى؛ لأنهم عليه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣١)

قال ابن عثيمين: ربوبية الله عز وجل تكون خاصة وعامة، وقد اجتمعا في قوله تعالى عن سحرة فرعون: {آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥)

قال ابن تيمية: وقوله {سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم} هو أصل الإنذار كما يقال في البليد والمشغول الذهن بأمور الدنيا والشهوات: سواء عليك أعلمته أم لم تعلمه لا يتعلم ولا يقبل الهدى ويقال في الذكي الفارغ: إنما يتعلم مثل هذا. ثم المشغول قد يتفرغ. وقد يصلح ذهنه بعد فساده ويفسد بعد صلاحه لفساد قلبه وصلاحه. وعلى هذا القول أكثر تفسير السلف كما ذكره ابن إسحاق وقد رواه ابن أبي حاتم وغيره. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٨٩)

قال الشنقيطي: قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) الآية، لا يخفى أن الواو في قوله: (وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية، ولم يبين ذلك هنا، ولكن بين في موضع آخر أن قوله (وعلى سمعهم) معطوف على قوله (على قلوبهم) ، وأن قوله (وعلى أبصارهم) استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو (غشاوة)... فتحصّل أن الختم على القلوب والأسماع، وأن الغشاوة على الأبصار، وذلك في قوله تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفوائد العلمية والعملية من سورة البقرة (١-٧)

١ الحكمة من الحروف المقطّعة على أرجح الأقوال وهو الذي اختاره ابن تيمية وابن القيم، والذهبي، هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر؛ وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر؛ ومع ذلك فقد أعجزهم..

فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعـًا؛ لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس. ومع هذا فقد أعجزهم.؛ فالحكمة منها ظهور إعجاز القرآن الكريم في أبلغ ما يكون من العبارة؛ قالوا: ويدل على ذلك أنه ما من سورة افتتحت بهذه الحروف إلا وللقرآن فيها ذكر؛ إلا بعض السور القليلة لم يذكر فيها القرآن؛ لكن ذُكر ما كان من خصائص القرآن...

فهذا القول الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، واختاره جمع من أهل العلم هو الراجح: أن الحكمة من هذا ظهور إعجاز القرآن في أبلغ صوره، حيث إن القرآن لم يأتِ بجديد من الحروف؛ ومع ذلك فإن أهل اللغة العربية عجزوا عن معارضته وهم البلغاء الفصحاء. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٣-٢٤)

٢ بيان علوّ القرآن؛ لقوله تعالى: {ذلك} ؛ فالإشارة بالبعد تفيد علوّ مرتبته؛ وإذا كان القرآن عالي المكانة والمنزلة، فلا بد أن يعود ذلك على المتمسك به بالعلوّ والرفعة؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: {ليظهره على الدين كله} [التوبة: ٣٣] ؛ وكذلك ما وُصِف به القرآن من الكرم، والمدح، والعظمة فهو وصف أيضـًا لمن تمسك به..

وفيه: رفعة القرآن من جهة أنه قرآن مكتوب معتنىً به؛ لقوله تعالى: {ذلك الكتاب} ؛ وقد بيّنّا أنه مكتوب في ثلاثة مواضع: اللوح المحفوظ، والصحف التي بأيدي الملائكة، والمصاحف التي بأيدي الناس. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨)

٣ قوله تعالى: (لا ريب فيه) يفيد أنه كلام الله، منزل من عند الله، وهو نفي يتضمن النهي، أي: لا ترتابوا فيه.

٤ المهتدي بهذا القرآن هم المتقون؛ فكل من كان أتقى لله كان أقوى اهتداءً بالقرآن الكريم؛ لأنه عُلِّق الهدى بوصف؛ والحكم إذا عُلق بوصف كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلَّق عليه؛ لأن الوصف عبارة عن علة؛ وكلما قويت العلة قوي

المعلول.. وفيه فضيلة التقوى، وأنها من أسباب الاهتداء بالقرآن، والاهتداء بالقرآن يشمل الهداية العلمية، والهداية العملية؛ أي هداية الإرشاد، والتوفيق. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٩)

٥ ذكر خمس صفات للمتقين (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)، فإذا أردت تحقيق التقوى فعليك بتحقيق هذه الخمس

ونص على الإيقان بالآخرة مع دخوله في الإيمان بالغيب؛... لأن الإيمان بها هو الذي يبعث على العمل؛ ولهذا يقرن الله تعالى دائمًا الإيمان به عزّ وجلّ، وباليوم الآخر؛ أما من لم يؤمن بالآخرة فليس لديه باعث على العمل؛ إنما يعمل لدنياه فقط: يعتدي ما دام يرى أن ذلك مصلحة في دنياه: يسرق مثلاً؛ يتمتع بشهوته؛ يكذب؛ يغش ... ؛ لأنه لا يؤمن بالآخرة؛ فالإيمان بالآخرة حقيقة هو الباعث على العمل. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣١، ٣٤)

٦ والفلاح مرتب على الاتصاف بما ذُكر؛ فإن اختلَّت صفة منها نقص من الفلاح بقدر ما اختل من تلك الصفات؛ لأن الصحيح من قول أهل السنة والجماعة، والذي دلّ عليه العقل والنقل، أن الإيمان يزيد، وينقص، ويتجزأ؛ ولولا ذلك ما كان في الجنات درجات: هناك رتب كما جاء في الحديث: "إن أهل الجنة ليتراءون أصحاب الغرف كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق؛ قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال صلى الله عليه وسلم لا؛ والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين". أخرجه البخاري ومسلم، أي ليست خاصة بالأنبياء. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥).

٧ الإنفاق لا يتقدر بشيء معين؛ لإطلاق الآية، سواء قلنا: إن "مِن" للتبعيض؛ أو للبيان.. ويتفرع على هذا جواز إنفاق جميع المال في طرق الخير، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله ؛ لكن هذا مشروط بما إذا لم يترتب عليه ترك واجب من الإنفاق على الأهل، ونحوهم؛ فإن ترتب عليه ذلك فالواجب مقدم على التطوع.

٨ صدقة الغاصب (والسارق والمرتشي وآكل الربا) باطلة؛ لقوله تعالى: {ومما رزقناهم} ؛ لأن الغاصب لا يملك المال الذي تصدق به، فلا تقبل صدقته.. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٣)

٩ من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن مهما كان المنذِر والداعي؛ لأنه لا يستفيد. قد ختم الله على قلبه.، كما قال تعالى: {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم} [يونس: ٩٦، ٩٧] ، وقال تعالى: {أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} [الزمر: ١٩] يعني هؤلاء لهم النار؛ انتهى أمرهم، ولا يمكن أن تنقذهم.. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٧-٣٨)

١٠ أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعظة، ولا بالإقبال على الله تعالى فإن فيه شبهـًا من الكفار الذين لا يتعظون بالمواعظ، ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله ...

١١ أن محل الوعي القلوب؛ لقوله تعالى: {ختم الله على قلوبهم} يعني لا يصل إليها الخير.. وطرق الهدى إما بالسمع؛ وإما بالبصر: لأن الهدى قد يكون بالسمع، وقد يكون بالبصر؛ بالسمع فيما يقال؛ وبالبصر فيما يشاهد؛ وهكذا آيات الله عزّ وجلّ تكون مقروءة مسموعة؛ وتكون بيّنة مشهودة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٨)

١٢ قال ابن تيمية: {سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} كقوله {فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين} {وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم} وقوله {أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون} {ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون} . وكل هذا فيه بيان أن مجرد دعائك وتبليغك وحرصك على هداهم ليس موجب ذلك وإنما يحصل ذلك إذا شاء الله هداهم فشرح صدورهم للإسلام كما قال تعالى {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل} ففيه تعزية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبينت الآية له أن تبليغك وإن لم يهتدوا به ففيه مصالح عظيمة غير ذلك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٩١)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ١-٧

١- عظّم شأن القرآن في نفسك، حتى لا يبقى فيه أدنى شك في القرآن: أنه كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه محفوظ من التحريف، وأنه معجِز تحدّى الله به الناس كلهم، وأن شريعته عامة لكل الناس، وصالحة لكل زمان ومكان (ذلك الكتاب لا ريب فيه).

٢- إذا أردت كمال الانتفاع بالقرآن علما وعملا وهدى فحقّق التقوى في قلبك (هدى للمتّقين).

٣- احرِص على تكميل صفات المتقين في نفسك، وهي خمس صفات وردت في هذه الآيات: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون). وبقدر تحقيقك لهذه الصفات تكون هدايتك وفلاحك (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

٤- حقّق الإيمان بالغيب في قلبك، بالتصديق بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وبما كان في الماضي، وبما سيكون في المستقبل (الذين يؤمنون بالغيب).

٥- أقم الصلاة على أكمل وجه، حتى تكون مصدرًا لراحتك وقرةً لعينك، ولا تكن ممن يؤدّيها كيفما اتّفق (ويقيمون الصلاة).

٦- أنفق مما رزقك الله على نفسك وأهلك وأقاربك، وعلى الفقراء والمساكين (ومما رزقناهم ينفقون).

٧- آمِن بالوحي المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من القرآن والسنة، وعزّز هذا الإيمان بتعلّم الكتاب والسنة، والاطّلاع على أسرارهما، واحذر من كل من يثير الشكوك والشبهات حولهما، حتى يكون إيمانك ثابتا راسخا (والذين يؤمنون بما أُنزل إليك).

٨- آمِن بالكتب المنزّلة على الأنبياء السابقين، مع العلم بأنها كانت من كلام الله الذي أنزله على رسله، وتضمنت شريعة الله إلى أممهم، وأنها حُرّفت وبُدّلت، ونُسخت بالقرآن (وما أُنزل من قبلك).

٩- يقينك بالآخرة وما فيها من الحساب والجزاء من أكبر البواعث على الأعمال الصالحة في الدنيا، والصبر على المصائب فيها (وبالآخرة هم يوقنون).

١٠-احذر من الإعراض عن النُذر الكونية والشرعية، وعدم الانتفاع بها، فتعاقب بالختم على قلبك وسمعك، والغشاوة على بصرك، ثم العذاب العظيم في الآخرة (إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم).

١١-داوِم على سؤال الله الهداية، وأن لا يختم على قلبك وسمعك، وأن لا يجعل على بصرك غشاوة، فلا تهتدي للحق (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (٨-٢٠) من تفسير السعدي

ثم قال تعالى في وصف المنافقين الذين ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر فقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} .

واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "وفي رواية: "وإذا خاصم فجر".

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجودا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم [من مكة] إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلّى أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم [قال تعالى] : {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} فوصفهم الله بأصل النفاق فقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: {وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين.

والمخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب؛ لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم [شيئا] وعباده المؤمنون، لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة. ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.

وقوله: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة [الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}

وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية.

وفي قوله عن المنافقين: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ} وقال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، قال تعالى: {وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} .

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ} . أي: إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين {قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه.

ولما كان في قولهم: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} حصر للإصلاح في جانبهم - وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح - قلب الله عليهم دعواهم بقوله: {ألا إنهم هم المفسدون} فإنه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله، وصد عن سبيل الله، وخادع الله وأولياءه، ووالى المحاربين لله ورسوله، وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذا الفساد فساد؟ " ولكن لا يعلمون علما ينفعهم، وإن كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله، وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفسادا، لأنه يتضمن فساد ما على وجه الأرض من الحبوب والثمار والأشجار، والنبات، بما يحصل فيها من الآفات بسبب المعاصي، ولأن الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به، لهذا خلق الله الخلق، وأسكنهم في الأرض، وأدر لهم الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته [وعبادته] ، فإذا عمل فيها بضده، كان سعيا فيها بالفساد فيها، وإخرابا لها عما خلقت له.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ}. أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان، قالوا بزعمهم الباطل: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ يعنون - قبحهم الله - الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك، فنسبوهم إلى السفه؛ وفي ضمنه أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى. فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم، كما أن العقل والحجا، معرفة الإنسان بمصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه،

و [في] دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على [الصحابة و] المؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة، والأقوال الفارغة. ثم قال تعالى:

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} . هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، و [ذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم - أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر - قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

قال تعالى: {اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم، طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع، {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ} الآية. قوله: {وَيَمُدُّهُمْ} أي: يزيدهم {فِي طُغْيَانِهِمْ} أي: فجورهم وكفرهم، {يَعْمَهُونَ} أي: حائرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم.

ثم قال تعالى كاشفا عن حقيقة أحوالهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} .

أولئك، أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات {الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى} أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم.

وإذا كان من بذل دينارا في مقابلة درهم خاسرا، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهما؟ " فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن عاليها؟ " فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة. {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} .

وقوله: {وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} تحقيق لضلالهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أوصافهم القبيحة.

ثم ذكر مثلهم الكاشف لها غاية الكشف، فقال: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار.

فلهذا قال تعالى [عنهم] : {صُمٌّ} أي: عن سماع الخير، {بُكْمٌ} [أي] : عن النطق به، {عُمْيٌ} عن رؤية الحق، {فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ} لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم.

ثم قال تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة، {فِيهِ ظُلُمَاتٌ} ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمات المطر، {وَرَعْدٌ} وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، {وَبَرْقٌ} وهو الضوء [اللامع] المشاهد مع السحاب. {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ} البرق في تلك الظلمات {مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} أي: وقفوا.

فهكذا حال المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيده، فيروعهم وعيده وتزعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرة وعلما فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء.

ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} أي: الحسية، ففيه تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم، {إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئا فعله من غير ممانع ولا معارض.

وفي هذه الآية وما أشبهها، رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: {إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٨-٢٠

حمدا لك اللهم، وصلاة وسلاما على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والإبتداء المتعلقة في سورة البقرة من الآية (٨-٢٠)، سأتكلم عن بعض المواضع المنتقاة في هذه الآيات.

الموضع الأول: قول الله تعالى: (**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**) هل يصح الوقف على: (وباليوم الآخر)، ننظر أولا إلى الواو التي بعدها: (وما هم بمؤمنين) ما نوعها؟ هذه القاعدة التي ذكرتها في الدرس الماضي، لا بد أن نعرف الواو، الواو هنا واو حالية، والجملة هنا (وما هم بمؤمنين) في محل نصب على الحال، يعني كأنه قال: والحال أنهم ليسوا بمؤمنين، وبناءًعلى ذلك لا يصح الوقف قبلها، وإذا فكرنا في المعنى: أراد الله أن يبين حقيقة حالهم، لا أن يبين بأنهم يقولون ءامنا بالله وباليوم الآخر، فهذا القدر يشترك فيه المؤمنون مع المنافقين، لكن لما أراد أن يبين حال المنافقين وصل الجملة بقوله عنهم (وما هم بمؤمنين) فالأصح ولا شك الوصل(**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**) إلى آخر الآية.

الموضع الثاني: في الآية التي بعدها (**يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا**) ثم قال(**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُم**) ثم قال (**وَمَا يَشْعُرُونَ**). الواو في قوله: (وما يخدعون) وفي قوله (وما يشعرون). أما (وما يخدعون إلا أنفسهم) فالواو فيها أيضا حالية، بمعنى والحال أنهم لا يخدعون إلا أنفسهم، وبالتالي لا يصح الوقف قبلها. أما الواو في (وما يشعرون) فهي ليست حالية، الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يبين أنهم يريدون أن يخدعوا الله والذين ءامنوا بين أن خداعهم لا يعود إلا على أنفسهم لكنهم لا يشعرون ذلك، فالواو في (وما يشعرون) تحتمل أن تكون عاطفه على (وما يخدعون) أي: وما يخدعون وما يشعرون بأنهم لا يخدعون إلا أنفسهم، وتحتمل أن تكون إستئنافية، وبناء على القول بأنها عاطفة هل يصح الوقف أو لا يصح؟ لا يصح لأنها عاطفة، ولا يصح الفصل بين المعطوفات، وبناء على القول بأنها إستئنافية إبتدائية يصح الوقف قبلها، والأقرب الذي عُمل به في المصاحف عدم الوقف قبلها، واعتبار أن الواو عاطفة والله أعلم.

الموضع الثالث: في قول الله تعالى (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**) وكذلك مثلها قول الله تعالى (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ**

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ هل يصح الوقف على (الناس) و (الأرض) قبل قوله (قالوا) بمعنى هل يصلح أن يقف (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) وهل يصح الوقف (وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس) الجواب: لا يصح، والسبب أن إذا هنا شرطية لها فعل وجواب ففعلها (قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) جوابها (قالوا إنما نحن مصلحون) إذا قيل لك كذا فقل كذا، فما بعد قيل لك كذا جواب الشرط، فلا يصح أن تفصل بين أداة الشرط وفعله وجوابه، وهكذا في الآيه الثانية لا يصح الفصل بين إذا وفعلها وجوابها.

الموضع الرابع: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ السؤال هل في الآية وقف؟ احتمالية الوقف في هذه الآية في موضعين: (قالوا ءامنا) و (قالوا إنا معكم) أما الموضع الأول فيقف عليه البعض من باب أن الجملة قد تمت بشرطها وفعل الشرط وجوابه ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ لكن لا بد من مراعاة الأمر المعنوي، وهو الذي نبهت عليه في مقدمة الوقف والابتداء أننا كما أننا نراعي الجانب اللفظي نراعي الجانب المعنوي أيضا، فالجانب المعنوي هنا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين تناقضهم ونفاقهم، وذلك بأنهم إذا لقوا الذين ءامنوا أظهروا إيمانهم بينما إذا خلوا إلى رؤسائهم وكبرائهم من اليهود وغيرهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون، فلا يتحقق البيان كاملا إلا بالوصل بقول: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ هنا يتبين المعنى. (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) هل يصح الوقف على (إنا معكم)؟ الجواب: لا يصح، والسبب أن هذا تتمة قولهم، يعني (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) هذا كله قول المنافقين، فلا يصح الفصل.

وهنا في هذه الآية مسألة مهمة أرجو التنبه لها جيدا، نحن قلنا الآن أنه لا يوقف على (قالوا ءامنا) ولا يوقف على (إنا معكم) بمعنى أن الآية الأصح أنه لا وقف فيها، لكن النفس يضيق فما العمل؟ هنا يأتينا ما يسمى بالوقف الحسن: وهو ما يوقف عليه لربط التلاوة بما قبله لا لاستئناف التلاوة بما بعده، أعيد، الوقف الحسن يوقف عليه ويصح الوقف عليه من حيث الوقف، أما الإبتداء بما بعده فلا يصح، بل لابد من ربط ما قبله بما بعده، هنا ينبغي أن نراعي الوقف الحسن، أن لا نقف عشوائيا، بل نقف وقفا يفيد معنى، ولا نقف وقفا يوهم معنى فاسدا، نطبق في هذه الآية ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ ما رأيكم بالوقف هذا؟ يعني يقف على خلوا على نية أنه يعود ويقول (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) الجواب هذا ليس بحسن، لماذا؟ لأنه لا يفيد معنى، وقد يوهم معنى فاسدا، طيب إذا وقف وقال ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ نقول هذا أقبح مما قبله، لأنه يوهم أنهم إذا خلوا إلى شياطينهم أيضا قالوا ءامنا، كقولنا إذا لقيت فلانا فسلم عليه وإذا لم تلقه يعني فسلم عليه أيضا ﴿وَإِذَا

لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ) فهذا وقف قبيح إلا إذا اضطر الإنسان اضطرار بمعنى أن نفسه لم يسعفه فقف وقفا ليس بحسن، بمعنى لا يتم المعنى به، لكن لا تقف وقفا يوهم معنى فاسدا، بمعنى لو وقف (وإذا) أو (وإذا خلوا) لا يوهم معنى فاسدا، وإن لم يُفهم معنى صحيحا، فهذا أهون من أن تقف على شيء يوهم معنى فاسدا، طيب أين نقف؟ الوقف الحسن في هذه الآية نقول (قالوا إنا معكم) يعني يقرأ ويقول (وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ) لكن ما يكمل، إنما يعود ويقول: (قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ) واضح التطبيق؟ أمثلة هذا في القرآن كثيرة، والماهر بالقراءة ينبغي أن يراعي هذا مراعاة جيدة، ويلاحظه بدقة: أن لا يوهم معنى فاسدا بسبب مراعاة وقف حسن حتى يعود ويربط، وأن يحاول قدر الإمكان أن يراعي معنى صحيحا في الجملة وإن لم يتم كما طبقنا في هذه الآية.

الموضع الخامس: قوله تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ) هل يصح الوقف على (بالهدى) ؟ الجواب: لا يصح لأن الفاء هنا فاء عطف وتعقيب يعني فاء نتيجة، كانت نتيجة اشترائهم الضلالة بالهدى أن تجارتهم لم تربح وأنهم لم يكونوا مهتدين، فلا يصح الوقف هنا أيضا بل يصل، والواو في (وما كانوا مهتدين) واو عطف فلا يصح الوقف قبلها، بل يصل الآية كاملة، لكن لو جئنا نطبق الوقف الحسن هنا في هذه الآية أين يقف؟ إذا وقف (فما) الوقف هنا لم يفد شيئا، إذا وقف (فما ربحت) أيضا فيه نقص، بينما الأحسن أن يقف (فما ربحت تجارتهم) ثم يعود ويقول (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) بمعنى أنه يقرأ (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ) أفاد معنى كاملا، لكن لا يصح الابتداء بما بعده لأن بعده واوعطف فيعود ويقول (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين).

الموضع السادس: قوله تعالى: (مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ) في قول الله تعالى (فلما أضاءت ما حوله) هل يصح الوقف أو لا يصح الوقف؟ الجواب: لا يصح، وإن وضعت علامة الوقف هنا في بعض المصاحف (فلما أضاءت ما حوله) ما السبب؟ نأتي إليها من ناحية إعرابية (لما) هنا ظرف بمعنى حين، وهو يتضمن معنى الشرط، فحين أضاءت ما حوله ما الذي حصل؟ ذهب الله بنورهم فـ (ذهب الله) جواب للشرط، ولا يصح الفصل بين الشرط وجوابه، كما وضحت قبل قليل، وبالتالي لا بد أن يقول (فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ) دعونا نطبق الوقف الحسن في هذه الآية أيضا حتى نتمرن عليه، عندنا (وتركهم) الواو واو عطف فلا يصح الوقف قبلها فلا بد أن يوصل (مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ

أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ) هذا أحسن وقف هنا يقف على (بنورهم) ثم يرجع (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وإذا ضاق عليه النفس يحتمل أن يقف (فلما أضاءت ما حوله) ليعود ويقول (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) إلى آخر الآية .

الموضع السابع: (أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ) هل يصح الوقف على (من السماء)؟ وهل يصح على (وبرق) أو لا؟ (من السماء) لا يصح الوقف، لأن ما بعدها بيان للصيب أو صفة له، أن هذا الصيب المطر النازل من السماء (فيه) أي: يتضمن ظلمات ورعدا وبرقا، فلا يصح الوقف، طيب الوقف على (وبرق) هل يصح أو لا؟ أكثر المصاحف لم تضع هنا علامة للوقف، ولعل الأظهر أنه يصح، ذلك أن جملة (يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصواعق حذر الموت) جملة مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قال: ما حالهم مع هذه الظلمات والرعد والبرق؟ فكان الجواب (يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصواعق حذر الموت)، فهذه جملة متكاملة مستقلة بنفسها في وصف حالهم، فقد يقال بصحة الوقف مع قولنا بأن الوصل أولى.

هذه خلاصة المواضع التي أحببت التنبيه عليها من حيث الوقف والابتداء في هذه الآيات، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما وهدى وتقى، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لطائف سورة البقرة (٨-٢٠)

قال البغوي: فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال: ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون أنهم كذلك. تفسير البغوي - إحياء التراث (١/ ٨٨)

قال ابن عثيمين: إن قيل: ما الفرق بين قوله تعالى هنا: {ولكن لا يعلمون} ، وقوله تعالى فيما سبق: {ولكن لا يشعرون} ؟ فالجواب: أن الإفساد في الأرض أمر حسي يدركه الإنسان بإحساسه، وشعوره؛ وأما السفه فأمر معنوي يدرك بآثاره، ولا يُحَسُّ به نفسِه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤٩)

قال البقاعي: {فلما أضاءت} أي النار، وأفرد الضمير باعتبار لفظ «الذي» فقال: {ما حوله} وأراد أن ينتفع بها في إبصار ما يريد، وهو كناية عما حصل لهم من الأمنة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد {ذهب الله} الذي له كمال العلم والقدرة، وجمع الضمير نظراً إلى المعنى لئلا يتوهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفرد تقليلاً للنور وإن كان قوياً في أوله لانطفائه في آخره فقال: {بنورهم} أي الذي نشأ من تلك النار بإطفائه لها ولا نور لهم سواه؛ ولم يقل: بضوئهم، لئلا يتوهم أن المذهوب به الزيادة فقط، لأن الضوء أعظم من مطلق النور {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً} [يونس: ٥] فذهب نورهم وبقيت نارهم ليجتمع عليهم حرّها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور، وعبر بالإضاءة أولاً إشارة إلى قوة أولهم وانمحاق آخرهم، لأن محط حالهم الباطل والباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين الصادق من الكاذب، وعبر بالذهاب به دون إذهابه ليدل نصاً على أنه سبحانه ليس معهم وحقق ذلك بالتعبير عن صيّر بترك فقال: {وتركهم في ظلمات}... نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١١٨)

قال الشنقيطي: ضرب الله المثل بالرعد لما في القرآن من الزواجر التي تقرع الآذان، وتزعج القلوب. وذكر بعضا منها في آيات أخر كقوله: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة) الآية [٤١ \ ١٣] ، وكقوله: (من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) الآية [٤ \ ٤٧] ، وكقوله: (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [٣٤\٤٦] .
وقد ثبت في صحيح البخاري في تفسير سورة الطور من حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) [٥٢ \ ٣٥] إلى قوله (المسيطرون) كاد قلبي أن يطير، إلى غير ذلك من قوارع القرآن وزواجره التي خوفت المنافقين حتى

قال الله تعالى فيهم: (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) [٦٣ \ ٤] ، والآية التي نحن بصددها وإن كانت في المنافقين، فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

قوله تعالى: (وبرق) ضرب تعالى المثل بالبرق ؛ لما في القرآن من نور الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

وقد صرح بأن القرآن نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك، كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله: (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) [٤ \ ١٧٤] ، وقوله: (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) [٤٢ \ ٥٢] وقوله: (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٥)

قال الشنقيطي: قوله تعالى: (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي: يكاد نور القرآن لشدة ضوئه يعمي بصائرهم، كما أن البرق الخاطف الشديد النور يكاد يخطف بصر ناظره، ولا سيما إذا كان البصر ضعيفا ؛ لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابا له.... وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف. فشدة ضوء النور تزيدها عمى. وقد صرح تعالى بهذا العمى في قوله: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) [١٣ \ ١٩] وقوله: (وما يستوي الأعمى والبصير) إلى غير ذلك من الآيات. وقال بعض العلماء: يكاد البرق يخطف أبصارهم؛ أي: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٦)

قال الشنقيطي: (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين بأصحاب هذا المطر إذا أضاء لهم مشوا في ضوئه، وإذا أظلم وقفوا، كما أن المنافقين إذا كان القرآن موافقا لهواهم ورغبتهم عملوا به، كمناكحتهم للمسلمين، وإرثهم لهم، والقسم لهم من غنائم المسلمين، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن، وإذا كان غير موافق لهواهم كبذل الأنفس، والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا. وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)

وقال بعض العلماء: (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أي: إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا: هذا الدين حق، ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي: وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم البنات دون الذكور قالوا: ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه. وهذا الوجه يدل له قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) [٢٢ \ ١١] . وقال بعض العلماء: إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه، وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٦-١٧)

قال ابن كثير: صار الناس أقساما: مؤمنون خلص، وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة، وكفار خلص، وهم الموصوفون بالآيتين بعدها، ومنافقون، وهم قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالا من الذين قبلهم. تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١٩٢)

قال البقاعي: وتصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف: مهتدين ومعاندين وضالين، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة: متقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون، وإجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب وهو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٠٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فوائد سورة البقرة (٨-٢٠)

١ القول باللسان لا ينفع الإنسان؛ لقوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٩)

قال الطبري: وفي هذه الآية دلالةٌ واضحة على بُطول ما زَعَمتْه الجهميةُ: من أنّ الإيمان هو التصديق بالقول، دون سائر المعاني غيره. وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق، أنهم قالوا بألسنتهم: "آمنا بالله وباليوم الآخر"، ثم نفَى عنهم أن يكونوا مؤمنين، إذْ كان اعتقادهم غيرَ مُصَدِّقٍ قِيلَهُم ذلك. تفسير الطبري (١/ ٢٧٢)

٢ التحفظ من المنافقين؛ لأنه إذا قيل لك: "فلان يخدع" فإنك تزداد تحفظاً منها؛ وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون يقظاً حذراً، فلا ينخدع بمثل هؤلاء..

فإن قال قائل: كيف نعرف المنافق حتى نكون حذرين منه؟

فالجواب: نعرفه بأن نتتبع أقواله، وأفعاله: هل هي متطابقة، أو متناقضة؟ فإذا علمنا أن هذا الرجل يتملق لنا، ويظهر أنه يحب الإسلام، ويحب الدين، لكن إذا غاب عنا نسمع عنه بتأكد أنه يحارب الدين عرفنا أنه منافق؛ فيجب علينا أن نحذر منه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤١)

٣ العمل السيئ قد يُعمي البصيرة؛ فلا يشعر الإنسان بالأمور الظاهرة؛ لقوله تعالى: {وما يشعرون} أي ما يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم؛ و "الشعور" أخص من العلم؛ فهو العلم بأمور دقيقة خفية؛ ولهذا قيل: إنه مأخوذ من الشَّعر؛ والشعر دقيق؛ فهؤلاء الذين يخادعون الله، والرسول، والمؤمنين لو أنهم تأملوا حق التأمل لعرفوا أنهم يخدعون أنفسهم، لكن لا شعور عندهم في ذلك؛ لأن الله تعالى قد أعمى بصائرهم. والعياذ بالله.، فلا يشعرون بهذا الأمر تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤١)

٤ {بما كانوا يكذبون} : الباء للسببية. أي بسبب كذبهم.، أو تكذيبهم؛ و "ما" مصدرية تؤول وما بعدها بمصدر؛ فيكون التقدير: بكونهم كاذبين؛ أو: بكونهم مكذبين؛ لأن في الآية قراءتين؛ الأولى: بفتح الياء، وسكون الكاف، وكسر الذال مخففة؛ ومعناها: يَكْذِبون بقولهم: آمنا بالله، وباليوم الآخر. وما هم بمؤمنين.؛ والقراءة الثانية: بضم الياء، وفتح الكاف، وكسر الذال مشددة؛ ومعناها: يُكَذِّبون الله، ورسوله؛ وقد اجتمع الوصفان في المنافقين؛ فهم كاذبون مكذبون. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤٣)

٥ الإنسان إذا لم يكن له إقبال على الحق، وكان قلبه مريضـاً فإنه يعاقب بزيادة المرض؛ لقوله تعالى: {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضـاً} ؛ وهذا المرض الذي في قلوب المنافقين: شبهات، وشهوات؛ فمنهم من علم الحق، لكن لم يُرِده؛ ومنهم من اشتبه عليه؛ وقد قال الله تعالى في سورة النساء: {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلًا} [النساء: ١٣٧] ، وقال تعالى في سورة المنافقين: {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤٤)

٦ المعاصي والفسوق، تزيد وتنقص، كما أن الإيمان يزيد وينقص؛ لقوله تعالى: {فزادهم الله مرضـاً} ؛ والزيادة لا تُعقل إلا في مقابلة النقص؛ فكما أن الإيمان يزيد وينقص، كذلك الفسق يزيد، وينقص؛ والمرض يزيد، وينقص. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤٤)

٧ من أعظم البلوى أن يُزَيَّن للإنسان الفساد حتى يَرى أنه مصلح؛ لقولهم: (إنما نحن مصلحون) ... وغير المؤمن نظره قاصر، حيث يرى الإصلاح في الأمر المعيشي فقط؛ بل الإصلاح حقيقة أن يسير على شريعة الله واضحـًا صريحـًا تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٤٨)

٨ أعداء الله يصفون أولياءه بما يوجب التنفير عنهم لقولهم: {أنؤمن كما آمن السفهاء} ؛ فأعداء الله في كل زمان، وفي كل مكان يصفون أولياء الله بما يوجب التنفير عنهم؛ فالرسل وصفهم قومهم بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر تنفيراً عنهم، كما قال تعالى: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون} [الذاريات: ٥٢] ، وقال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين} [الفرقان: ٣١] وورثة الأنبياء مثلهم يجعل الله لهم أعداء من المجرمين، ولكن {وكفى بربك هاديـاً ونصيراً} [الفرقان: ٣١] ؛ فمهما بلغوا من الأساليب فإن الله تعالى إذا أراد هداية أحد فلا يمنعه إضلال هؤلاء. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٥٠)

٩ تحقيق ما وعد الله به من الدفاع عن المؤمنين، كما قال تعالى: {إن الله يدافع عن الذين آمنوا} [الحج: ٣٨] ؛ فإذا ذموا بالقول دافع الله عنهم بالقول؛ فهؤلاء قالوا: {أنؤمن كما آمن السفهاء} ، والله عزّ وجلّ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال: {ألا إنهم هم السفهاء} يعني هم السفهاء لا أنتم؛ فهذا من تحقيق دفاع الله تعالى عن المؤمنين. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٥١)

١٠ قال ابن جرير: وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جلّ ثناؤه الزاعمين: أن الله لا يُعذِّب من عباده إلا من كَفَر به عنادًا، بعد علمه بوحدانيته، وبعد تقرُّر صحة ما عاندَ ربّه تبارك وتعالى عليه مِن تَوْحيده، والإقرار بكتبه ورُسله – عنده. لأن الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ عن الذين وَصفهم بما وصفهم به من النفاق، وخِداعهم إياه والمؤمنين – أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطلون فيما هم عليه من الباطل مُقِيمون، وأنَّهم بخداعهم – الذي يحسبون أنهم به يُخادعون ربهم وأهلَ الإيمان به – مخدوعون. ثم أخبر تعالى ذكره أنّ لهم عذابًا أليمًا بتكذيبهم بما كانوا يكذِّبون من نبوة نبيّه، واعتقاد الكفر به، وبما كانوا يَكذِبون في زعمهم أنهم مؤمنون، وهم على الكفر مُصِرُّون. تفسير الطبري (١/ ٢٧٤)

١١ تحذير الإنسان الطاغي أن يغتر بنعم الله عزّ وجلّ؛ فهذه النعم قد تكون استدراجـًا من الله؛ فالله سبحانه وتعالى يملي، كما قال تعالى: {ويمدهم في طغيانهم يعمهون} ؛ ولو شاء لأخذهم، ولكنه سبحانه وتعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. كما جاء في الحديث (أخرجه البخاري ومسلم).
فإن قال قائل: كيف يعرف الفرق بين النعم التي يجازى بها العبد، والنعم التي يستدرج بها العبد؟
فالجواب: أن الإنسان إذا كان مستقيمـًا على شرع الله فالنعم من باب الجزاء؛ وإذا كان مقيمـًا على معصية الله مع توالي النعم فهي استدراج. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٥٩)

١٢ المدار في الربح، والخسران على اتباع الهدى؛ فمن اتبعه فهو الرابح؛ ومن خالفه فهو الخاسر؛ ويدل لذلك قوله تعالى: {والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٦١)

١٣ ثبوت القياس، وأنه دليل يؤخذ به؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد؛ وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٦٤)

١٤ الإيمان له نور يؤثر حتى في قلب المنافق؛ لقوله تعالى: {فلما أضاءت ما حوله} : الإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم؛ ولكن لما لم يكن على أسس لم يستقر؛ ولهذا قال تعالى في سورة المنافقين. وهي أوسع ما تحدَّث الله به عن المنافقين: {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم} [المنافقون: ٣] .. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٦٥)
فإن قال قائل: كيف نقول: إنه دخل الإيمان في قلوبهم؟

فالجواب: نقول: نعم؛ قال الله تعالى: {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} [المنافقون: ٣] ؛ وهذا يدل على أنهم آمنوا أولاً، ثم كفروا ثانيـًا؛ لأن الإيمان لم يستقر في قلوبهم، ولم تستنر به؛ وإنما هو وميض ضوء ما لبث أن طفئ؛ وإلا فإن الإيمان إذا دخل القلب دخولاً حقيقياً فإنه لن يخرج منه بإذن الله؛ ولهذا سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يدخلون في الإسلام: "فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه؛ فقال: لا؛ فقال: وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلوبَ" (أخرجه البخاري ومسلم)؛ لكن الإيمان الهش – الذي لم يتمكن من القلب – هو الذي يُخشى على صاحبه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٧٠)

١٥ قال الطبري في كتاب اللطيف في باب المرتد: «إن الله تعالى قد جعل الأحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون أحد من خلقه فليس لأحد أن يحكم بخلاف ما ظهر لأنه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحد كان أولى الناس به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا ووكل سرائرهم إلى الله وقد كذب الله ظاهرهم في قوله تعالى: وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ ولما استؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل المنافقين قال: «لا أقتلهم؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» رواه البخاري ومسلم. تفسير ابن عطية (١/ ٩٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ٨-٢٠

١- احذر من الاتّصاف بصفات المنافقين، وأعظمها مخادعة الله والذين آمنوا بإظهار الخير وإبطان الشر، واعلم أن من فعل ذلك فقد خادع نفسه في الحقيقة وهو لا يشعر (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

٢- اسأل ربك أن يمنحك قلبا سليما غير مريض، فإن مرض القلب من أشد الأمراض وأفتكها، ومريض القلب يعاقب بزيادة المرض حتى يصير قلبه ميتا (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا).

٣- احذر من الكذب، فإنه من أبرز علامات النفاق، وهو سبب للعذاب الأليم في الدنيا والآخرة (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون).

٤- من أعظم دلائل موت القلب أنه لا يعلم بفساده وانحرافه، بل يظن أنه على خير وصلاح (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون).

٥- احذر أن تكون مفسدا في الأرض من حيث لا تشعر، وذلك بارتكاب المعاصي والمجاهرة بها (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

٦- لا تحتقر الصالحين لفقرهم وزهدهم في الدنيا، واعلم أن الله ينظر إلى القلوب والأعمال لا إلى الصور والأموال (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء).

٧- الاستهزاء بالدين وبشرائعه وبالمتمسّكين به من أخطر الأعمال، فابتعد عن ذلك أشد البعد حتى لا تعاقَب باستهزاء الله بك (قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون * الله يستهزئ بهم).

٨- أكبر خسارة هي خسارة الدين، فلا تبع دينك لتحصل على راحة أو مال أو جاه، واعلم أن دينك هو حياتك الحقيقية فإن فرّطت فيه فقد فرّطت في حياتك (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين).

٩- الهداية نور في القلب، ونور في الجوارح، ونور على الطريق، ونور يوم القيامة، فاسأل الله الهداية، فهو الذي يهبها لمن يشاء من عباده (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون).

١٠- استعمل لسانك وسمعك وبصرك في تفهّم دينك، والتبصّر فيه، والاستزادة منه، واحذر من استعمالها في المعاصي، فإن الله قال في المنافقين: (صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون)، (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم).

١١- لا يغرنّك جرأة الكافرين وتقلبهم في البلاد لهوا ولعبا وطغيانا وفجورا، فإن الله محيط بهم قادر عليهم؛ لكنه يؤخّرهم إلى أجل مسمى (والله محيط بالكافرين).

١٢- إذا علمت أن الله قادر على كل شيء، فتوجّه إليه بالدعاء وأنت موقن بقدرته على كل ما تطلب، مع بذل أسباب استجابة الدعاء (إن الله على كل شيء قدير).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البقرة (٢١-٢٩) من تفسير السعدي

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} .

ثم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم.

{وَأَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} والسماء: [هو] كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، {فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ} كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، [وزروع] وغيرها {رِزْقًا لَكُمْ} به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكهون.

{فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك.

وقوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} يحتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك، ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله، صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى، وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان، فمن أتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه.

ثم قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} . وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وصحة ما جاء به، فقال: {وإن كنتم} معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نصَف، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس من جنس آخر وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح [جلي] على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة [والشدة] ، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله.

وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} . وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة [بأنواع] الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم.

وفي قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق.

وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه.

وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق.

وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} وفي مقام الإنزال، فقال: {تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} .

وفي قوله: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة، وفيها أيضا، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} فلو كان [عصاة الموحدين] يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} . لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: {وَبَشِّرِ} أي: [يا أيها الرسول ومن قام مقامه] {الَّذِينَ آمَنُوا} بقلوبهم {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة. ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

فبشرهم {أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، [والأغصان والأفنان وبذلك] صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

{كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ} أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائما متلذذون بأكلها.

وقوله: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} قيل: متشابها في الاسم، مختلف في الطعم، وقيل: متشابها في اللون، مختلفا في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاهة، ولعل هذا هو الصحيح .

ثم لما ذكر مسكنهم، وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال: {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} فلم يقل "مطهرة من العيب الفلاني "ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن، أنهن عرب متحببات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل، والأدب القولي والفعلي، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات طرفهن على أزواجهن، وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح.

ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّرُ به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشِّر: هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب. وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها [وثمراتها] ، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرى عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

{إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} .

يقول تعالى {إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا} أي: أيَّ مثل كان {بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكأن في هذا، جوابا لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض. بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم. فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر. ولهذا قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} فيتفهمونها، ويتفكرون فيها.

فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثا، بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة.

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا} فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرا إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، ولهذا قال: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة [وضلالة] وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة [ورحمة] وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.

ثم ذكر حكمته في إضلال من يضلهم وأن ذلك عدل منه تعالى فقال: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ} أي: الخارجين عن طاعة الله؛ المعاندين لرسل الله؛ الذين صار الفسق وصفهم؛ فلا يبغون به بدلا فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى، كما اقتضت حكمته وفضله هداية من اتصف بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة.

والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان؛ كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الآية] .

ثم وصف الفاسقين فقال: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} وهذا يعم العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين عباده الذي أكده عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك المواثيق؛ بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه؛ وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق.

{وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب؛ وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها.

فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق، وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون، فقطعوها، ونبذوها وراء ظهورهم؛ معتاضين عنها بالفسق والقطيعة؛ والعمل بالمعاصي؛ وهو: الإفساد في الأرض.

فـ {فَأُولَئِكَ} أي: من هذه صفته {هُمُ الْخَاسِرُونَ} في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم؛ لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم؛ ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان؛ فمن لا إيمان له لا عمل له؛ وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي قد يكون كفرا؛ وقد يكون معصية؛ وقد يكون تفريطا في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} فهذا عام لكل مخلوق؛ إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح؛ والتواصي بالحق؛ والتواصي بالصبر؛ وحقيقة فوات الخير؛ الذي [كان] العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه.

ثم قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} . هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله؛ الذي خلقكم من العدم؛ وأنعم عليكم بأصناف النعم؛ ثم يميتكم عند استكمال آجالكم؛ ويجازيكم في القبور؛ ثم يحييكم بعد البعث والنشور؛ ثم إليه ترجعون؛ فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه؛ وتدبيره؛ وبره؛ وتحت أوامره الدينية؛ ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي؛ أفيليق بكم أن تكفروا به؛ وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة؟ بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه وتخافوا عذابه؛ وترجوا ثوابه.

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} . {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا} أي: خلق لكم، برا بكم ورحمة، جميع ما على الأرض، للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وفي هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سيقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث، فإن [تحريمها أيضا] يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الخبائث، تنزيها لنا.

وقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} . {اسْتَوَى} ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} وتارة تكون بمعنى "علا وارتفع" وذلك إذا عديت بـ "على" كما في قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} وتارة تكون بمعنى "قصد "كما إذا عديت بـ "إلى "كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات {فسواهن سبع سماوات} فخلقها وأحكمها، وأتقنها، {وهو بكل شيء عليم} فـ {يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} و {يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} يعلم السر وأخفى.

وكثيرا ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (٢١-٢٩)

الكلمة	المعنى
الأرض فِراشا	مبسوطة ممهدة، تستقرون عليها، وتنتفعون بها
والسماء بناء	سَقفا مرفوعا كالقبة المضروبة
من السماء	من السحاب
أندادا	نظراء وأشباها تعبدونهم من دون الله
وادعوا شهداءكم	استغيثوا بآلهتكم وأعوانكم
وَقودها	حطبها
وأُتوا به متشابها	يشبه بعضه بعضا في الحسن، واللذة، والفكاهة
أزواج مطهّرة	مطهرات من كل عيب خَلْقي وخُلُقي
فما فوقها	فما هو أكبر منها
الفاسقين	الخارجين عن طاعة الله، المعاندين لرسل الله
عهد الله	حقوق الله وحقوق الناس، والعهود التي عقدوها بينهم وبين الناس
وكنتم أمواتًا	كنتم نُطَفًا في الأرحام
خلق لكم	خلق لمنفعتكم ومصلحتكم
استوى إلى السماء	قصد إلى خلقها
فسوّاهنّ	أتمّهن وقوّمهنّ وأحكمهنّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٢١-٢٩

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة البقرة من الآية (٢١) حتى الآية (٢٩)، سآخذ نماذج منتقاة.

النموذج الأول: في الآية (٢١) قول الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) هل يصح الوقف على (خلقكم)؟ قال بعدها: (والذين من قبلكم).

الجواب: لا يصح الوقف، والسبب أن الواو واو عطفٍ، فقوله: (والذين من قبلكم) معطوفةٌ على الكاف من قوله (خلقكم)، والمعنى خلقكم وخلق الذين من قبلكم.

وهل يصح الوقف على (من قبلكم)؟ الجواب: لا، لأن جملة (لعلكم تتقون) جملةٌ تعليليةٌ، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعبادة حتى نحقق التقوى.

النموذج الثاني: في الآية التي تليها، وذلك في الوقف على قول الله تعالى: (والسماء بناءً) هل يصح الوقف هنا أو لا يصح؟ الآية هي قول الله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) ثم قال: (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) فهل يصح الوقف على (والسماء بناء)؟

هنا ننظر إلى الواو التي بعدها كما سبق وأن نبهت على ذلك، واو (وأنزل من السماء ماء) هل هي واو عطف أو استئناف؟

الصحيح الظاهر أنها واو عطف وليست واو استئناف، وبناء عليه الأصل عدم الوقف، لكن الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله جعل الوقف هنا كافيًا، وهذا وجيهٌ، لماذا؟ لأننا ذكرنا سابقًا أن عطف الجمل إن جاءت الجملة تامةً كاملةً قائمةً بنفسها وارتبطت بشيءٍ بعدها، فإنها قد تستقلّ بنفسها من حيث إظهار المعنى، فلو قرأنا (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم) هذه جملةٌ تامةٌ فيها الإخبار بإنزال الماء من السماء وأنه نتج عن ذلك إخراج الثمرات من الأرض رزقًا لنا، فهي جملةٌ تامةٌ يصح الوقف قبلها، والله أعلم.

الموضع الذي يليه في الآية التي تليها، (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله) هل هناك وقفٌ في هذه الآية؟

الجواب: لا وقف، لا على قوله (عبدنا) ولا على قوله (من مثله)، لماذا؟ تأمل! قال: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) هذه جملة فعل الشرط، أين جواب (إن)؟ جوابها (فأتوا بسورةٍ من مثله) إذًا لا يصح الوقف قبل (فأتوا) لأنها

تتمة الجملة، طيب (وادعوا شهداءكم) عطف على الجملة التي قبلها، وهي إتمامٌ للتحدي، يعني فأتوا بسورة وادعوا شهداءكم من دون الله فليأتوا بسورة، فالارتباط بين الجملتين قويٌّ، لذلك نقول لا يصح الوقف، والله أعلم.

ثم في الآية التي تليها نفس الأمر، هل يصح أن تقول (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) تقف ثم تقول (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة)؟ الجواب: لا، لماذا؟

لأن جواب (إن): (فاتقوا النار) يعني (إن لم تفعلوا)، (ولن تفعلوا) جملةٌ معترضةٌ هي من باب التحدي إن لم تفعلوا فاتقوا النار، فهذا جوابها، فالجملة لم تتم إلا بعد قوله (فاتقوا النار) التي وصفها بأنها (وقودها الناس والحجارة)، هنا يمكن الوقف.

ثم الموضع الذي يليه: قوله تعالى (أن لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار) هل يصح الوقف هنا أو لا؟

الجملة التي تليها (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) الجواب أنه يصح الوقف، لأن الجملة أن البشارة بأن من آمن وعمل صالحًا له جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم كأن سائلا سأل: ما وصف هذه الجنات؟ ما حال هذه الجنات؟ فأجاب: (كلما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) فيصح الوقف على (الأنهار).

وهل يصح الوقف على (رزقا) (كلما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقًا) الجواب: لا، لأن (كلما) تتطلب جوابًا مثل (إن)، أين جوابها؟ جوابها (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) فلا يصح الوقف على (رزقًا).

الموضع الذي يليه، في الآية التي تليها، السادسة والعشرين (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) أين الوقف هنا؟ هل نقف (أن يضرب مثلا) أو (أو مثلا ما) أو (فما فوقها)؟

الصحيح أن الوقف على قوله (فما فوقها)، لماذا؟ لأن الله عز وجل يخبر أنه لا يستحيي أن يضرب أي مثل كان سواء كان المثل بعوضة أو ما هو أكبر منها، هذه هي الجملة، فبعوضة هنا بدلٌ من قوله (مثلاً) أن يضرب مثلاً بعوضة فما فوقها، فلا يصح الوقف قبل (فما فوقها).

الموضع الذي يليه في نفس الآية: (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا) هل يصح الوقف على (مثلا)؟

هنا وضعت علامة الوقف اللازم في مصحف المدينة، وذلك للفصل بين قول الكافرين وقول الله سبحانه وتعالى، لأن الكافرين ماذا قالوا؟ قالوا: (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) اعترضوا على تمثيل الله بهذه الأمثال، فأجاب الله (يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا) ووضعت علامة الوقف اللازم حتى لا يتوهم متوهمٌ إذا وصلت، أن الكافرين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيرًا، يعني كأنه تتمةٌ لقول الكافرين فلذلك وضعت علامة الوقف اللازم حتى لا يقع هذا الوهم والإيهام.

في الآية التي تليها السابعة والعشرين (الذين ينقضون عهد الله من بعده ميثاقه) جملة (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) جملة (ويفسدون في الأرض) هذه ثلاث جملٍ معطوفات، هل يصح الفصل بينها أو لا؟

على القاعدة التي ذكرتها سابقًا، أنه إذا لم تحتج الجملة إلى تقديرٍ يصح الوقف. وقد أجاز الأشموني الوقف على قوله (ميثاقه) أي (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) يقف، ثم يقرأ (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) والأمر في ذلك واسع، والله أعلم.

ثم نأتي للآية التي تليها وهي (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) أين الوقف في هذه الآية؟

هذه من أكثر الآيات التي وقع الاختلاف في موضع الوقف فيها.

طبعًا (كيف تكفرون بالله) لا يصح الوقف، لأن الواو في قوله (وكنتم) واوٌ حاليةٌ، والواو الحالية لا يصح الوقف قبلها، كأنه قال: كيف تكفرون بالله والحال أنكم كنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون.

طيب، من العلماء من يجعل الوقف هنا (وكنتم أمواتا)، ومنهم من يجعله (فأحياكم)، ومنهم من يجعله (ثم يميتكم)، ومنهم من يجعله (ثم يحييكم)، ومنهم من يقول لا وقف إلى آخر الآية.

دعونا نتأمل جيدًا، (وكنتم أمواتا فأحياكم) الظاهر أنه لا يصح الوقف على (أمواتا) لأن الفاء هنا فاء النتيجة والعاقبة، يعني بعد أن كنتم أمواتًا منّ عليكم بالحياة.

طيب نأتي إلى (فأحياكم) هنا وضعت علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، يعني أن الوقف هنا يصح مع أن الوصل أولى، وهذا قولٌ لمن رأى أن (ثم) التي تليها ليست عاطفة، وإنما استئنافيةٌ لترتيب الأخبار، يعني كأنه يريد أن يرتب أنه حصل هذا وبعده حصل هذا، وليس المقصود به العطف، فلذلك أجازوا الوقف هنا (فأحياكم).

وهنا نظرةٌ معنويةٌ أيضًا، يعني كأنه قال: كيف تكفرون بالله والحال أنكم كنتم أمواتًا فأحياكم من العدم، فكأنه يحتج عليهم وعلى كفرهم بأن الله أحياكم من العدم وأنعم عليكم فكيف تكفرون به، ثم انتهت الجملة وانتهى احتجاجه، ثم قال ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون، هذه نظرة من صحّح الوقف هنا.

أما من صحّح الوقف على (ثم يميتكم) بمعنى أنك تقرأ (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم) اعتبر (ثم) الأولى هذه عاطفة، و (ثم يحييكم) هذه اعتبرها مستأنفة لترتيب الخبر، وعنده نظرةٌ معنويةٌ أيضًا وهي أن الله احتج عليهم وعلى كفرهم بقوله: كيف وقعتم في الكفر بالله والحال أنكم كنتم (أمواتا) وهذا تقرون به، (فأحياكم) وهذا تقرون به أيضًا أن الله أحياكم من العدم، (ثم يميتكم) وهذا تقرون به أيضًا بأن الله يميتكم متى شاء، ثم وقفوا هنا، (ثم يحييكم) هذا الذي كانوا ينكرونه من البعث والنشور، فلذلك الاحتجاج عليهم بما يعلمونه ويقرون به، فنقف على (ثم

يميتكم) أما ما بعد موتهم فهم ينكرونه أصلاً، فهو قام مقام الإخبار أن الله سيحييكم ثم إليه ترجعون، فلذلك وقفوا هنا (ثم يميتكم).

ومن وقف (ثم يحييكم) أيضًا قاسها نفس القياس، أنكم كنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، قالوا: مثل قول الله تعالى (قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)، ثم إليه ترجعون أي للحساب والجزاء، وهذا فُصل لكونه محل إنكارهم.

والحقيقة إذا نظرنا إلى الأمر المعنوي في هذه الآية، الكفار كان كثيرٌ منهم ينكر أن يكون الله سبحانه وتعالى يميته، (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) أي تصاريف الأيام هي التي تهلكنا ونموت قدرًا دون أن يكون هناك إماتةٌ مقصودةٌ من الله سبحانه وتعالى لقصد الجزاء والحساب فيما بعد ذلك.

وبناء على هذا نقول أن الوقف على (فأحياكم) هو الأفضل، ومن وصل الآية كاملةً فقد أتى بالكمال، لكن إذا نظرنا إلى احتجاج الله عليهم لما قال (كيف تكفرون بالله) فتتمة الاحتجاج (وكنتم أمواتا فأحياكم) انتهى الاحتجاج هنا، ثم قال (ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) إخبارًا لهم بمصيرهم وما سيلاقونه في قادم الأيام، والله أعلم.

بقيت معنا الآية الأخيرة (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) هل يصح الوقف هنا أو لا؟

من العلماء من صحّح الوقف هنا، وهو وقفٌ عند الهبطي والأشموني والداني وغيرهم، قالوا يبتدئ (ثم استوى إلى السماء)، وحملوا (ثم) هنا على تعداد النعم لا على الترتيب، وبالتالي لم يجعلوها عاطفةً فأجازوا الوقف قبلها، بأن الله يمتن علينا بأنه خلق لنا ما في الأرض جميعًا، ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات.

وهذا القول خطأٌ، لأن أصحابه كأنهم يميلون إلى أنه لا ترتيب بين أفعال الله سبحانه وتعالى وهذا خطأٌ، ولا شك أن أفعال الله سبحانه وتعالى وما حصل منه من خلق السموات والأرض حصل فيها ترتيب، كما قال تعالى: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا) فلا شك أن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، فثم هنا للترتيب وليست لمجرد تعداد النعم، وإذا كانت للترتيب فهي عاطفةٌ، وإن كانت عاطفةً فلا وقف هنا.

إذًا إذا قلنا أنه لا وقف هنا، أين الوقف في هذه الآية؟ الوقف الصحيح (فسواهن سبع سموات).

طالت الآية، والقارئ في الغالب إذا طالت الآية يحتاج إلى موضعٍ يقف فيه وقفًا حسنًا ثم يعود ويربط الآية حتى يصل إلى موضع الوقف الصحيح، فأين موضع الوقف الحسن هنا.

هل يقف ويقول (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى) أو (ثم استوى إلى السماء)؟

الصحيح ولا شك أن يقف (ثم استوى إلى السماء) ولا يقف (ثم استوى)، وقد ذكرت في مقطع تصحيح التلاوة أن هذا الوقف وقفٌ قبيحٌ، والسبب في ذلك أن (استوى) تختلف معانيها بحسب الحرف الذي تُعدّى بها، كما ذكر ذلك الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره، وسبقه إليها ابن القيم رحمه الله.

فاستوى إذا وقفنا عليها (ثم استوى) بدون حرف التعدية الذي هو (إلى) صار المعنى ثم كمُل ثم تمّ، وهذا قبيحٌ في ذات الله سبحانه وتعالى، تعالى الله عن ذلك. كأن القارئ يقول: أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا ما في الأرض جميعًا ثم كمل وتمّ هو سبحانه، وهذا ظاهر القبح، وهذا يقع من كثيرٍ من القراء فينبغي التنبه له، إن ضاق بك النفس قف على (جميعا) ولا تقف (ثم استوى)، وإن استطعت أن تصل إلى (إلى السماء) فهو أولى، ثم ترجع وتربط (ثم استوى إلى السماء)، لان معنى استوى بدون تعديتها بحرف معناها كمُل وتمّ، كما قال الله (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا) استوى هنا لم تُعدّ بحرف فصار المعنى هنا كمُل ونضج وبلغ سن الرشد، أما (استوى إلى السماء) أي: قصد إلى خلق السماء، واستوى على العرش بمعنى علا عليه وارتفع، فاختلفت معانيها باختلاف الحرف الذي تُعدى بها.

هذا خلاصة ما يمكن أن يقال في الوقف والابتداء في هذه الآيات، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٢١-٢٩

دلالة (يا أيها الناس) و (يا أيها الذين آمنوا)

أخرج البزار والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال: ما كان يا أيها الذين آمنوا فهو أنزل بالمدينة، وما كان: يا أيها الناس فهو أنزل بمكة. وروي نحو ذلك ... من قول علقمة.... وعن الضحاك مثله.... وعن عروة وعكرمة. فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٠).

قال مكي بن أبي طالب: وهذا قول جرى من علقمة على معنى أن الأكثر كذلك، وليس يصحب ذلك في كل القرآن، بل " قد " يكون في المدني {يا أيها الناس} وفي المكي {يا أيها الذين آمَنُواْ} . ولكن ما كان فيه {يا أيها الذين آمَنُواْ} فهو مدني. الهداية الى بلوغ النهاية (٣/ ١٥٥١)

وقال القرطبي: وهذا يرده أن هذه السورة والنساء مدنيتان وفيهما يا أيها الناس. وأما قولهما في" يا أيها الذين آمنوا" فصحيح. تفسير القرطبي (١/ ٢٢٥)

لطيفة في ترتيب النِعم الدالة على وجوب عبادة الله وحده

قال البقاعي: ورتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب، قدم الإنسان لأنه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدعى إلى الشكر، وثنى بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، وثلث بالأرض لأنها مسكنه الذي لا بد له منه، وربع بالسماء لأنها سقفه، وخمس بالماء لأنه كالأثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٤٦).

وقال: ولما أمر بعبادته وذكرهم سبحانه بما يعلمون أنه فاعله وحده حسن النهي عن أن يشرك به ما لا أثر له في شيء من ذلك بفاء التسبب عن الأمرين كليهما قال معبراً بالجلالة على ما هو الأليق بالتوبيخ على تألّه الغير {فلا تجعلوا لله} أي ما إحاطته بصفات الكمال. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٥١)

لطيفة دعوية:

قال ابن عثيمين: ينبغي لمن خاطب أحداً أن يبين له ما تقوم به عليه الحجة؛ لقوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون} ، ولقوله تعالى في صدر الآية الأولى: {اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم} [البقرة: ٢١] ؛ فإن قوله تعالى: {الذي خلقكم والذين من قبلكم} [البقرة: ٢١] فيه إقامة الحجة على وجوب عبادته وحده؛ لأنه الخالق وحده. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٨٠)

وجوه إعجاز القرآن:

قال ابن عثيمين: معجز بجميع وجوه الإعجاز؛ لأنه كلام الله، وفيه من وجوه الإعجاز ما لا يدرك؛ فمن ذلك:

أولاً: قوة الأسلوب، وجماله؛ والبلاغة، والفصاحة؛ وعدم الملل في قراءته؛ فالإنسان يقرأ القرآن صباحاً، ومساءً. وربما يختمه في اليومين، والثلاثة. ولا يمله إطلاقاً؛ لكن لو كرر متناً من المتون كما يكرر القرآن ملّ..

ثانياً: أنه معجز بحيث إن الإنسان كلما قرأه بتدبر ظهر له بالقراءة الثانية ما لم يظهر له بالقراءة الأولى..

ثالثاً: صدق أخباره بحيث يشهد لها الواقع؛ وكمال أحكامه التي تتضمن مصالح الدنيا، والآخرة؛ لقوله تعالى: {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً} (الأنعام: ١١٥)

رابعاً: تأثيره على القلوب، والمناهج؛ وآثاره، حيث ملك به السلف الصالح مشارق الأرض، ومغاربها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٨٨)

سبب نزول: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها):

عن قتادة قال: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله الآية (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها). أخرجه ابن جرير (١/ ٣٩٩) وابن أبي حاتم (١/ ٦٩)

عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين - يعني قوله: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" وقوله: "أو كصيب من السماء"، الآيات الثلاث - قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة" إلى قوله: "أولئك هم الخاسرون". تفسير الطبري (١/ ٣٩٩)

فوائد ضرب الأمثال في القرآن:

في القرآن أكثر من أربعين مثَلا، منها تسعة في سورة البقرة.

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

قال ابن القيم: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر. بدائع الفوائد (٤/ ٩)

المراد بضرب المثل بالبعوضة:

عن الربيع بن أنس، في قوله تعالى: "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها". قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا، إن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن: إذا امتلأوا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك. قال: ثم تلا (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) تفسير الطبري (١/ ٣٩٩)

لطائف لغوية:

قال الشنقيطي في قول الله تعالى: (ولهم فيها أزواج مطهرة) الأزواج: جمع زوج بلا هاء في اللغة الفصحى، والزوجة بالهاء لغة: لا لحن كما زعمه البعض. وفي حديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها زوجتي» أخرجه مسلم.

ومن شواهده قول الفرزدق: [الطويل]

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي ... كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقول الآخر: [الكامل]

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي ... والظاعنون إلي ثم تصدعوا. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٩)

قال ابن عثيمين: لفظ الكثير لا يدل على الأكثر؛ لقوله تعالى: {يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً} ؛ فلو أخذنا بظاهر الآية لكان الضالون، والمهتدون سواءً؛ وليس كذلك؛ لأن بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون من الألف ضالون؛ وواحد من الألف مهتدٍ، فكلمة: {كثيراً} لا تعني الأكثر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٠٠).

قال البقاعي: {ويهدي به كثيراً} أي ببركة اعتقادهم الخير وتسليمهم له الأمر يهديهم ربهم بإيمانهم فيفهمهم المراد منه ويشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به إيمانـاً وطمأنينة وإيقانـاً، والمهديون كثير في الواقع قليل بالنسبة إلى الضالين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٢٠٧)

لطائف متنوعة:

قال ابن تيمية: ولفظ العبد في القرآن: يتناول من عبد الله، فأما عبد لا يعبده فلا يطلق عليه لفظ عبده. كما قال: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} وأما قوله {إلا من اتبعك من الغاوين} فالاستثناء فيه منقطع، كما قاله أكثر المفسرين والعلماء، وقوله: {عينا يشرب بها عباد الله} {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} {واذكر عبدنا داود} و {نعم العبد إنه أواب} {واذكر عبدنا أيوب} {واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب} {فوجدا عبدا من عبادنا} {سبحان الذي أسرى بعبده} {إنه كان عبدا شكورا} {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا} {فأوحى إلى عبده ما

أوحى} {وأنه لما قام عبد الله يدعوه} {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده} . ونحو هذا كثير. مجموع الفتاوى (١/ ٤٣)

قال ابن عاشور: أكمل محاسن الجنات جريان المياه في خلالها وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على أنه من أنفس المناظر. التحرير والتنوير (١/ ٣٥٤) وهذا رد في القرآن أكثر من ثلاثين مرة

قال الشنقيطي: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) هذه الحجارة قال كثير من العلماء: إنها حجارة من كبريت. وقال بعضهم: إنها الأصنام التي كانوا يعبدونها. وهذا القول يبينه ويشهد له قوله تعالى: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٨)

قال ابن القيم في قول الله تعالى: (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات...) جمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه. التفسير القيم لابن القيم (ص ١٣١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فوائد سورة البقرة ٢١-٢٩

١- أول أمر في القرآن، وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، كما في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٣). وأول نهي في القرآن: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون). وهو أول واجب على العباد، وأول ما يُدعى إليه الناس.

قال ابن القيم: كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. مدارج السالكين (٣/ ٤١٧).

قال ابن جُزي: اعبدوا ربكم يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا . التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٤)

٢- قال ابن عثيمين: ينبغي لمن أراد أن يضيف الشيء إلى سببه أن يضيفه إلى الله مقروناً بالسبب، مثل لو أن أحداً من الناس غرق، وجاء رجل فأخرجه. أنقذه من الغرق؛ فليقل: أنقذني الله بفلان؛ وله أن يقول: أنقذني فلان؛ لأنه فعلاً أنقذه؛ وله أن يقول: أنقذني الله ثم فلان؛ وليس له أن يقول: أنقذني الله وفلان؛ لأن هذا تشريك مع الله؛ ويدل لهذا. أي الاختيار أن يضيف الشيء إلى الله مقروناً بالسبب. أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الغلام اليهودي للإسلام وكان هذا الغلام في سياق الموت، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلم، فأسلم؛ لكنه أسلم بعد أن استشار أباه: التفت إليه ينظر إليه يستشيره؛ قال: "أطع أبا القاسم". أمر ولده أن يسلم، وهو لم يسلم في تلك الحال، أما بعد فلا ندري، والله أعلم؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"، وهكذا ينبغي لنا إذا حصل شيء بسبب أن نضيفه إلى الله تعالى مقروناً ببيان السبب؛ وذلك؛ لأن السبب موصل فقط. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٧٨)

٣- قال الشنقيطي: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت(لعله يقصد براهين التوحيد)، وبينها مفصلة في آيات أخر:

الأول: خلق الناس أولا المشار إليه بقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) ؛ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) الآية، وقوله: (كما بدأنا أول خلق نعيده)... ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) الآية، وقوله: (ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)، ثم رتب على ذلك الدليل بقوله: (فوربك لنحشرنهم) الآية إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المشار إليه بقوله: (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى. وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس)، وقوله: (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)...إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله: (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وأوضحه في آيات كثيرة كقوله: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير)، وقوله: (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)، يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظاما رميما... إلى غير ذلك من الآيات. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٧)

٤- نقل ابن تيمية عن ابن رشد قوله: فأما الآيات التي تجمع الدلالتين (الاختراع والعناية) فهي كثيرة أيضًا، بل هي الأكثر مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) } [البقرة: ٢١] إلى قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) } [البقرة: ٢٢] فإن قوله: {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) } [البقرة: ٢١] تنبيه على دلالة الاختراع، وقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [البقرة: ٢٢] تنبيه على دلالة العناية. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٤٩٧)

٥- قال ابن تيمية: ولما زعموا أن هذا القرآن هو ألّفه، قال الله تعالى: {أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين} [الطور: ٣٣] .

ثم تحداهم بعشر سور فقال تعالى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون} [هود: ١٣ - ١٤] .

ثم تحداهم بسورة واحدة فقال: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا} [البقرة: ٢٣] . وقال تعالى أيضا: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله} [يونس: ٣٨] .

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به ثم سجل على جميع الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} [الإسراء: ٨٨] .

فأخبر من ذلك الزمان أن الإنس والجن إذا اجتمعوا لا يقدرون على معارضة القرآن بمثله، فعجز لفظه ومعناه ومعارفه وعلومه أكمل معجزة وأعظم شأنا، والأمر كذلك فإنه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم وحرصهم على إبطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام أن يأتوا بمثله. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

قال ابن كثير: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا أي: ولن تفعلوا ذلك أبدا، وهذه -أيضا-معجزة أخرى، وهو أنه أخبر أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبدا وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن، وأنى يتأتى ذلك لأحد. تفسير ابن كثير (١/ ١٩٩)

٦- قال الألوسي: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (٢٤) وبدأ سبحانه بالناس لأنهم الذين يدركون الآلام أو لكونهم أكثر إيقادا من الجماد لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم ولأن في ذلك مزيد التخويف . روح المعاني (١/ ٢٠١)

٧- عن ابن عباس قال: لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا، إلا الأسماء. وفي لفظ: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء... وقال عبد الرحمن بن زيد، في قوله:"وأتوا به متشابها"، قال: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا، التفاح بالتفاح والرمان بالرمان، قالوا في الجنة: "هذا الذي رزقنا من قبل" في الدنيا،"وأتوا به متشابها" يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم. تفسير الطبري (١/ ٣٩٢)

٨- قال ابن كثير في قوله تعالى: {وهم فيها خالدون} هذا هو تمام السعادة، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام. تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٦)

٩- قال ابن عثيمين: فضيلة الإيمان، وأن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عزّ وجلّ بعقله؛ لقوله تعالى: {فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم}، ولا يعترضون، ولا يقولون: لِم؟، ولا: كيف؟؛ يقولون: سمعنا، وأطعنا، وصدقنا؛ لأنهم يؤمنون بأن الله عزّ وجلّ له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر.... وديدن الكافرين الاعتراض على حكم الله، وعلى حكمة الله؛ لقوله تعالى: {وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلًا} ؛ وكل من اعترض ولو على جزء من الشريعة ففيه شبه بالكفار. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٩٩)

١٠- قال ابن تيمية: وسعد بن أبي وقاص وغيره أدخلوا في هذه الآية أهل الأهواء كالخوارج. وكان سعد يقول: هم من {الفاسقين} {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل} ولم يكن علي وسعد وغيرهما من الصحابة يكفرونهم. وسعد أدخلهم في هذه الآية لقوله: {وما يضل به إلا الفاسقين} وهم ضلوا به بسبب تحريفهم الكلم عن مواضعه وتأويله على غير ما أراد الله. فتمسكوا بمتشابهه وأعرضوا عن محكمه وعن السنة الثابتة التي تبين مراد الله بكتابه. فخالفوا السنة وإجماع الصحابة مع ما خالفوه من محكم كتاب الله تعالى. ولهذا أدخلهم كثير من السلف في الذين {يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} {الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا}. مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧٣)

١١- قال الشنقيطي: (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) لم يبين هنا هذا الذي أمر به أن يوصل، وقد أشار إلى أن منه الأرحام بقوله: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) وأشار في موضع آخر إلى أن منه الإيمان بجميع الرسل، فلا يجوز قطع بعضهم عن بعض في ذلك بأن يؤمن ببعضهم دون بعضهم الآخر. وذلك في قوله: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا). أضواء البيان (١/ ١٩).

١٢- قال ابن عثيمين في قول الله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا): فيه منّة الله تعالى على عباده بأن خلق لهم ما في الأرض جميعـًا؛ فكل شيء في الأرض فإنه لنا. والحمد لله. والعجب أن من الناس من سخر نفسه لما سخره الله له؛ فخدم الدنيا، ولم تخدمه؛ وصار أكبر همه الدنيا: جمع المال، وتحصيل الجاه، وما أشبه ذلك. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ٢١-٢٩

١- حقّق العبودية لربك في حياتك، بعبادته وحده لا شريك له، واسعَ في تكميل هذه العبودية حتى تصل بك إلى تحقيق التقوى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون).

٢- تفكّر في مخلوقات الله من حولك، وفي ما أنعم به عليك في نفسك، وما هيّأه لك من أسباب العيش الرغيد، ثم أدّ شكر نعمه بقلبك ولسانك وجوارحك، وأساس الشكر ورأسه: توحيده بالعبادة وعدم اتخاذ الأنداد له؛ فهو المنعِم عليك بكل نعمة صغرت أو كبرت (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون).

٣- اجعل إيمانك بالقرآن وأنه منزّل من عند الله أتمّ إيمان وأكمله، متذكرا أن الله قد تحدّى به فصحاء العرب فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله؟! (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين).

٤- اجعل بينك وبين النار وقاية بفعل الطاعات وترك المحرمات، وأعظم الطاعات المنجية من النار تحقيق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر في قلبك (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة).

٥- تفكّر في نعيم الجنة، وما أعدّه الله لأهلها من النعيم الوفير والخير الكثير، من الأنهار والأرزاق والثمرات، والزوجات المطهرات، مع الخلود في هذا النعيم، ليكون ذلك حافزا لك على الإيمان والعمل الصالح، (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون).

٦- تأمّل في الأمثال التي ضربها الله في القرآن، واعلم أنها حق من عند الله، لتكون سببا لرقيّك في درجات الهداية، واحذر من الاعتراض على شيء منها، فذلك من فعل الكفار والمنافقين (إن الله

لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا).

٧- تجنّب صفات الفاسقين، ومن أهمها: نقض عهد الله من بعد ميثاقه بالشرك والكفر، وقطع ما أمر الله بصلته من الوالدين والأرحام، والإفساد في الأرض بالقتل والزنى والسرقة وقطع الطريق، فاحرص على السلامة منها كلها حتى لا تكون من الخاسرين (وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون).

٨- الله سبحانه هو الذي خلق الموت والحياة، وهو الذي يحيي ويميت، فاعبده وحده، واعلم أنك إليه راجع يوم القيامة للحساب والجزاء (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون).

٩- تمتّع بما خلق الله لك مما في الأرض جميعا، واشكر نعمة الله عليك في ذلك (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا).

١٠- الله الذي خلقك وخلق السماوات والأرض وما بينهما هو العليم بما خلق، فاسأله أن يعلّمك ما ينفعك من أمور دينك ودنياك (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البقرة (٣٠-٣٩) من تفسير السعدي

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}.

هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض.

فقالت الملائكة عليهم السلام: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} بالمعاصي {وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [و] هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان [شدة] مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، {وَنُقَدِّسُ لَكَ} يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة.

قال الله تعالى للملائكة: {إِنِّي أَعْلَمُ} من هذا الخليفة {مَا لا تَعْلَمُونَ}؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك.

ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى أن يبين لهم من فضل آدم، ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه فـ {عَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا} أي: أسماء الأشياء، وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة.

{ثُمَّ عَرَضَهُمْ} أي: عرض المسميات {عَلَى الْمَلائِكَةِ} امتحانا لهم، هل يعرفونها أم لا؟ {فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة.

{قَالُوا سُبْحَانَكَ} أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك. {لا عِلْمَ لَنَا} بوجه من الوجوه {إِلا مَا عَلَّمْتَنَا} إياه، فضلا منك وجودا، {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} العليم: الذي أحاط علما بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم؛ وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

فحينئذ قال الله: {يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة؛ فعجزوا عنها، {فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} تبين للملائكة فضل آدم عليهم؛ وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة، {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وهو ما غاب عنا؛ فلم نشاهده، فإذا كان عالما بالغيب؛ فالشهادة من باب أولى، {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ} أي: تظهرون {وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} .

ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم؛ إكراما له وتعظيما؛ وعبودية لله تعالى، فامتثلوا أمر الله؛ وبادروا كلهم بالسجود، {إِلا إِبْلِيسَ أَبَى} امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} وهذا الإباء منه والاستكبار؛ نتيجة الكفر الذي هو منطوٍ عليه؛ فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره.

وفي هذه الآيات من العبر والآيات: إثبات الكلام لله تعالى؛ وأنه لم يزل متكلما؛ يقول ما شاء؛ ويتكلم بما شاء؛ وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالوجب عليه: التسليم؛ واتهام عقله؛ والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة؛ وإحسانه بهم؛ بتعليمهم ما جهلوا؛ وتنبيههم على ما لم يعلموه.

وفيه فضيلة العلم من وجوه:

منها: أن الله تعرّف لملائكته؛ بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرّفهم فضل آدم بالعلم؛ وأنه أفضل صفة تكون في العبد، ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم؛ إكراما له؛ لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير؛ إذا عجزوا عما امتحنوا به؛ ثم عرفه صاحب الفضيلة؛ فهو أكمل مما عرفه ابتداء، ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن؛ وبيان فضل آدم؛ وأفضال الله عليه؛ وعداوة إبليس له؛ إلى غير ذلك من العبر.

{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} .

لما خلق الله آدم وفضّله؛ أتم نعمته عليه؛ بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها؛ ويستأنس بها؛ وأمرهما بسكنى الجنة؛ والأكل منها رغدا؛ أي: واسعا هنيئا، {حَيْثُ شِئْتُمَا} أي: من أصناف الثمار والفواكه؛ وقال الله له: {إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى} .

{وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} نوع من أنواع شجر الجنة؛ الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحانا وابتلاء [أو لحكمة غير معلومة لنا] {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} دل على أن النهي للتحريم؛ لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه؛ حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه. {وَقَاسَمَهُمَا} بالله {إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} فاغترا به وأطاعاه؛ فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد؛ وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة. {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} أي: آدم وذريته؛ أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم أن العدو؛ يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق؛ وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان كما قال تعالى

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا} .

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال: {وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} أي: مسكن وقرار، {وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكنا حقيقيا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

{فَتَلَقَّى آدَمُ} أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله {مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} وهي قوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته {فَتَابَ} الله {عَلَيْهِ} ورحمه {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ} لمن تاب إليه وأناب. وتوبته نوعان: توفيقه أولا، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانيا. {الرَّحِيمُ} بعباده، ومن رحمته بهم، أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح.

{قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} .

كرر الإهباط، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى} أي: أيَّ وقت وزمان جاءكم مني -يا معشر الثقلين- هدى، أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني؛ ويدنيكم من رضائي، {فمن تبع هداي} منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر والاجتناب للنهي، {فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} .

وفي الآية الأخرى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} **فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء:**

نفي الخوف والحزن: والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام.

وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداه، فكفر به، وكذب بآياته.

فـ {أولئك أصحاب النار} أي: الملازمون لها، ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه، {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} لا يخرجون منها، ولا يفتّر عنهم العذاب ولا هم يُنصرون.

وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (٣٠-٣٩)

الكلمة	المعنى
خليفة	قومًا يخلف بعضهم بعضا.
ويسفك الدماء	ويريقها عدوانا وظلما.
نسبّح بحمدك	ننزّهك عن كل سوء مُثنِين عليك.
ونقدّس لك	ونمجّدك ونعظّمك. ويحتمل أن يكون معناها: ونقدّس لك أنفسنا، أي: نطهّرها بالأخلاق الجميلة، ونطهّرها من الأخلاق الرذيلة.
الأسماء كلها	أسماء الأشياء كلها، ذواتها وصفاتها وأفعالها.
العليم	الذي أحاط بكل شيء علما
الحكيم	من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به.
أنبِئهم	أخبِرهم.
ما تُبدون	ما تُظهرون.
رغدًا	واسعا هنيئا.
فأزلّهما	فحملهما على الزلل والخطيئة.
مستقرّ	مسكن وقرار.
ومتاعٌ إلى حين	وتمتّعون بما فيها إلى حين انقضاء آجالكم.
فتلقّى	فتلقّف وتلقّن وألهمه الله.
التوّاب	كثير التوبة لمن تاب وأناب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٣٠-٣٩

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله معشر الكرام في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الثلاثين وحتى الآية التاسعة والثلاثين. بعون الله تعالى نبدأ.

أولاً: في الآية الأولى وهي قول الله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة) هل يوجد وقف على قوله (خليفة) أو لا؟

لم ينص كثيرٌ من علماء الوقف والابتداء على وقفٍ هنا، لكن إذا نظرنا للمصاحف وجدنا أن مصحف المدينة وضع عليه علامة (صلى) في هذه الكلمة، وكذلك في وقوف الهبطي وضعت علامة الصاد، وبالنظر إلى الناحية الإعرابية جملة: (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) جملةٌ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًا، فهم أجابوا عن قول الله لهم، لما قال الله لهم: (إني جاعل في الأرض خليفة) قالوا له: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء).

وأنبه هنا إلى أن الأقوال التي تحصل بين جهتين، يحسن الوقف عليها، إلا أن يكون هناك رابطٌ لا بد منه إعرابيًا، فهنا نقول: إنه يحسن الوصل، فلما يأتينا قولٌ قاله شخصٌ ثم أجاب عليه الآخر بقولٍ آخر، كما حصل بين موسى وفرعون وبين إبراهيم والنمرود وغيرهم، كل هذا من الأقوال يحسن الوقف في نهاية قول كل قائلٍ، وهذه قاعدةٌ عامةٌ في الوقف والابتداء، فنقول هنا يحسن الوقف على (خليفة).

طيب إذا أكملنا الآية هل يصح الوقف على (ويسفك الدماء) أو لا يصح؟

بعض العلماء أجاز الوقف هنا وقالوا: إن الجملة الاستفهامية (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) انتهت هنا، ثم بدؤوا قولاً جديدًا وجملةً جديدةً بقولهم: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لكن الأكثر لم يعتبروا هذا وقفًا، لأن الواو في قوله (ونحن نسبح بحمدك) واوٌ حاليةٌ، وهذا هو الأصح، والله أعلم.

طيب حينها أين يقف؟

يقف (ونقدس لك)، لأنه بعدها انتهى قولهم، أجاب الله عنهم فقال (إني أعلم ما لا تعلمون)، وعلى هذا نص أكثر علماء الوقف والابتداء.

الآية التي تليها: قال (وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) هل يقف على (كلها) أو على (الملائكة) أو لا وقف هنا؟

الوقف على (كلها) لا يصح، لماذا؟ لأن (ثم) عاطفة.

طيب، (ثم عرضهم على الملائكة) هل يصح الوقف هنا أو لا يصح؟

الجواب: لا يصح، يعني أن الجملة: عرض على الملائكة الأسماء بقوله: (أنبئوني بأسماء هؤلاء) هذا هو العرض، فهذه الجملة، جملة (فقال أنبئوني) جملة بيانية لقوله: (ثم عرضهم على الملائكة)، وبالتالي لم يصح الوقف.

والسؤال هنا: الآية طويلة، فأين يقف وقفًا حسنًا بحيث يربط الجملة بما قبلها؟ هل يقف ويقول (ثم عرضهم على الملائكة) ثم يعود ويقول (ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء)؟ أو يقف (فقال أنبئوني) أو يقف (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء)؟

هذه ثلاث احتمالات وكلها صحيحةٌ، بمعنى لو وقف وقال: (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) ثم رجع فقال: (ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فوقفه صحيح.

وإن وقف فقال (فقال أنبئوني) ثم رجع فقال (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فهو صحيح أيضا.

وإن وقف: (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) ثم رجع فقال (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فصحيح أيضًا.

لكن لا يقف (فقال أنبئوني بأسماء) لأنه لم يتم الجملة حينئذ، (ثم عرضهم على) لا يصح أيضًا، حتى ولو قلنا أنه يريد أن يعود.

ننتقل إلى الآية التي تليها: (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم).

هنا وقف على قوله (علّمتنا) وضعت فيها علامة (صلى) في مصحف المدينة، وهو حسنٌ عند بعض العلماء، وكافٍ عند آخرين. لكن إذا تأملنا هنا، الملائكة ماذا قالوا؟ (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) هل انتهى قولهم؟

الجواب: لا، لم ينته قولهم، إنما أتموا فقالوا (إنك أنت العليم الحكيم)، فهذا تتمة قولهم، وهذه الجملة جملةٌ تعليليةٌ، لا علم لنا إلا ما علمتنا وأنت العليم الحيكم، فحتى لو وضعت علامة (صلى) هنا فلا شك أن الوصل أولى، لأنه تتمةٌ لقول الملائكة، وللارتباط الواضح الموجود بضمير المخاطب في قوله (إنك أنت) إلى آخر الآية.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) هل هنا وقفٌ أو لا؟

نعم يصح الوقف على هذا، لأنه انتهى قول الله لآدم هنا، قال لآدم (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) فانتهى قول الله، والآن بدأ فعل آدم عليه السلام قال (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم).

طيب، هل يصح الوقف على (أنبأهم بأسمائهم) الثانية؟ يعني: فلما أنبأهم آدم بأسمائهم؟

الجواب: لا يصح، لأن (لما) هنا شرطية، فجواب الشرط (قال ألم أقل لكم) أي قال الله (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) فلا يصح الوقف على (بأسمائهم).

وهل يصح الوقف على (غيب السموات والأرض) أو لا يصح؟

لا يصح الوقف أيضًا هنا، لأن ما بعدها تتمةٌ لقول الله تعالى، والواو عاطفة (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) تتمة لقول الله الذي بدأ من قوله: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) إلى آخر الآية.

لكن أين الوقف الحسن هنا؟ طالت الآية، من قوله: (فلما أنبأهم) قلنا لا وقف إلى نهاية الآية، فأين الوقف الحسن؟

إما أن يقف على: (قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) وهذا هو الأحسن، ثم يعود ويقول (قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)، ويمكن أن يقف على: (قال ألم أقل لكم) إن اضطرّ وضاق عليه النفس.

أنتقل إلى الآية التي بعدها: وهي من أهم الآيات، وتحتاج إلى تركيز في موضع الوقف فيها.

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) أين الوقف هنا؟

في هذه الآية خلافٌ طويلٌ، فمنهم من قال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقفٌ، كما نص عليه زكريا الأنصاري في (المقصد)، وبعضهم قال (فسجدوا) كما هو عند الهبطي، وبعضهم قال (إلا إبليس) نص عليه الأشموني، وبعضهم قال (أبى واستكبر)، واعتبروا الواو بعدها واو اعتراضية، فهي أربعة مواضع قبل رأس الآية اختلف العلماء في الوقف فيها.

نأتي إليها موضعًا موضعًا.

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فما الذي حصل منهم؟ حصل منهم أنهم سجدوا، فجملة (فسجدوا) جملة سببية أنهم لما قيل لهم اسجدوا لآدم سجدوا، فالصحيح أنه لا وقف على اسجدوا لآدم.

طيب، هل يوجد وقف على (فسجدوا) الذي عليه عامة علماء الوقف والابتداء أنه لا وقف، لأن (إلا) استثناء، ولا وقف قبل (إلا) مطلقًا، إلا أن يكون الاستثناء استثناءً منقطعًا، يعني ليس من جنس المستثنى منه، وهذا هو الذي نظر إليه الهبطي وغيره لما صححوا الوقف هنا، فالاستثناء هنا عندهم بمعنى (لكن)، يعني كأن الجملة وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا يعني جميع الملائكة سجدوا وانتهت الجملة، لكن إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، فلذلك أجازوا الوقف، لكن عامة العلماء يرون أنه استثناءٌ متصلٌ، وأن الأصل عدم الوقف قبله، وإن كان إبليس ليس من جنس الملائكة إلا أنه داخلٌ في الخطاب الذي وجّه إلى الملائكة لكونه كان معهم حينئذٍ.

طيب، فإن لم يقف هنا أين يقف؟ هل يقف على (إلا إبليس)؟

ننظر إلى الجملة التي بعدها، وهي (أبى واستكبر وكان من الكافرين) (أبى واستكبر) جملةٌ مستأنفةٌ لكنها في محل نصبٍ على الحال، وبناءً عليه لا وقف هنا أيضًا.

طيب، بعد (واستكبر) هل هناك وقف قبل (وكان من الكافرين)؟

الواو هنا حالية، يعني والحال أنه (كان من الكافرين)، أو يقال: إنها واو اعتراضية لبيان حاله التي كان عليها من قبل، وكان يخفي حاله، فكأنه قال اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم، لكنّ إبليس أبى واستكبر وقد كان من قبلُ من الكافرين، فالذي حصل من إبليس أثناء الأمر بالسجود أنه أبى واستكبر، أما (كان من الكافرين) هذا إما أن نجعله بيانًا لحاله الذي ترتب على امتناعه عن السجود، أو نجعله جملةً معترضةً لبيان حاله التي كان يخفيها من قبل، لكن الأصح أنها جملةٌ حاليةٌ، وبناءً عليه لا وقف هنا أيضًا في الآية، والله أعلم.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) ثم قال (وكلا منها رغدًا حيث شئتما) ثم قال (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) هذه ثلاث جمل معطوفات على بعضها، فهل هناك وقفٌ بينها أو لا؟

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) هذا هو الأمر الأول والجملة الأولى، ثم قال (وكلا منها رغدًا حيث شئتما) جملةٌ معطوفةٌ. وقد سبق لنا الكلام في الجمل المعطوفة، لكن هاتين جملتين معطوفتين عطفًا واضحًا دون ارتباطٍ لأحد الجملتين بمعنًى خاص، يعني هما أمران، وكل أمرٍ موجهٍ إلى نفس الأمر، من حيث النعيم الذي أُمر بالسكن فيه، نعيم الجنة.

لكنّ الجملة الثالثة وهي قول الله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) اختلفت عن الجملتين السابقتين باختلافين: الاختلاف الأول أنها ارتبطت بنتيجة، بمعنى قال: (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فهذه النتيجة خاصة بالجملة الثالثة، ولا علاقة لها بالجملتين السابقتين. والاختلاف الثاني أنها نهيٌ، والجملتين السابقتين أمرٌ، فلما اختلفت أجاز جمعٌ من علماء الوقف والابتداء الوقف هنا منهم الأشموني والأنصاري، والهبطي أيضًا وضع علامة هنا، وهو الصحيح، والله أعلم.

أنتقل إلى الآية التي تليها: وهي قول الله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) هل يصح الوقف على (فأزلهما الشيطان عنها)؟

الجواب: لا، لأن النتيجة (فأخرجهما) فاءٌ سببيةٌ أو عاطفةٌ، وعلى كلا الحالين لا يصح الوقف قبلها (فأخرجهما مما كانا فيه)، وهل يصح الوقف على (فيه) هنا؟ نعم يصح الوقف على (فيه)، وهو الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء من صحة الوقف عليها.

ثم قال: (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) هل يصح الوقف على (اهبطوا)؟

صحح الوقف عليه الداني وابن الأنباري والهبطي، واعتبروا جملة: (بعضكم لبعض عدوٌّ) جملة مستأنفة إخبارٌ عن أن بعضهم لبعض عدو، و(بعضكم) مرفوع بالابتداء، فقالوا: الوقف أن تقف في هذه الآية (فأخرجهما مما كانا فيه)، (وقلنا اهبطوا) (بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) هكذا الوقف الذي نص عليه جمع من علماء الوقف والابتداء. ومنهم من منع ذلك وقال: بل جملة (بعضكم لبعض عدو) في موضع حال، فلا وقف قبلها، والأمر فيه سعةٌ، والله أعلم.

(بعضكم لبعض عدوّ) يصح الوقف عليها؛ لأن الواو التي بعدها في قوله (ولكم في الأرض مستقر) تحتمل أن تكون واو استئناف لبيان الحال التي يكونون عليها لما يستقرون في الأرض، وبناء عليه يصح الوقف على (عدو) ولو وصل فهو أفضل، كما أننا نقول ولو وصل: (اهبطوا) فهو أفضل ولا شك.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه) هل هنا وقف أو لا؟

الجواب: نعم يصح الوقف هنا، والجملة التي بعدها (إنه هو التواب الرحيم) جملة مستأنفة.

وقد ذكر أبو عمرو الداني رحمه الله في كتابه (المكتفى) قاعدة مهمة في الوقف فقال: يكفي الوقف قبل (إنّ) المكسورة والابتداء، دون القول والقسَم، ويحسن الابتداء بها في جميع القرآن. يقول (إن) المكسورة يكفي الوقف قبلها إلا أن تكون قولاً، يعين داخلةً في قول قائلٍ، كما سبق معنا الآن في قول الملائكة لما قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك) فـ (إنّ) هنا داخلة في قول الملائكة، فقد يقال بأن الوقف ليس بكافٍ هنا، أما ما عدا هذا ففي عامة القرآن الوقف قبل (إنّ) في غير القول والقسَم يصح ويكون كافيًا، ويحسن الابتداء بها في جميع القرآن دائما إلا إذا كانت الجملة: قالوا إن لا يحسن أن تبدأ بإن بدون قالوا، أو كانت والله إنّ، تالله إنّ، وهنا أيضًا لا يصح الابتداء بإنّ قبل والله وتالله وربك، وما شابه ذلك. هذه بخلاف (أنّ) المفتوحة، (أنَّ) المفتوحة لا يصح الوقف قبلها في عامة القرآن كما أنه لا يصح الابتداء بها.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعًا) هل هنا وقف أو لا؟

نعم يصح الوقف على (جميعا)، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن (فإما) جملةٌ استئنافيةٌ ابتدائيةٌ فيصح الوقف قبلها. ثم بين الله، قال (فإما يأتينكم) يعني لما أهبطوا إلى الأرض (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وهل يصح الوقف على هدى (فإما يأتينكم مني هدًى)؟

الجواب: لا، لأن جواب إن لم يأت بعد، يعني إما يحصل هكذا فافعلوا كذا، هذا تتمة الجملة يعني: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).

هل يصح الوقف على (فلا خوف عليهم) أو لا؟ جوز هذا بعض علماء الوقف والابتداء من باب بيان أن هذا نتيجة حالهم في الدنيا، وأن مآلهم في الآخرة أنهم لا يحزنون ففصلوا بينها، والأصل عدم الفصل بينها؛ لأن الواو واو عاطفة، ولأنهما نتيجتان متلازمتان، فمن تبع هدى الله لا خوف عليه في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يحزن في الدنيا ولا في الآخرة.

في الآية الأخيرة: قول الله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) هل يصح الوقف على (النار)؟

وضعت علامة (صلى) علامة الوصل أولى في مصحف المدينة هنا، وصحح هذا الوقف بعض علماء الوقف والابتداء وقالوا: إن جملة: (هم فيها خالدون) مبتدأٌ وخبرٌ، فهي جملةٌ مستأنفةٌ فيصح الوقف قبلها، لكن زكريا الأنصاري رحمه الله نص على أن هذا الوقف جائز بقبحٍ، لأن الجملة التي بعدها كلها ضمائر (هم فيها خالدون)، فكلها ضمائرٌ فكيف تستقل بنفسها؟ والأصح عدم الوقف هنا بل توصل الآية كاملة. والله تعالى أعلم.

أكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٣٠-٣٩

حكم قول: الإنسان خليفة الله في الأرض

قال ابن تيمية: والله لا يجوز له خليفة؛ ولهذا لما قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله قال: لست بخليفة الله؛ ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي ذلك. بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم {اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل} {اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا} وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف. وسمي " خليفة " لأنه خلَف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب وهو غني يرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعافيهم: بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها. فالله هو الغني الحميد له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما". مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٥)

وقال ابن عطية: "وما يجيء في الشعر من تسمية أحدهم خليفة الله، فذلك تجوز وغلو، ألا ترى أن الصحابة رضي الله عنهم حرروا هذا المعنى فقالوا لأبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهذا كان يدعى مدته، فلما ولي عمر قالوا: يا خليفة خليفة رسول الله، فطال الأمر، ورأوا أنه في المستقبل سيطول أكثر، فدعوه أمير المؤمنين، وقصر هذا الاسم على الخلفاء". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٢)

الجمع بين العلم والحكمة

(إنك أنت العليم الحكيم) يقول ابن القيم: وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته، وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض. بدائع الفوائد (١/ ١٦٣)

تعلّم قول: لا أدري

سئل الشعبي عن مسألة، فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تستحيي من قولك لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟ فقال: لكن الملائكة لم تستحي حين قالوا: {لا علم لنا إلا ما علمتنا}... إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٦٧)

وكان بعض السلف يقول عند الإفتاء: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٩٨)

يقول القرطبي: الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون. تفسير القرطبي (١/ ٢٨٥)

الملائكة لم يعترضوا على خلق آدم:

{..قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك...}

قال ابن كثير: وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، كما قد يتوهمه بعض المفسرين وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك. تفسير ابن كثير (١/ ٢١٦)

دلالة: (وإذ ...) في القرآن:

قال ابن عثيمين: قوله تعالى: {وإذ قلنا} يعني اذكر إذ قلنا؛ ومثل هذا التعبير يتكرر كثيراً في القرآن، والعلماء يقدرون لفظ: "اذكر"، وهم بحاجة إلى هذا التقدير؛ لأن "إذ" ظرفية؛ والظرف لا بد له من شيء يتعلق به إما مذكوراً؛ وإما محذوفـًا؛ وفي نظم الجُمل:

لا بد للجار من التعلق *** بفعل أو معناه نحو مرتقي

ومثله الظرف... تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٢٥)

نوع الاستثناء في قول الله تعالى: (فسجدوا إلا إبليس)

قال الألوسي: والاستثناء متصل لأنه الأصل، لأنه كان جنيا مفردا مستورا فيما بين الملائكة، فأُمر بالسجود معهم، فغُلّبوا عليه في قوله: (فسجد الملائكة) تغليب الذكر على الأنثى، ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا، ونظيره قولك رأيتهم إلا هندا. روح البيان (٤/ ٤٦٢)

دلالة: (وكان من الكافرين):

قال ابن عثيمين: {وكان من الكافرين} : زعم بعض العلماء أن المراد: كان من الكافرين في علم الله بناءً على أن {كان} فعل ماضٍ؛ والمضي يدل على شيء سابق؛ لكن هناك تخريجاً أحسن من هذا: أن نقول: إن "كان" تأتي أحياناً مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقق اتصاف الموصوف بهذه الصفة؛ ومن ذلك قوله تعالى: {وكان الله غفوراً رحيماً}، وقوله تعالى: {وكان الله عزيزاً حكيماً}، وقوله تعالى: {وكان الله سميعاً بصيراً}، وما أشبهها؛ هذه ليس المعنى أنه كان فيما مضى؛ بل لا يزال؛ فتكون {كان} هنا مسلوبة الزمان، ويراد بها تحقيق اتصاف الموصوف بما دلت عليه الجملة؛ وهذا هو الأقرب، وليس فيه تأويل؛ ويُجرى الكلام على ظاهره. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٢٥-١٢٦)

كيد الشيطان للأبوين:

قال ابن القيم: وأما كيده للأبوين: فقد قص الله سبحانه علينا قصته معهما، وأنه لم يزل يخدعهما، ويعدهما، ويمنيهما الخلود في الجنة، حتى حلف لهما بالله جهد يمينه: إنه ناصح لهما، حتى اطمأنا إلى قوله وأجاباه إلى ما طلب منهما، فجرى عليهما من المحنة والخروج من الجنة ونزع لباسهما عنهما ما جرى، وكان ذلك بكيده ومكره الذى جرى به القلم، وسبق به القدر، ورد الله سبحانه كيده عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، فأعادهما إلى الجنة على أحسن الأحوال وأجملها، وعاد عاقبة مكره عليه. {وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ} وظن عدو الله بجهله أن الغلبة والظفر له في هذه الحرب، ولم يعلم بكمين جيش: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفَسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. ولا بإقبال دولة {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}. وظن اللعين بجهله أن الله سبحانه يتخلى عن صفيه وحبيبه الذي خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، من أجل أكلة أكلها.

وما علم أن الطبيب قد علّم المريض الدواء قبل المرض، فلما أحس بالمرض بادر إلى استعمال الدواء، لمّا رماه العدو وبسهم وقع في غير مقتل، فبادر إلى مداواة الجرح، فقام كأن لم يكن به قلبة.

بلى العدو بالذنب فأصر واحتجّ وعارض الأمر، وقدح في الحكمة، ولم يسأل الإقالة، ولا ندم على الزلة. وبلى الحبيب بالذنب فاعترف وتاب وندم، وتضرّع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة، وهو التوحيد والاستغفار، فأزيل عنه العتب، وغفر له الذنب، وقبل منه المتاب، وفتح له من الرحمة والهداية كلّ باب، ونحن الأبناء، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدي لأحسن الشيم. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٠٢-٢٠٣)

وقال ابن تيمية: قال إبليس: " فبما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين " فأصرّ واحتجّ بالقدر، فكان ذلك زيادةً في كفره، وسبباً لمزيد عذابه، وأما آدم عليه السلام فإنه قال: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا

لنكونن من الخاسرين " قال تعالى: " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " فمن استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً. ومن أصرّ واحتجّ بالقدر كان إبليسياً شقياً. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٧٤)

سعة رحمة الله:

قال الألوسي: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم} سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في حين غضبه- كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعدَه سبب قربه- فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه. روح المعاني (١/ ٢٣٩).

لطيفة عامة:

قال ابن عثيمين: لا يمكن العيش إلا في الأرض لبني آدم؛ لقوله تعالى: {ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين}؛ ويؤيد هذا قوله تعالى: {قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون} [الأعراف: ٢٥] ؛ وبناءً على ذلك نعلم أن محاولة الكفار أن يعيشوا في غير الأرض إما في بعض الكواكب، أو في بعض المراكب محاولة يائسة؛ لأنه لابد أن يكون مستقرّهم الأرض. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٣٠-٣٩

وجوب نصب خليفة على الناس:

قال القرطبي: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...) هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة. تفسير القرطبي (١/ ٢٦٤)

فضل التسبيح والتحميد:

(ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

قال ابن تيمية: التسبيح مقرون بالتحميد، والتهليل مقرون بالتكبير، فإن الله تعالى يذكر في غير موضع التسبيحَ بحمده، كقول الملائكة: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ)، وقوله: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)، وقوله تعالى: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)، وقوله: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)، وقوله: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ).

ولا ريبَ أن الصلاة الشرعية تتضمن ما أمر به من التسبيح بحمده، كما قد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في مثل حديث جرير المتفق عليه أنه نظر إلى القمر فقال: "إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تُضَامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ). وأيضًا ففي صحيح مسلم عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه سُئِل أيُّ الكلام أفضل؟ قال: "ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده". وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٧١)

الله منفرد بالتعليم:

قال ابن تيمية: قال - تعالى -: {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}. فنفي أن يعلم أحد شيئا من علمه إلا بمشيئته ليس إلا أنه منفرد بالتعليم، فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحد شيئا إلا بتعليمه، كما قالت الملائكة: {لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم}. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢١٠)

وقال ابن تيمية: {قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم} وقد قال موسى للخضر: {هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا} وقال الخضر لموسى لما نقر العصفور في البحر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر أخرجه البخاري. مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٠)

وقال أبو جعفر الطبري: وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرِّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئًا إلا ما علّمه تعالى ذكره. الطبري (١/ ٤٩٣)

أمْر الله بما هو محرّم في الأصل يجعله عبادة:

قال ابن عثيمين: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...) يدل على أن المحرَّم إذا أمر الله تعالى به كان عبادة قصة إبراهيم عليه السلام، حين أمره الله أن يذبح ابنه إسماعيل فامتثل أمر الله؛ ولكن الله رحمه، ورحم ابنه برفع ذلك عنهما، حيث قال تعالى: {فلما أسلما وتلَّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين}؛ ومن المعلوم أن قتل الابن من كبائر الذنوب، لكن لما أمر الله عزّ وجلّ به كان امتثاله عبادة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٢٦)

أيهما أفضل: الصالحون من البشر أم الملائكة؟

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سئل شيخ الإسلام: عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟

فأجاب: بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة. قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه. مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣).

كفر تارك الصلاة:

قال ابن عثيمين: (وكان من الكافرين) استدل بعض العلماء بهذه الآية على كفر تارك الصلاة؛ قال: لأنه إذا كان إبليس كفر بترك سجدة واحدة أُمر بها، فكيف عن ترك الصلاة كاملة؟! وهذا الاستدلال إن استقام فهو هو؛ وإن لم يستقم فقد دلت نصوص أخرى من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة على كفر تارك الصلاة كفراً أكبر مخرجـًا عن الملة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٢٦)

موجب استكبار إبليس:

قال الشنقيطي: قوله تعالى: (إلا إبليس أبى واستكبر) لم يبين هنا موجب استكباره في زعمه، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)، وقوله: (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون).

تنبيه: مثل قياس إبليس نفسه على عنصره، الذي هو النار وقياسه آدم على عنصره، الذي هو الطين واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم. ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: (اسجدوا لآدم) يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار. وإليه الإشارة بقول صاحب «مراقي السعود»:

والخلف للنص أو إجماع دعا ... فساد الاعتبار كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٣)

إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت:

قال ابن عثيمين: إثبات القول لله عزّ وجلّ لقوله تعالى: {يا آدم} ؛ وأنه بحرف، وصوت مسموع؛ لأن آدم سمعه، وفهمه، فأنبأ الملائكة به؛ وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، والسلف الصالح. أن الله يتكلم بكلام مسموع مترتب بعضه سابق لبعض. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٢٣)

الأمر يأتي للإباحة أحيانا:

قال ابن عثيمين: من فوائد الآية: أن الأمر يأتي للإباحة؛ لقوله تعالى: {وكُلا منها} ؛ فإن هذه للإباحة بدليل قوله تعالى: {حيث شئتما} : خيَّرهما أن يأكلا من أيّ مكان؛ ولا شك أن الأمر يأتي للإباحة؛ ولكن الأصل فيه أنه للطلب حتى يقوم دليل أنه للإباحة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٣٠)

قاعدة سد الذرائع:

قال ابن جزي: {ولا تقربا هذه الشجرة} النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة، فهذا أصل في سد الذرائع. التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٠)

ما الجنة التي أُهبط منها آدم وزوجه عليهما السلام؟

قال ابن تيمية: (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) و " الجنة " التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة: هي جنة الخلد ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والملحدين أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة. والكتاب والسنة يردان هذا القول وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول. قال تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين} {وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} إلى قوله: {وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم عدو لبعض ثم قال: {ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} . وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض وإنما أهبطوا إلى الأرض؛ فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده؛ وكذلك قال في الأعراف لما قال إبليس {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} {قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها} . فقوله: {فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها} يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم؛ فإن الضمير في قوله: {منها} عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ وهذا بخلاف قوله: {اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم} فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه وقال هنا: {اهبطوا} لأن الهبوط يكون من علو إلى سفل. مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٧).

استغفار آدم عليه السلام وما يتضمنه من التوسل:

قال ابن عثيمين: قول الإنسان: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" سبب لقبول توبة الله على عبده؛ لأنها اعتراف بالذنب؛ وفي قول الإنسان: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" أربعة أنواع من التوسل؛ الأول: التوسل بالربوبية؛ الثاني: التوسل بحال العبد: {ظلمنا أنفسنا} ؛ الثالث: تفويض الأمر إلى الله؛ لقوله: {وإن لم تغفر لنا ... } إلخ؛ الرابع: ذكر حال العبد إذا لم تحصل له مغفرة الله ورحمته؛ لقوله تعالى: {لنكونن من الخاسرين} ، وهي تشبه التوسل بحال العبد؛ بل هي توسل بحال العبد؛ وعليه فيكون توسل العبد بحاله توسلاً بحاله قبل الدعاء، وبحاله بعد الدعاء إذا لم يحصل مقصوده . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٣٥)

الهدى من الله:

(فإما يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم...)

قال ابن عثيمين: لا تسأل الهدى إلا من الله عزّ وجلّ؛ لأنه هو الذي يأتي به..

ومن اتبع هدى الله فإنه آمن من بين يديه، ومن خلفه؛ لقوله تعالى: (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
ولا يتعبد لله إلا بما شرع؛ لقوله تعالى: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
ومن تعبد لله بغير ما شرع فهو على غير هدى. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٣٩)

المراد بالخلود:

قال ابن عثيمين: {هم فيها خالدون} أي: ماكثون؛ والمراد بذلك المكث، الدائم الأبدي؛ ودليل ذلك ثلاث آيات في كتاب الله؛ آية في النساء، وآية في الأحزاب، وآية في الجن؛ أما آية النساء فقوله تعالى: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً}؛ وأما آية الأحزاب فقوله تعالى: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً}؛ وأما آية الجن فقوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٤١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العمل بالآيات من سورة البقرة ٣٠-٣٩

١- أيقِن بأن الله سبحانه يتكلم متى شاء كيف شاء مع من شاء كلاما يليق بعظمته وجلاله (وإذ قال ربك للملائكة... قال إني أعلم ما لا تعلمون... فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين... قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم... قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون... وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم... وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة... وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين... قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

٢- آمِن بالملائكة الكرام، واعلم أنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان وأسسه (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم).

٣- احذر من الإفساد في الأرض وسفك الدماء، وكن ممن يعمر الأرض بطاعة الله وتقواه، حتى يباهي الله بك ملائكته (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون).

٤- واظِب على تسبيح الله وتعظيمه، لتتشبّه بالملائكة البررة الكرام (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك).

٥- احرص على طلب العلم، فهو العز والشرف الحقيقي، فبه أظهر الله شرف آدم للملائكة (وعلّم آدم الأسماء كلها)، (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم). واطلب من الله أن يعلّمك فهو الذي يفتح بالعلم على من يشاء (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم).

٦- عوّد نفسك على قول: لا أدري، لا أعلم، في كل ما جهلته أو شككت في حكمه من مسائل الدين، مقتديا بالملائكة الكرام حين قالوا: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا).

٧- كل ما أخفيته عن الناس أو كتمته في صدرك فالله عالم به، فراقبه في إرادتك وقصدك وعملك (قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون).

٨- عداوة إبليس لآدم وذريته قديمة قِدم خلق آدم عليه السلام، فحذارِ أن توالي عدوّك الذي أبى السجود لأبيك، ثم أخرج أبويك من الجنة، واعلم أنه يعدك ويمنّيك بالوعود والأماني الكاذبة، ثم سيتبرأ منك يوم القيامة (فسجدوا إلا إبليس أبى) (فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو).

٩- لا ترفض الحق ولا تتكبر عن قبوله وإن خالف هواك أو جاءك ممن لا تحب، فمعصية إبليس كانت بسبب الإباء والاستكبار، واعلم أن الاستكبار عن قبول الحق يؤدي إلى التمادي في الباطل (إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين).

١٠- المؤمن يشتاق إلى موطنه الأول (الجنة)، ويعمل للعودة إليه (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة).

١١- كن مبادرا للتوبة مثل أبيك آدم عليه السلام، لتكون موفّقا سعيدا، ولا تكن مصرّا معاندا مثل إبليس، فتكون شقيا محروما (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم).

١٢- اتّبع هدى الله الذي أتاك: (القرآن والسنة)، فهما مصدر سعادتك ونجاتك من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (٤٠-٥٠) من تفسير السعدي

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}.

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} المراد بإسرائيل: يعقوب عليه السلام، والخطاب مع فرق بني إسرائيل، الذين بالمدينة وما حولها، ويدخل فيهم من أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، فقال: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} وهو يشمل سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، والمراد بذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي} وهو ما عهده إليهم من الإيمان به، وبرسله وإقامة شرعه. {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} وهو المجازاة على ذلك. والمراد بذلك: ما ذكره الله في قوله: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ [وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي] } إلى قوله: {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} . ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهده، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن مَنْ خشِيَه أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه.

ثم أمرهم بالأمر الخاص، الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به فقال: {وَآمِنُوا بِمَا أَنزلْتُ} وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالإيمان به، واتباعه، ويستلزم ذلك، الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال: {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} أي: موافقا له لا مخالفا ولا مناقضا، فإذا كان موافقا لما معكم من الكتب، غير مخالف لها؛ فلا مانع لكم من الإيمان به، لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم.

وأيضا فإن في قوله: {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم، لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذيبكم له تكذيب لما معكم.

وأيضا، فإن في الكتب التي بأيدكم، صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسول، فقد كذب الرسل جميعهم.

فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال: {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} أي: بالرسول والقرآن.

وفي قوله: {أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} أبلغ من قوله: {ولا تكفروا به} لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال: {وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا} وهو ما يحصل لهم من المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها، إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله واستحبوها، وآثروها. {وَإِيَّايَ} أي: لا غيري {فَاتَّقُونِ} فإنكم إذا اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه، تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل، كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم.

ثم قال: {وَلا تَلْبِسُوا} أي: تخلطوا {الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

ثم قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} أي: ظاهرا وباطنا {وَآتُوا الزَّكَاةَ} مستحقيها، {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية البدنية والمالية.

وقوله: {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ} أي: بالإيمان والخير {وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: {وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} وسمّي العقل عقلا لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك، قد قامت عليه الحجة.

وهذه الآية، وإن كانت نزلت في بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ } . أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور {وَإِنَّهَا} أي: الصلاة {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ} فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له

فعلها، منشرحا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه.

ولهذا قال: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ} أي: يستيقنون {أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ} فيجازيهم بأعمالهم {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه.

ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا. وخوفهم بيوم القيامة الذي {لا تَجْزِي} فيه، أي: لا تغني {نَفْسٌ} ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين {عَنْ نَفْسٍ} ولو كانت من العشيرة الأقربين {شَيْئًا} لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه.

{وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا} أي: النفس، شفاعة لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، {وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} أي: فداء {ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب} ولا يقبل منهم ذلك {وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: {لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} هذا في تحصيل المنافع، {وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع.

{ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل} هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته.

{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} .

هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل فقال: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} أي: من فرعون وملئه وجنوده وكانوا قبل ذلك {يَسُومُونَكُمْ} أي: يولونهم ويستعملونهم، {سُوءَ الْعَذَابِ} أي: أشده بأن كانوا {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ} خشية نموكم، {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} أي: فلا يقتلونهن، فأنتم بين قتيل ومذلل بالأعمال الشاقة، مستحيًا على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمن الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق عدوهم وهم ينظرون لتقر أعينهم.

{وَفِي ذَلِكم} أي: الإنجاء {بَلاءٌ} أي: إحسان {مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره.

واذكروا نعمتنا عليكم، حين فَصَلْنا بسببكم البحر، وجعلنا فيه طرقًا يابسةً، فعبرتم، وأنقذناكم من فرعون وجنوده، ومن الهلاك في الماء. فلما دخل فرعون وجنوده طرقكم أهلكناهم في الماء أمام أعينكم. [من التفسير الميسر].

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البقرة (٤٠-٥٠)

الكلمة	المعنى
إسرائيل	يعقوب عليه السلام
فارهبون	خافونِ
بما أنزلت	بالقرآن
مصدقا لما معكم	موافقا لما عندكم من الكتب المنزّلة على أنبيائكم
أول كافر به	مبادرين للكفر به مع علمكم بصحته
ولا تلبِسوا	ولا تخلطوا
لكبيرة	لشاقّة ثقيلة صعبة
يظنون	يستيقنون
فضّلتكم على العالمين	فضّلتكم على عالمي زمانكم
عدل	فدية
يسومونكم	يذيقونكم
ويستحيون نساءكم	ويبقون نساءكم للخدمة والامتهان
فرقنا بكم	فصلنا وشققنا بسببكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٤٠-٥٠

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية ٤٠ وحتى الآية ٥٠.

قبل أن أبدأ فيما يتعلق بمواضع الوقف والابتداء في هذه الآيات، أحب أن أنبه إلى ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: هل الوقف والابتداء توقيفيٌ أو اجتهاديٌ؟

عامة الوقف والابتداء هو محل اجتهادٍ، ولذلك من طالع كتب الوقف والابتداء لاحظ اختلافًا بيّنًا ظاهرًا بين المصنفين في ذلك، وهذا الاختلاف جزءٌ منه مبنيٌ على اختلاف المفسرين في معنى الآية، واختلاف المعربين في إعرابها، وجزءٌ منه مبنيٌ على أمورٍ معنويةٍ تحسينيةٍ، بمعنى أنه يحسن هذا أو لا يحسن، يحسن أن يبتدئ بهذا حتى لا يوهم معنًى فاسدًا أو يُتوهم من قراءته شيءٌ غير صحيح أو ما شابه ذلك، وإن لم يكن فيه إخلالٌ بأصل المعنى التفسيري.

وبناءً على كونه اجتهاديًا ينبغي أن يراعى أن الاختلاف الذي نجده في المصاحف المطبوعة بين أيدينا في علامات الوقف والابتداء، أنه ليس شيءٌ منها صوابٌ مطلقًا ولا شيءٌ منها خطأٌ مطلقًا، بل طالب العلم يأخذ من كلٍ ما يرى فيه وجه الصواب إن كان يفهم وجهه، فإن لم يكن يفهم فإن له أن يقلّد شيئًا من المصاحف المعمول بها عنده في الوقف والابتداء.

المسألة الثانية: الوقوفات التي أذكرها في هذه الفقرة هل يصح الالتزام بها لمن يقرأ بروايةٍ غير رواية حفص كرواية ورش أو قالون أو غيرهما؟

الجواب: نعم، يصح أن يلتزم بها سواء كان يقرأ بورش أو بغيره، والاختلافات التي تحصل في الوقف والابتداء بسبب اختلاف القراءات قليلةٌ، وسأنبه عليها بإذن الله تعالى في مواضعها، وإلا عامة الوقوفات التي أذكرها هنا هي من قبيل ما يصح الوقف أو لا يصح الوقف فيه عند حفصٍ وعند غيره، والله أعلم.

المسألة الثالثة: لماذا لا نلتزم بالعشر آيات دون زيادةٍ أو نقصانٍ؟

الجواب: أن العشر آيات قد لا تكون نهايتها على قطعٍ صحيحٍ، لا تكون بداية الآيات التي بعدها ابتداءً صحيحًا، ولذلك نراعي أن لا نقع في هذا الخلل، وهذا الخلل قد نبه عليه بعض أئمة التابعين، فقد روي عن ميمون بن مهران رحمه الله أنه قال: إني لأقشعرّ من قراءة أقوامٍ يرى أحدهم حتمًا عليه أن لا يقصر على العشر -يعني: عشر آيات-، ثم قال: إنْ كانت القراء تقرأ القصص طالت أو قصرت، -يعني يقرؤون القصة كاملة طالت أو قصرت، ولا يلتزمون بالعشر آيات

هذا الالتزام-، ثم ذكر حال هؤلاء الذين يلتزمون بالعشر فقال: يقرأ أحدهم اليوم: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) يعني ويقف على هذه، ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ (ألا إنهم هم المفسدون) هذا بناءً على أن (الم) لم تحسب آيةً مستقلةً، فإذا نظرنا إلى هذا فهذا خلل قبيحٌ جدًا وابتداءٌ قبيحٌ، ما معنى (ألا إنهم هم المفسدون) حتى يُبتدأ بها في التلاوة؟

وإذا نظرنا إلى المقطع الذي معنا هذا الأسبوع، فلو أخذنا بالعشر لكان الوقف عندنا على قوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) ثم نبدأ في الأسبوع الجديد بقوله (وآمنوا بما أنزلت) وهو خطابٌ موجهٌ لبني إسرائيل ابتدأه الله بقوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) هذا رأس الآية الأربعين، فلا يصح الوقف هنا، لأن ما بعده تتمة الأوامر لبني إسرائيل.

وهذا الخلل للأسف موجودٌ في علامات الأرباع والأثمان الموجودة في المصاحف التي بين أيدينا، فمثلاً في المقطع الذي بين أيدينا علامة الربع على قول الله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) (أتأمرون الناس بالبر) (أتأمرون) أيضًا تتمة خطابٍ لبني إسرائيل.

نعم نحن نقول أن هناك ما يصعب مراعاته حين يطول الخطاب جدًا أو تطول القصة جدًا، فهذا مما يُعفى عنه ويُتجاوز عنه، لكن ما فرقت فيه آيةٌ أو آيتان وانتهى الخطاب قبل آية أو بعد آية أو آيتين فهذا مما ينبغي مراعاته خاصةً لمن يحفظ القرآن أو يفسّره أو ما شابه ذلك.

هذه مسائل أحببت أن أقدّم بها بين يدي فقرة الوقف والابتداء لهذا المقطع الذي بين أيدينا.

نبدأ بالآية الأولى التي بين أيدينا، وهي قول الله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) هل في الآية وقف؟ هل يصح الوقف على (أنعمت عليكم) وهل يصح على (أوف بعهدكم)؟

أما قول الله تعالى (أنعمت عليكم) فلا يصح الوقف عليها، وهو الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن الواو في (وأوفوا) واو عطف.

طيب، (وإياي فارهبون) أجاز بعض العلماء الوقف هنا كما نص عليه الأشموني والأنصاري، لكن الأنصاري قال: جائزٌ بقبحٍ، أجازوه لأن جملة: (وإياي فارهبون) كأنها وصيةٌ عامةٌ شاملةٌ بعد أن قال لهم (اذكروا نعمتي) (وأوفوا بعهدي) قال: كأنه يقول إن أردتم الصلاح فـ (إياي فارهبون)، لكن عامة العلماء على عدم الوقف هنا، ومن نظر لها نظرةً معنويةً قال: إن الابتداء بقوله (وإياي فارهبون) على وجه من أجاز الوقف قبلها فيه قبحٌ، ووجه القبح أن القارئ كأنه يوهم بهذا طلب الرهبة منه شخصيًا، وهذا أيضًا في الآية التي بعدها (وإياي فاتقون) وإن أجزنا الوقف على من قال بذلك فإن فيه

نوع قبحٍ في الابتداء بقوله (وإياي فاتقون)، وهذا ملحظٌ معنويٌ مهم. وهذا الذي نبهت عليه قبل قليل، قلت يراعون أمورًا ليست من صلب التفسير ولا من صلب النظرة الإعرابية النحوية.

الآية التي تليها: (وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم) (ولا تكونوا أول كافرٍ به) (ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً) (وإياي فاتقون) أربعة جمل معطوفة على بعضها، فهل يصح الوقف بينها أو لا يصح؟

الأصل كما ذكرت سابقًا أنه لا وقف بين الجمل المعطوفات، لكننا وجدنا أن بعض علماء الوقف والابتداء صحّح الوقف على (لما معكم)، وبعضهم صحّح على (أول كافرٍ به)، وهو الوقف المنصوص عليه في وقوفات الهبطي، وكذلك وضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، بينما لم أجد أحدًا نص على الوقف قبل (وإياي فاتقون) إلا من أجاز الوقف قبل (وإياي فارهبون).

فبناءً عليه أقول: إن هذه أوامر وجهت لبني إسرائيل (آمنوا) (ولا تكونوا) (ولا تشتروا) (وإياي فاتقون) الأصل عدم الوقف بينها، وإن وصلها فهو أحسن، لكن نقول أيضًا إن وقف فلا بأس إن شاء الله.

الآية التي تليها قول الله تعالى: (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) هل يصح الوقف على (بالباطل)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن (وتكتموا) مجزومةٌ بالعطف، فالواو واوٌ عاطفةٌ، معطوفةٌ على (تلبسوا)، فجزمت بالعطف، أو يقال: إن الواو هنا واوٌ معية يعني المعنى: ولا تلبسوا الحق بالباطل مع كتمانكم الحق، فتكون (تكتموا) منصوبةً بأنْ المضمرة التي تأتي بعد واو المعية، وأن تكتموا الحق وأنتم تعلمون. وبناءً على الوجهين لا يصح الوقف على (بالباطل).

وهل يصح على (الحق) قبل (وأنتم تعلمون)؟

الجواب: لا يصح، لأن الواو في قول الله تعالى (وأنتم تعلمون) واو حالية.

الآية التي تليها: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) هذه أيضًا ثلاث جملٍ معطوفاتٍ. أكثر ما يواجهنا في الوقف والابتداء الجمل المعطوفات فهل يصح الفصل بينها أو لا يصح؟

ونلاحظ تطبيقيًا أن علماء الوقف والابتداء يختلفون فيها اختلافًا كبيرًا، والقاعدة الكبرى أنه لا يصح الفصل بينها، لكن مع ذلك يراعون أحيانًا أمورًا معنويةً إضافيةً فيصحّحون الوقف.

هنا (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لا وقف بينهما، وهما قرينتان في كتاب الله، التي هي الصلاة والزكاة، لكن الوقف على (الزكاة) قبل (واركعوا مع الراكعين) صحّحه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء منهم الأشموني والأنصاري وهو وقف عند الهبطي. مع اعتبارهم أن (واركعوا) واوٌ عاطفةٌ أو قال بعضهم: إنها استئنافيةٌ، ونظرتهم هنا نظرةٌ معنويةٌ أيضًا،

فكأنهم نظروا إلى أنه قال: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين أمرٌ إضافيٌ متعلقٌ بالصلاة يعني هذه الصلاة اجعلوها جماعةً واركعوا مع الراكعين من عباد الله.

الآية التي تليها: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) أين الوقف؟

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الواو هنا إما أن نقول عاطفة أو حالية، يعني والحال أنكم نسيتم أنفسكم في العمل بالبر الذي أمرتم به الناس، (وأنتم تتلون الكتاب) أيضا واو حالية، يعني كيف تنسون أنفسكم والحال أنكم تتلون الكتاب، وبناءً عليه لا وقف هنا إلى قوله (الكتاب).

(أفلا تعقلون) يصح الوقف قبلها (وأنتم تتلون الكتاب) أجازه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وهو وقفٌ عند الهبطي ووضعت عليه علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة، مع أنه تتمة خطابٍ لهم، لكن هنا قاعدةً مهمةً في الوقف والابتداء وهي أن الاستفهام يحسن الابتداء به غالبًا، ولا يحسن الابتداء به إذا كان ضمن قولٍ مرتبطٍ ارتباطًا وثيقًا بعضه ببعضٍ.

الآية التي بعدها: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين) هل يصح الوقف على (والصلاة)؟

أجازه عامة علماء الوقف والابتداء، ووضعت عليه علامة الوقف عند الهبطي، وفي مصحف المدينة وضعت علامة الوقف الجائز مع أن الواو التي بعدها واوٌ حاليةٌ بمعنى: والحال أنها كبيرة إلا على الخاشعين فما وجه صحة الوقف هنا؟

قالوا: وجه صحته أن جملة (وإنها لكبيرة) جملةٌ خبريةٌ، وجملة (واستعينوا بالصبر والصلاة) جملة إنشائية، معنى كونها جملةً خبريةً أنها تحتمل الصدق والكذب -هذا في غير كلام الله تعالى-، والجملة الإنشائية هي الأمر والنهي ما شابهها لذلك جاز الفصل بينها، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا، لأن الواو التي بعدها عاطفة، وهنا أيضًا قاعدةٌ مهمةٌ في الوقف والابتداء، وهي أن (أنّ) المفتوحة لا يصح الوقف قبلها، بخلاف (إن) المكسورة، وقد نبهت أنه يصح الوقف قبلها غالبًا فيما عدا القول والقسم، ذكرت فيه قول الداني في الأسبوع الماضي، فهنا لا يصح الوقف.

الآية التي تليها: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) لا يوجد وقف في هذه الآية على قوله (التي أنعمت عليكم) لأن الواو التي بعدها واوٌ عاطفةٌ (وأني فضلتكم) معطوفة على نعمتي، يعني اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واذكروا أني فضلتكم على العالمين.

الآية التي بعدها: (واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ولا يقبل منها شفاعةٌ ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون)

أولا: هل يصح الوقف على يوما ؟

الجواب: لا، لأن جملة (لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا) صفة لـ (يومًا).

طيب، ثم جاءت جملٌ معطوفاتٌ، وهذه الجمل المعطوفات أجاز الوقف عليها بعض علماء الوقف والابتداء كالأشموني والأنصاري، فنقول الأمر فيه سعة، فإن أردت أن تقف (لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا) وتقف ثم (ولا يقبل منها شفاعة) وتقف (ولا يؤخذ منها عدل) وتقف (ولا هم ينصرون) الأمر جائزٌ لكن الوصل أولى ولا شك.

الآية التي تليها: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) هل يصح الوقف على (من آل فرعون)؟

هنا حصل خلافٌ بين علماء الوقف والابتداء، للنظر إلى جملة (يسومونكم) هل هي جملةٌ مستأنفةٌ أو هي جملةٌ حاليةٌ؟

يعني هل الله سبحانه وتعالى يذكّرهم بأنه نجاهم من آل فرعون ثم بدأ يذكر لهم ما كان من آل فرعون تجاههم بأنهم كانوا (يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) فالنظر هنا إلى أن الجملة جملةٌ مستأنفةٌ، أو أنه ينبههم أن آل فرعون الذي كانوا يسومونكم سوء العذاب نجيناكم منهم.

فإذا قلنا إنها جملةٌ مستأنفةٌ فإن الوقف يصح، ويصح الابتداء بـ (يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) وإذا قلنا هي جملةٌ حاليةٌ وهو الأصل والذي عليه الأكثر، لم يصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

طيب، هل يصح الوقف على (يسومونكم سوء العذاب)؟

الجواب: لا يصح، لأن جملة (يذبّحون) بدلٌ من (يسومونكم) أو تفسير بيانٍ، فهي بيانٌ للعذاب الذي كان يلحقهم وهو أنهم كانوا يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم فلا يصح الوقف قبلها.

وهل يصح الوقف على (ويستحيون نساءكم)؟

الجواب: نعم يصح، وقد نص عليه جمعٌ من علماء الوقف والابتداء، ووضعت عليه علامة الوقف في وقوفات الهبطي، كذلك في مصحف المدينة وضعت علامة الوقف الجائز. (وفي ذلكم بلاء) ذكر كل ما شمله العذاب وما كان من آل فرعون، ثم ابتدأ جملةً وقال (وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم).

الآية التي تليها: (وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) هل فيها وقف؟

الجواب: لا وقف فيها، لأن (فأنجيناكم) فاءٌ عاطفةٌ (وأغرقنا آل فرعون) واوٌ عاطفةٌ (وأنتم تنظرون) واوٌ حاليةٌ فلا وقف بينها، فهي جملةٌ متصلةٌ بما فعل الله بهم من فرق البحر وإنجائهم وإغراق آل فرعون وهم ينظرون إليهم

هذا خلاصة ما يمكن أن يقال في الوقف والابتداء في هذه الآيات. والله تعالى أعلى وأعلم وأجل وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٤٠-٥٠

(يا بني إسرائيل):

قال ابن كثير: (يا بني إسرائيل) يقول تعالى آمرا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيجا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب، عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم، افعل كذا. يا ابن الشجاع، بارز الأبطال، يا ابن العالم، اطلب العلم ونحو ذلك. تفسير ابن كثير (١/ ٢٤١)

لطيفة دعوية:

قال ابن عثيمين: تذكير العبد بنعمة الله عليه أدعى لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه؛ لقوله تعالى: {اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم} ؛ فهل هذا من وسائل الدعوة إلى الله؛ بمعنى أننا إذا أردنا أن ندعو شخصاً نذكره بالنعم؟

فالجواب: نعم، نذكّره بالنعم؛ لأن هذا أدعى لقبول الحق، وأدعى لكونه يحب الله عزّ وجلّ؛ ومحبة الله تحمل العبد على أن يقوم بطاعته.. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٤٤).

لطيفة لغوية:

يقول المرداوي: المقابلة، وهي الداخلة على الأثمان والأعواض، نحو: اشتريت الفرس بألف، ودخولها غالبا / على الثمن، وربما دخلت على المثمن كقوله تعالى: {لا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا}، ولم يقل: ولا تشتروا آياتي بثمن قليل. التحبير شرح التحرير (٢/ ٦٦٨)

يقول الفراء: قوله: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ... وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في المبيع أو المشترى، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين لا يكونان ثمنا معلوما مثل الدنانير والدراهم فمن ذلك: اشتريت ثوبا بكساء أيهما شئت تجعله ثمنا لصاحبه لأنه ليس من الأثمان، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا. فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن، كما قال في سورة يوسف: «وشروه بثمن بخس دراهم معدودة» لأن الدراهم ثمن أبدا، والباء إنما تدخل في الأثمان، فذلك قوله: «اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا»، «اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة»، «اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة»، فأدخل الباء في أي هذين شئت حتى تصير إلى الدنانير والدراهم فإنك تدخل الباء فيهن مع العروض، فإذا اشتريت أحدهما يعني الدنانير والدراهم بصاحبه أدخلت الباء في أيهما شئت لأن كل واحد منهما في هذا الموضع بيع وثمن. معاني القرآن للفراء (١/ ٣٠)

فائدة قوله: (ثمنا قليلا):

يقول ابن جماعة: قوله تعالى: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) ما فائدة قليلا، والكثير كذلك؟ جوابه: فيه مزيد الشناعة عليهم لأن من يشتري الخسيس بالنفيس لا معرفة له ولا نظر. كشف المعانى فى المتشابه من المثانى (ص: ٩٤)

ويقول الزركشي: لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن. البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٩٧).

ويقول ابن عثيمين: جميع ما في الدنيا قليل، ويشهد لهذا قوله تعالى: {قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٥٠)

الصلاة عند الأمم السابقة:

يقول ابن عثيمين: الصلاة واجبة على الأمم السابقة، وأن فيها ركوعـًا كما أن في الصلاة التي في شريعتنا ركوعـًا؛ وقد دلّ على ذلك أيضـًا قول الله تعالى لمريم: {يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين} [آل عمران: ٤٣] ؛ فعلى الأمم السابقة صلاة فيها ركوع، وسجود. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٥٦)

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم):

قال ابن زيد: هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق. فقال الله لهم: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون). تفسير الطبري (١/ ٨)

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» صحيح البخاري (٢/ ٩٤).

(وأني فضّلتكم على العالمين)

يقول الشنقيطي: قوله تعالى لبني إسرائيل: وأني فضلتكم على العالمين. لا يعارض قوله تعالى في تفضيل هذه الأمة: كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية، لأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأن هذه

الأمة أفضل منهم، كحديث معاوية بن حيدة القشيري في المسانيد والسنن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله. (حم ت وحسنه الألباني)

ألا ترى أن الله جعل المقتصد منهم هو أعلاهم منزلة حيث قال: منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون، وجعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصدة وهي درجة السابق بالخيرات، حيث قال تعالى: ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٧)

(يذبّحون أبناءكم) (يقتّلون أبناءكم) (ويذبّحون أبناءكم):

يقول ابن عثيمين: {يذبحون أبناءكم} : الفعل مضَعَّف. أي مشدد. للمبالغة؛ لكثرة من يذْبحون، وعظم ذبحهم؛ هذا وقد جاء في سورة الأعراف: {يقتّلون} وهو بمعنى {يذبحون} ؛ ويحتمل أن يكون مغايراً له؛ فيُحمل على أنهم يقتلون بعضـًا بغير الذبح، ويذبحون بعضـًا؛ وعلى كلٍّ فالجملة بيان لقوله تعالى: {يسومونكم سوء العذاب} ؛ هذا وجاء في سورة إبراهيم: {يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم} بالواو عطفـًا على قوله تعالى: {يسومونكم} ؛ والعطف يقتضي المغايرة؛ فيكون المعنى أنهم جمعوا بين سوم العذاب. وهو التنكيل، والتعذيب. وبين الذبح. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٧٥).

الآيات والمعجزات للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

(وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم...) ذكر ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" أنه ما من آية سبقت لرسول إلا لرسولنا صلى الله عليه وسلم مثلها: إما له صلى الله عليه وسلم هو بنفسه، أو لأمته؛ ومعلوم أن الكرامات التي تقع لمتبع الرسول هي في الحقيقة آيات له؛ لأنها تصديق لطريق هذا الولي المتبع للرسول؛ فتكون آية على صدق الرسول، وصحة الشريعة؛ ولهذا من القواعد المعروفة أن كل كرامة لولي فهي آية لذلك النبي المتبع؛ وذكر ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" على ذلك أمثلة؛ ومنها أن من الصحابة من مشَوا على الماء؛ وهو أبلغ من فلق البحر لبني إسرائيل، ومشيهم على الأرض اليابسة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٧٩).

صوم يوم عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى، وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيما له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه» متفق عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٤٠-٥٠

وجوب الرهبة من الله وحده

قال ابن عثيمين في قول الله تعالى: (وإياي فارهبون): وجوب إخلاص الرهبة لله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: الآية٤٠) وأن الرهبة عبادة؛ لأن الله تعالى أمر بها، وأمر بإخلاصها..

فإن قال قائل: هل ينافي التوحيد أن يخاف الإنسان من سبُع، أو من عدو؟

فالجواب: لا ينافي هذا التوحيد؛ ولهذا وقع من الرسل: إبراهيم. عليه الصلاة والسلام. لما جاءه الضيوف، ولم يأكلوا أوجس منهم خيفة؛ وموسى. عليه الصلاة والسلام. لما ألقى السحرة حبالهم، وعصيهم أوجس في نفسه خيفة؛ ولأن الخوف الطبيعي مما تقتضيه الطبيعة؛ ولو قلنا لإنسان: "إنك إذا خفت من أحد سوى الله خوفاً طبيعياً لكنت مشركاً"، لكان هذا من تكليف ما لا يطاق؛ لأن خوف الإنسان مما يخاف منه خوفٌ طبيعي غريزي لا يمكنه دفعه؛ كل إنسان يخاف مما يُخشى منه الضرر..

فإن قال قائل: لو منعه الخوف من واجب عليه هل يُنهى عنه، أو لا؟

فالجواب: نعم، يُنهى عنه؛ لأن الواجب عليه يستطيع أن يقوم به؛ إلا إذا جاء الشرع بالعفو عنه في هذه الحال فلا حرج عليه في هذا الخوف؛ قال الله تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} [آل عمران: ١٧٥] ؛ لكن إذا كان في الشرع رخصة لك أن تخالف ما أمر الله به في هذه الحال فلا بأس؛ ولهذا لو كان إنسان يريد أن يصلي صلاة الفريضة، وحوله جدار قصير، ويخشى إن قام أن يتبين للعدو؛ فله أن يصلي قاعداً؛ وهذا لأن الله تعالى عفا عنه: قال الله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن: ١٦] ؛ ولو كان العدو أكثر من مثلَي المسلمين فلا يلزمهم أن يصابروهم، ويجوز أن يفروا. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٤٥).

(مصدقا لما معكم):

يقول ابن جُزي: وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد صلى الله عليه واله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان: أحدها: أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به، والآخر: أنه صلى الله عليه واله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزلت عليهم الكتب، فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم، والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك. التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨١).

(ولا تكونوا أول كافر به)

قال ابن القيم: رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن لحي الخزاعي يعذب أعظم العذاب في النار، لأنه أول من غير دين إبراهيم عليه السلام. وقد قال تعالى: {ولا تكونوا أول كافر به} [سورة البقرة: ٤١] . أي: فيقتدي بكم من بعدكم، فيكون إثم كفره عليكم، وكذلك حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها. الداء والدواء (ص: ١٤٩)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» صحيح مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل» متفق عليه.

(ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)

قال السمعاني: ولا يجوز للمفتي أن يطلب على الفتوى أجرا لقوله تعالى: {وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً} [البقرة: ٤١] أي: يأخذوا عليه أجرا، ويجوز أن يقبل الهدية، بخلاف الحاكم لأن الحاكم يلزمه حكمه. قواطع الأدلة (٢/ ٣٥٦).

وقال القرطبي: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجرا فقد دخل في مقتضى الآية، فأما إذا لم يتعين عليه فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك وقد يتعين عليه إلا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته. تفسير القرطبي (١/ ٣٣٤).

وجوب تقوى الله وحده

قال ابن عثيمين في قول الله تعالى: (وإياي فاتقون): وجوب تقوى الله عزّ وجلّ، وإفراده بالتقوى؛ لقوله تعالى: {وإياي فاتقون}... فإن قال قائل: أليس الله يأمرنا أن نتقي أشياء أخرى، كقوله تعالى: {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله}، وقوله تعالى: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}، وقوله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}؟ فالجواب: بلى، ولكن اتقاء هذه الأمور من تقوى الله عزّ وجلّ. فلا منافاة تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٥١).

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق)

قال ابن تيمية في قول الله تعالى: {ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق} [البقرة: ٤٢] ، نهي عنهما، والثاني لازم للأول مقصود بالنهي، فمن لبس الحق بالباطل كتم الحق وهو معاقب على لبسه الحق بالباطل، وعلي كتمانه الحق، فلا

يقال: النهي عن جمعهما فقط، لأنه لو كان هذا صحيحـًا لم يكن مجرد كتمان الحق موجبـًا للذم، ولا مجرد لبس الحق بالباطل موجبـًا للذم، وليس الأمر كذلك، فإن كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس يستحقون به العقاب باتفاق المسلمين، وكذلك لبسهم الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي ابتدعوه. درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٩).

متى يُعتبر كاتمًا للحق؟

قال ابن عثيمين: هل يقال: إن الكتمان لا يكون إلا بعد طلب؟

الجواب: نعم، لكن الطلب نوعان: طلب بلسان المقال؛ وطلب بلسان الحال؛ فإذا جاءك شخص يقول: ما تقول في كذا، وكذا: فهذا طلب بلسان المقال؛ وإذا رأيت الناس قد انغمسوا في محرم: فبيانه مطلوب بلسان الحال؛ وعلى هذا فيجب على الإنسان أن يبين المنكر، ولا ينتظر حتى يُسأل؛ وإذا سئل ولم يُجب لكونه لا يعلم فلا إثم عليه؛ بل هذا هو الواجب؛ لقوله تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم} [الإسراء: ٢٣] . هذه واحدة..

ثانيـًا: إذا رأى من المصلحة ألا يبين فلا بأس أن يكتم كما جاء في حديث علي بن أبي طالب: "حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟! " ؛ وقال ابن مسعود: "إنك لن تحدث قومـًا حديثـًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"؛ فإذا رأيت من المصلحة ألا تبين فلا تبين ولا لوم عليك..

ثالثـًا: إذا كان قصد السائل الامتحان، أو قصده تتبع الرخص، أو ضرب أقوال العلماء بعضها ببعض. وأنت تعلم هذا.: فلك أن تمتنع. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٥٤).

وجوب صلاة الجماعة

قال ابن تيمية: قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين} [البقرة: ٤٣] إما أن يراد به المقارنة بالفعل، وهي الصلاة جماعة. وإما أن يراد به ما يراد بقوله: {وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] فإن أريد الثاني، لم يكن فرق بين قوله: صلوا مع المصلين، وصوموا مع الصائمين، {واركعوا مع الراكعين} [البقرة: ٤٣] ، والسياق يدل على اختصاص الركوع بذلك.

فإن قيل: فالصلاة كلها تفعل مع الجماعة.

قيل: خص الركوع بالذكر لأنه تدرك به الصلاة، فمن أدرك الركعة فقد أدرك السجدة، فأمر بما يدرك به الركعة، كما قال لمريم: {اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين} [آل عمران: ٤٣] فإنه لو قيل: اقنتي مع القانتين لدل على وجوب إدراك القيام، ولو قيل: اسجدي لم يدل على وجوب إدراك الركوع، بخلاف قوله: {واركعي مع الراكعين} فإنه يدل على الأمر بإدراك الركوع وما بعده دون ما قبله، وهو المطلوب. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٢٧١).

وقال ابن القيم: قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} ، ووجه الاستدلال بالآية [على وجوب صلاة الجماعة] أنه سبحانه أمرهم بالركوع وهو الصلاة وعبر عنها بالركوع لأنه من أركانها والصلاة يعبر عنها بأركانها وواجباتها كما سماها الله سجودا وقرآنا وتسبيحا فلا بد لقوله: {مَعَ الرَّاكِعِينَ} من فائدة أخرى وليست إلا فعلها مع جماعة المصلين، والمعية تفيد ذلك. الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٠١).

مكانة الصلاة:

قال الإمام أحمد في رواية مهنا بن يحيى: إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك. فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك. الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤١).

وقال ابن تيمية: كل عبادة من العبادات فإن الصلاة مقرونة بها فإن العبادة تعم جميع الطاعات وقد خصت الصلاة بذلك الأمر والاصطبار عليها فإذا ذكرت الزكاة قيل {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} وإذا ذكرت المناسك قيل {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} {إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} وإن ذكر الصوم قيل {واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ} فإن الصبر المعدود في المثاني هو الصوم قال صلى الله عليه وسلم: "صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر". شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة (ص: ٨٩).

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)

قال ابن عثيمين: توبيخ هؤلاء الذين يأمرون بالبر، وينسون أنفسهم؛ لأن ذلك منافٍ للعقل؛ وقد ورد الوعيد الشديد على من كان هذا دأبه؛ فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "أنه يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتابه". و"الأقتاب" هي الأمعاء. "فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر، فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه" متفق عليه ؛ فهو من أشد الناس عذاباً. والعياذ بالله. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٥٨).

(وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)

قال ابن جرير: وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته؛ لأن من كان غير موقن بمعاد ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال، لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضر، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة. وإنما خفت على المؤمنين

المصدقين بلقاء الله، الراجين عليها جزيل ثوابه، الخائفين بتضييعها أليم عقابه، لما يرجون بإقامتها في معادهم من الوصول إلى ما وعد الله عليها أهلها، ولما يحذرون بتضييعها ما أوعد مضيعها. تفسير الطبري (١/ ٢٢)

وقال ابن تيمية: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " {أرحنا بالصلاة يا بلال} ولا يقول: أرحنا منها كما يقوله من تثقل عليه الصلاة كما قال تعالى: {وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين} والخشوع: الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: {حبب إلي من دنياكم النساء والطيب} ثم يقول: {وجعلت قرة عيني في الصلاة} ولم يقل: {حبب إلي من دنياكم ثلاث} كما يرفعه بعض الناس بل هكذا رواه الإمام أحمد والنسائي أن المحبب إليه من الدنيا النساء والطيب. وأما قرة العين تحصل بحصول المطلوب وذلك في الصلاة. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١).

(لا تجزي نفس عن نفس شيئا)

قال ابن عثيمين: و {نفس} نكرة في سياق النفي، فيكون عامـًا؛ فلا تجزي، ولا تغني نفس عن نفس أبداً. حتى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يغني شيئـًا عن أبيه، ولا أمه.؛ وقد نادى صلى الله عليه وسلم عشيرته الأقربين؛ فجعل ينادي كل واحد باسمه، ويقول: "يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئـًا؛ يا فاطمة بنت رسول الله، لا أغني عنك شيئـًا ... ". (متفق عليه) مع أن العادة أن الإنسان يدافع عن حريمه، وعن نسائه.؛ لكن في يوم القيامة ليست هناك مدافعة؛ بل قال الله تعالى: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١] : تزول الأنساب، وينسى الإنسان كل شيء، ولا يسأل أين ولدي، ولا أين ذهب أبي، ولا أين ذهب أخي، ولا أين ذهبت أمي: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٧٢).

(ولا يُقبل منها شفاعة)

قال ابن جرير: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) هذه الآية وإن كان مخرجها عاما في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (حم د ت وصححه الألباني) وأنه قال: "ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئا". (متفق عليه) فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين -بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهم- عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه، وأن قوله: (ولا يقبل منها شفاعة) إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل. تفسير الطبري (١/ ٣٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العمل بالآيات من سورة البقرة ٤٠-٥٠

١- تذكّر نعم الله عليك، واذكرها بلسانك شاكرا لمنعمِها، مثنيا عليه في كل حين وآن، حتى تدوم نعم الله عليك (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم).

٢- لا تخف إلا من الله وحده، فهو الذي يملك لك الضر والنفع، وهو الذي يؤمّنك من كل ما تخاف وتحذر (وإياي فارهبون) (وإياي فاتقون).

٣- لا تجعل هدفك من حفظ القرآن وتعلّم الدين تحصيل منفعة دنيوية من مال أو جاه أو ثناء أو منصب (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا).

٤- احذر من خلط الحق بالباطل، وذلك بإظهار الباطل في صورة الحق، أو تزيين الباطل بزخرف القول، أو كتمان الحق والتنفير عنه (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون).

٥- احرص على أداء الصلاة مع جماعة المسلمين؛ لتفوز بالأجر العظيم، وتنجو من صفات المنافقين (واركعوا مع الراكعين).

٦- من كمال العقل أن تكون آمرا بالبرّ والمعروف عاملا به، ناهيًا عن المنكر مجتنبًا له، فلا تكن ممن يزكّي غيره، وينسى تزكية نفسه (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون).

٧- صلِّ بقلب حاضر خاشع، ونفس مقبِلة على الله، لتكون الصلاة معينة لك في شؤون حياتك (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين).

٨- من رزقه الله قلبا خاشعا مع يقينه بلقاء الله ورجوعه إليه هانت عليه العبادات، فصار متلذذا بها مرتاحا بأدائها (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون).

٩- منّ الله عليك بجعلك من خير أمة أخرجت للناس، وتتبع خير نبي أُرسل للعالمين، فواجب الشكر عليك أعظم ، فاحمد الله على ذلك حمدا بعد حمد، فإن الله قال لبني إسرائيل (اذكروا نعمتي التي

أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) وهم قد فُضّلوا على عالمي زمانهم، فكيف بك وقد فُضّلت على العالمين بأسْرهم.

١٠- اتّق يوم القيامة، فإنه لا ينفعك هناك إلا ما قدّمته من عمل صالح في الدنيا (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون).

١١- إذا نجّاك الله من بلاء وكرب بعد نزوله عليك، وحماك من عدوك بعد تسلطه عليك، فمنّة الله عليك عظيمة، وواجب الشكر عليك أعظم (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البقرة (٥١-٦١) من تفسير السعدي

{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه.

{وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة، فهو أعظم جرما وأكبر إثما.

ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الله.

{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} واذكروا نعمتنا عليكم حين أعطينا موسى الكتاب الفارق بين الحق والباطل -وهو التوراة-؛ لكي تهتدوا من الضلالة. [من التفسير الميسر].

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً} وهذا غاية الظلم والجراءة على الله وعلى رسوله، {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ} إما الموت أو الغشية العظيمة، {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه.

{ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ثم أحييناكم مِن بعد موتكم بالصاعقة؛ لتشكروا نعمة الله عليكم، فهذا الموت عقوبة لهم، ثم بعثهم الله لاستيفاء آجالهم. [من التفسير الميسر].

ثم ذكر نعمته عليكم في التيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق، فقال: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ} وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك.

{وَالسَّلْوَى} طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم ويقيتهم {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهين، فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب.

{وَمَا ظَلَمُونَا} يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} فيعود ضرره عليهم.

{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} . وهذا أيضا من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزا ووطنا ومسكنا، ويحصل لهم فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب {سجدا} أي: خاضعين ذليلين، وبالقول وهو أن يقولوا: {حِطَّةٌ} أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته.

{نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} بسؤالكم المغفرة، {وَسَنزيدُ الْمُحْسِنِينَ} بأعمالهم، أي: جزاء عاجل وآجلا.

{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا {قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم، ولما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: {فَأَنزلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} منهم {رِجْزًا} أي: عذابا {مِنَ السَّمَاءِ} بسبب فسقهم وبغيهم.

{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} .

استسقى، أي: طلب لهم ماء يشربون منه.

{فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ} إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، {فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبيلة، {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ} منهم {مَشْرَبَهُمْ} أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضا، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين، ولهذا قال: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ} أي: الذي آتاكم من غير سعي ولا تعب، {وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ} أي: تخربوا على وجه الإفساد.

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} .

أي: واذكروا، إذ قلتم لموسى، على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها، {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعا، لكنها لا تتغير، {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا} أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه، {وَقِثَّائِهَا} وهو الخيار {وَفُومِهَا} أي: ثومها، والعدس والبصل معروف، قال لهم موسى {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى} وهو الأطعمة المذكورة، {بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} وهو المن والسلوى، فهذا غير لائق بكم، فإن هذه الأطعمة التي طلبتم، أي مصر هبطتموه وجدتموها، وأما طعامكم الذي من الله به عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلا؟

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم فقال: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ} التي تشاهد على ظاهر أبدانهم {وَالْمَسْكَنَةُ} بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم أنفس مهينة، وهممهم أردأ الهمم، {وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ} أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الحالة حالتهم.

{ذَلِكَ} الذي استحقوا به غضبه {بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ} الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا {يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} .

وقوله: {بِغَيْرِ الْحَقِّ} زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا} بأن ارتكبوا معاصي الله {وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} على عباد الله، فإن المعاصي يجر بعضها بعضا، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من كل بلاء.

واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة،

منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟

ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حتى كأَنَّ متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكأنّ الحادث من بعضهم حادثا من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (٥١-٦١)

الكلمة	المعنى
اتّخذتم العجل	عبدتم العجل
والفرقان	والشرع الفارق بين الحق والباطل
بارئكم	خالقكم من العدم
فاقتلوا أنفسكم	ليقتل بعضكم بعضا
جهرة	معاينة بأبصارنا
الصاعقة	نار من السماء أو الموت
وظلّلنا	جعلناه ظلا من حرّ الشمس
المنّ	اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز
والسلوى	طائر صغير يقال له السماني
هذه القرية	بيت القدس
رغدا	واسعًا هنيئًا
وقولوا حِطّة	واطلبوا من الله أن يحط عنكم خطاياكم
رِجزًا	عذابا
استسقى	طلب لهم ماءً يشربون منه
مشربهم	موضع شربهم
ولا تعثوا	ولا تسعوا
بقلها	نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه كالبقول
قثائها	خيارها
فومها	الثوم أو الحِنطة
اهبطوا مصرًا	انزلوا إلى أيّ بلدة
باءُوا	رجعوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٥١-٦١

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الحادية والخمسين وحتى الآية الحادية والستين.

أبدأ بعون الله تعالى بالآية الأولى: (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) هل في الآية وقف؟

الجواب: لا وقف في الآية، لماذا؟ عندنا ثلاث جمل: الجملة الأولى (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً) الجملة الثانية (ثم اتخذتم العجل من بعده) (ثم) هنا عاطفة، وهذا من عطف الجمل، لكنّ الله سبحانه وتعالى إنما أراد بهذه الجملة أن يبين ما حصل من بني إسرائيل لا ما حصل من إيعاده هو سبحانه لموسى، أما إذا أراد ما حصل من وعده لموسى لذكره كما ذكر في سورة الأعراف (وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ فتم ميقات ربه أربعين ليلةً وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) ذاك التفصيل الذي في سورة الأعراف هو الذي أريد به تفصيل ما حصل من مواعدة الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام. أما في هذه الآية فإنما أراد الله أن يبين ما حصل من بني إسرائيل من عبادة العجل، وذلك حين واعد الله موسى أربعين ليلةً، فلا يصح الوقف على هذا الملحظ.

الجملة الثالثة (وأنتم ظالمون) وهذه الجملة الواو فيها واو حالية، يعني والحال أنكم ظالمون في عبادتكم للعجل، فلم يصح الوقف لا قبل (وأنتم ظالمون) ولا قبل (ثم اتخذتم).

الآية التي تليها: قول الله تعالى: (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) هل يصح الوقف على قوله (من بعد ذلك) ؟

الجواب: لا، لماذا؟ لأن جملة (لعلكم) جملة تعليلية، وهكذا في الآية التي بعدها (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) لا يصح الوقف قبل (لعلكم).

وفي هذه الآية وضعت علامة الوقف على كلمة (الكتاب) عند الهبطي، يعني أنه يقف ويقول (وإذ آتينا موسى الكتاب) ثم يستأنف فيقرأ (والفرقان لعلكم تهتدون) وهذا على معنى: وأعطينا محمدًا الفرقان، يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأن المقصود به القرآن وليس التوراة، وكأنهم لحظوا هنا ملحظ أن الفرقان اسمٌ للقرآن، كما قال الله: (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) لكن هذا غير صحيح، فالتوراة أيضًا هي فارقةٌ بين الحق والباطل، وسماها الله فرقانًا في القرآن في قول الله تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً) فالتوراة أيضًا تسمى فرقانًا، ثم الفصل بينهما وهما

معطوفان على بعض على أن المقصود بالأول هو الذي أوتيه موسى، وإذ آتينا موسى الكتاب فقط والفرقان لمحمد دون أن تكون هناك أي إشارة للنبي صلى الله عليه وسلم هذا لا يصح في اللغة، بل النحاس رحمه الله يقول: لا يصح - يعني هذا الوقف- على قول أهل التأويل ولا في الظاهر ولا في العربية، يعني يقول: في العربية لا يصح أن تقول: أعطيت زيدًا درهمًا ودينارًا، وأنت تقصد أنك أعطيته درهمًا وأعطيت أخاه دينارًا، هذا لا يمكن أن يستقيم في اللغة، فلذلك نقول: هذا الوقف غير صحيح.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم).

هذه الآية فيها مواضع كثيرة للوقف تحتاج إلى مناقشة.

أولها: قول الله تعالى (إنكم ظلمتم أنفسكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن جملة (باتخاذكم العجل) جملةٌ سببيةٌ يعني أن ظلمكم لأنفسكم كان بسبب اتخاذكم العجل، ثم الجار والمجرور في قوله تعالى (باتخاذكم) متعلق بـ (ظلمتم) فلا يصح الوقف.

طيب، هل يصح الوقف على (باتخاذكم العجل) قبل (فتوبوا إلى بارئكم)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن الفاء في (فتوبوا) رابطةٌ لجواب الشرط، أين الشرط؟ لم يأت معنا شرطٌ من بداية الآية، لكن الشرط هنا مقدر، يعني كأنه قال لهم: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فإن أردتم عفو الله فتوبوا إلى بارئكم، فجملة (فتوبوا) جملة كأنها جواب شرط على ما حصل منهم، فلم يصح الوقف قبلها.

طيب، (فتوبوا إلى بارئكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن (فاقتلوا أنفسكم) معطوف، وهو بدلٌ من (فتوبوا) يعني: فتوبوا إلى بارئكم بقتلكم أنفسكم، فلذلك لم يصح الوقف هنا.

طيب، فاقتلوا أنفسكم هل يصح الوقف هنا؟

أجاز الوقف هنا عامة علماء الوقف والابتداء، وقالوا: إن جملة (ذلكم خير لكم عند بارئكم) جملة مستأنفة وإن كان فيها إشارة إلى ما قبلها، والله أعلم.

طيب، (ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم) هل يصح الوقف على بارئكم هنا؟

الجواب: نعم يصح، وقد حصل من بعض علماء الوقف والابتداء أنه فاضل بين الوقف هنا وبين الوقف على (فتاب عليكم) فقال: الوقف على (فتاب عليكم) أفضل، يعني هل يقف على (ذلكم خير لكم عند بارئكم) أو يقف (ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم)؟ كلاهما صحيح عند كثيرٍ من علماء الوقف والابتداء، لكن الوقف على (فتاب عليكم)

أفضل كما نص عليه الداني وغيره، وجماعة من علماء الوقف والابتداء صححوا الوقفين فصححوا أن يقف (عند بارئكم) ثم يقف (فتاب عليكم) كما هو عند الهبطي والسجاوندي وغيرهما.

طيب، (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) هذه الجملة جملة (إنه هو التواب الرحيم) جملة تعليلية، يعني إنما تاب عليكم سبحانه وتعالى لأنه هو التواب الرحيم، لكنها وإن كانت جملة تعليلية إلا أنها في حكم المستأنفة في تركيبتها الإعرابية، فبدأت بـ (إنه) فلم يأت قبلها عطف، ولا هي جملة حالية، ولا ما شابه ذلك، فلذلك صح الوقف قبلها.

وأحب أن أنبه هنا إلى ملحظٍ مهمٍ، هذه الآيات التي تختم بأسماء الله سبحانه وتعالى لا شك أن فيها دلالةً واضحةً على أن هذه الأسماء لله سبحانه وتعالى لها معاني تناسب ما ورد في الآية، فلما ذكر التوبة هنا قال (إنه هو التواب الرحيم)، وإذا ذكر العلم قال (إنه هو العليم الحكيم)، ولما ذكر قطع يد السارق قال (والله عزيز حكيم) عزّ فقطع، فلها ارتباطٌ معنويٌ ظاهرٌ بما قبلها. فينبغي مراعاة هذا الارتباط في الوقف والابتداء، بمعنى أننا ينبغي أن نقول هنا أن الوصل أولى، لنظهر الارتباط بين اسمي الله تعالى في قوله تعالى (إنه هو التواب الرحيم) وبين قوله (فتاب عليكم)، وإن كنا نقول: إن الوقف صحيح، والله أعلم.

الآية التي تليها قول الله تعالى : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) هل يصح الوقف على قول الله تعالى (جهرة)؟

عامة علماء الوقف والابتداء لم ينصوا على وقفٍ هنا، لكن الأشموني جوّزه، وإذا نظرنا فإن جملة (فأخذتكم) الفاء هذه فاء عاطفة عطفت المسبب على السبب، يعني إنما أخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون لقولكم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فهي جملة سببية فلذلك الأصح أن نقول: لا وقف هنا، والله أعلم.

الآية التي تليها: لا وقف فيها، وهي آية قصيرة (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) ولا يصح الوقف قبل (لعلكم) كما سبق لأن لعل تدل على التعليل.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

هذه خمس جمل في هذه الآية هل يصح الفصل بينها في القراءة أو لا؟

الجملة الأولى: (وظللنا عليكم الغمام) لم أطلع على أحدٍ من علماء الوقف والابتداء صحّح الوقف هنا، لاعتبار الواو واو عاطفة.

الجملة الثانية: (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى) عامة علماء الوقف والابتداء صححوا الوقف هنا، ووضعت فيه علماء الوصل أولى في مصحف المدينة، وكذلك في وقوفات الهبطي.

وجملة (كلوا من طيبات ما رزقناكم) فيها تقديرٌ، كأنه قال: قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم بعد أن أنزل عليهم المنّ والسلوى، فهناك ارتباطٌ معنويٌ، لكن الوقف صحيحٌ لعدم الارتباط اللفظي بين الجملتين.

طيب، (كلوا من طيبات ما رزقناكم) هل يصح الوقف هنا قبل قوله (وما ظلمونا)؟

عامة علماء الوقف والابتداء أجازوا الوقف هنا، ووضعت علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة وكذلك علامة الوقف في وقوفات الهبطي، والواو في قوله (وما ظلمونا) واو استئنافية، يعني: الله سبحانه وتعالى ذكر منّته عليهم بأنه ظلّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وقال لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم)، ثم بين أن ما حصل منهم من عصيان لم يظلموا الله سبحانه وتعالى وإنما كانوا أنفسهم يظلمون، فهي جملةٌ مستأنفةٌ استئنافًا ظاهرًا.

وهل يصح الوقف على (وما ظلمونا)؟

الجواب: لا يصح، لأن (لكن) أداة استدراك، ولا يصح الوقف قبل الاستدراك، وهذه قاعدةٌ عامةٌ في القرآن أنه لا وقوف قبل الاستدراك، كما أنه لا وقوف قبل الاستثناء، وما شابه ذلك.

الآية التي تليها: قول الله: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطةٌ نغفر لكم خطاياكم) لم أقف على أحدٍ من علماء الوقف والابتداء صحّح الوقف على الجمل التي قبل قوله: (نغفر لكم خطاياكم)، واعتبروها كلها عاطفةً من قوله: (فكلوا منها) فاء عطف (وادخلوا الباب) (وقولوا) ولماذا لم يصححوا؟

لأن الله سبحانه وتعالى طلب منهم هذه الأفعال مجموعةً ليغفر لهم خطاياهم، فلم يصح الوقف، حتى يظهر أن الله سبحانه وتعالى وعدهم إن دخلوا القرية التي هي بيت المقدس ودخلوا الباب سجدًا وقالوا حطةٌ أن يغفر لهم خطاياهم، فالوقف الأول في هذه الآية (نغفر لكم خطاياكم).

طيب، طالت الآية هنا وطال موضع الوقف الأول فيها فأين يقف إذا أراد أن يقف وقفًا حسنًا ثم يعود ليربط الآية؟

له أن يقف على قوله تعالى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) ثم يعود (فكلوا منها) إلى قوله (خطاياكم)، وله أن يقف (وادخلوا الباب سجدًا) ثم يعود (وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) وله أن يقف (وقولوا حطة) ثم يعود ويقول (وقولوا حطةٌ نغفر لكم خطاياكم).

جملة (وسنزيد المحسنين) صح الوقف على (خطاياكم) لأن الواو في (وسنزيد) استئنافية والسين للاستقبال، يعني إن فعلتم هذه الأفعال سنغفر لكم خطاياكم، وسنزيد مستقبلا المحسنين، فهي جملةٌ مستأنفةٌ، وصحّح الوقف قبلها عامة علماء الوقف والابتداء.

الآية التي تليها: قول الله تعالى (فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون).

هل يصح الوقف على قوله (قولا غير الذي قيل لهم)؟

جوزه الأشموني، وقال النحاس: إنه وقفٌ صالحٌ، والأشموني جوزه على أن الجملة التي بعدها جملة استئنافٍ، وجعله محتملاً لهذا المعنى، والظاهر والله أعلم أنها لا تحتمل أن تكون جملةً مستأنفةً وإنما هي عاطفةٌ وعاقبةٌ لما قبلها، يعني لما بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم أنزل الله عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون.

طيب، قول الله تعالى (رجزًا من السماء) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن جملة (بما كانوا) الباء فيها باءٌ سببيةٌ يعني بسبب فسقهم، ولا يفصل بين السبب والمسبب، وجملة (بما كانوا يفسقون) مصدرٌ مؤولٌ من ما والفعل الذي بعده، وهو متعلق بـ (أنزلنا) يعني أنزلنا عليهم رجزا من السماء بكونهم يفسقون، فلم يصح الوقف قبل (بما كانوا يفسقون)، والله أعلم.

الآية التي تليها: قول الله: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناسٍ مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين).

(وإذ استسقى موسى لقومه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح لأن ما بعده معطوف، (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) لما استسقى قلنا له (اضرب بعصاك الحجر).

طيب، الحجر هل يصح الوقف عليه؟

الجواب: أن عامة علماء الوقف والابتداء أجازوا الوقف هنا، ومنهم الهبطي والسجاوندي والأنصاري وغيرهم، واعتبروا الفاء هنا في قوله: (فانفجرت منه) داخلةً على الجزاء، جزاء ماذا؟ قالوا أصل الجملة: فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فحذف الفعل فضرب، فالفاء هنا داخلةٌ على جزاء الضرب، أن نتيجة الضرب أنها انفجرت منه اثنتا عشر عينا، فصح الوقف عليه.

طيب، على قوله: (عينا) هل يصح الوقف؟ نعم، صحّحه عامة علماء الوقف والابتداء، وهو وقف عند الهبطي وكذلك وضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وجملة (قد علم كل أناس مشربهم) جملة مستأنفة.

طيب، (كلوا واشربوا من رزق الله) هل يصح الوقف على ما قبلها؟ يعني على قوله (مشربهم) أقول: نعم يصح الوقف، وهو الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء وهو وقف عند الهبطي أيضا ووضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وهي أيضا جملة مستأنفة، يعني: بعد أن ذكر الله ما حصل من انفجار الأعين قال: كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

طيب، هل يصح الوقف على قوله (من رزق الله) هاتان جملتان معطوفتان على بعض، صحح الوقف عليه الهبطي والأشموني والأنصاري، والأمر فيه واسع، وهو أمر ونهي، الجملة الأولى (كلوا واشربوا من رزق الله) أمر (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) نهي، والفصل بينهما له حظ من النظر، والله أعلم.

الآية الأخيرة: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) هل يصح الوقف على واحد هنا؟ الفاء في قوله (فادع لنا ربك) فاء رابطة للمسبب بالسبب، يعني قالوا لموسى لن نصبر على طعام واحد لذلك ادع لنا ربك إلى آخر قولهم، ولم يصحح الوقف هنا أحد من علماء الوقف والابتداء فيما اطلعت عليه؛ لأنه من تتمة كلامهم، أيضا فهم قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا فهذا كله تتمة كلامهم إلى قوله: (وبصلها) فلم يصحح العلماء الوقف إلى قوله (وبصلها).

طيب، (وبصلها) يصح الوقف عليه عند عامة علماء الوقف والابتداء؛ لأن جملة (قال أتستبدلون الذي هو أدنى) جملة مستأنفة جواب من موسى عليه السلام على قولهم هذا، ويصح الفصل بين القول وجواب القول كما سبق التنبيه عليه.

طيب، إن أراد أن يقف وقفا حسنا لبعد موضع الوقف هنا فأين يقف؟ (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك) ثم يرجع (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها) أو (من بقلها) يقف هنا ثم يعود من قوله (يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها). وإن أراد أن يقف في موضع واحد له أن يقف (يخرج لنا مما تنبت الأرض) ثم يعود (يخرج لنا مما تنبت الأرض) إلى قوله (وبصلها).

طيب، (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) هل يصح الوقف هنا؟ أولا هنا نقاش طويل بين علماء التفسير في هذه الجملة، قالوا هي من قول موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)، طيب (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) هذا من قول مَن؟ هنا حصل الخلاف: فمنهم من قال انتهى قول موسى على قوله (بالذي هو خير) وقوله (اهبطوا مصرا) هذا من قول الله سبحانه وتعالى يعني أوحى الله إلى موسى أن قل لهم: اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم، ومنهم من قال بل كله من قول موسى، فمن جعله كله من قول موسى لم يصحّح الوقف على (بالذي هو خير) لكن جمهور المفسرين على أن الأول من قول موسى إلى قوله (بالذي هو خير) ثم قوله (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) من قول الله تعالى، واستدلوا على ذلك بأن قول (فإن لكم ما سألتم) لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الرزاق فهو يخبرهم أن لهم ما سألوا من البصل والبقل والقثاء والفوم والعدس في أي مصر هبطوا إليه من الأمصار، وبناء على قول جمهور المفسرين يصح الوقف على قوله (بالذي هو خير) الذي هو نهاية قول موسى عليه السلام، وهو الذي صححه عامة علماء الوقف والابتداء، وهو وقف عند الهبطي وفي مصحف المدينة وضعت علامة الوقف الجائز هنا.

(اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) هل يصح الوقف هنا؟ الجواب: نعم يصح الوقف هنا، بل قال الداني: الوقف هنا تام بلا خلاف؛ لأن (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) حكاية في جملة مستأنفة عن حالهم التي صاروا إليها بعد ذلك، وليس له علاقة بالحوار الذي دار بين موسى وقومه.

وهل يصح الوقف على (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أو يصل إلى (وباءوا بغضب من الله) أما الوقف على (من الله) فصححه عامة علماء الوقف والابتداء، وأكثرهم صحح الوقف على (والمسكنة) لكنه جعل الوقف على (من الله) أولى وأتم وأكفى وأحسن، كما نص عليه الداني والأشموني والنحاس، إن وقف (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) ثم قرأ (وباءوا بغضب من الله) صحّ، لكن إن وقف (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) فهو أصح، وكلاهما صحيح كما قالوا،

بقي قول الله تعالى (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) هل يقف على قوله (بآيات الله) الجواب: لا؛ لأن جملة التعليل جمعت بين وصفين لهم: الوصف الأول أنهم يكفرون بآيات الله، والوصف الثاني: أنهم يقتلون النبيين بغير الحق.

طيب، هل يصح الوقف على قوله (بغير الحق) الجواب: نعم يصح، وهو وقف عند الهبطي وكذلك وضعت عليه علامة الوقف أولى في مصحف المدينة وصححه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) جملة فيها إشارة إلى ما سبق، لكن الإشارة هذه لا تعني ارتباطا لفظيا إعرابيا، بل هي جملة مستقلة إعرابيا وإن ارتبطت معنويا بما قبلها، والله تعالى أعلم

هذا نهاية ما في هذا المقطع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٥١-٦١

(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة)

قال البقاعي: وخصّ الليل بالذكر إشارة إلى أن ألذ المناجاة فيه. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٣٦٢).

(وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون):

قال الشنقيطي: الظاهر في معناه: أن الفرقان هو الكتاب الذي أوتيه موسى، وإنما عطف على نفسه تنزيلا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ لأن ذلك الكتاب الذي هو التوراة موصوف بأمرين:

أحدهما: أنه مكتوب كتبه الله لنبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

والثاني: أنه فرقان؛ أي: فارق بين الحق والباطل، فعطف الفرقان على الكتاب، مع أنه هو نفسه نظرا لتغاير الصفتين...

بل ربما عطفت العرب الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظ فقط، فاكتفوا بالمغايرة في اللفظ...

والدليل من القرآن على أن الفرقان هو ما أوتيه موسى قوله تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) الآية. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٧).

(إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل):

قال الشنقيطي: لم يبين هنا من أي شيء هذا العجل المعبود من دون الله؟ ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)، وقوله: (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار).

ولم يذكر المفعول الثاني للاتخاذ في جميع القرآن، وتقديره: باتخاذكم العجل إلها، كما أشار له في سورة «طه» بقوله: (فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٨)

(فاقتلوا أنفسكم):

قال ابن عثيمين: وليس المعنى أن كل رجل يقتل نفسه بالإجماع؛ فلم يقل أحد من المفسرين: إن معنى قوله تعالى: {فاقتلوا أنفسكم} أي يقتل كل رجل نفسه؛ وإنما المعنى: ليقتل بعضكم بعضـًا. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٨٧).

وقال ابن تيمية: {ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم} أي كخيفة بعضكم بعضا كما في قوله {ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم} وفي قوله {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا} وفي قوله {ولا تلمزوا أنفسكم} وفي قوله {فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم} وفي قوله {ولا تخرجون أنفسكم من دياركم} إلى قوله {ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم} فإن المراد في هذا كله من نوع واحد. مجموع الفتاوى (٣/ ٣٠٢).

(وأنزلنا عليكم المن والسلوى).

قال الشنقيطي: هذه الآية الكريمة تدل على أن الله أكرم بني إسرائيل بنوعين من أنواع الطعام، وهما المن والسلوى، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنهم لم يكن عندهم إلا طعام واحد، وهي قوله تعالى: وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد، وللجمع بينهما أوجه:

الأول: أن المن وهو الترنجبين على قول الأكثرين من جنس الشراب، والطعام الواحد هو السلوى، وهو على قول الأكثرين السماني أو طائر يشبهه.

الوجه الثاني: أن المجعول على المائدة الواحدة تسميه العرب طعاما واحدا وإن اختلفت أنواعه، ومنه قولهم: أكلنا طعام فلان، وإن كان أنواعا مختلفة. والذي يظهر أن هذا الوجه أصح من الأول لأن تفسير المن بخصوص الترنجبين يرده الحديث المتفق عليه: الكمأة من المن... الحديث [متفق عليه].

الثالث: أنهم سموه طعاما واحدا لأنه لا يتغير ولا يتبدل كل يوم، فهو مأكل واحد وهو ظاهر. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٩).

{وظللنا عليكم الغمام}:

قال ابن عثيمين: أي: جعلناه ظلاً عليكم؛ وكان ذلك في التيه حين تاهوا؛ وقد بقوا في التيه بين مصر والشام أربعين سنة يتيهون في الأرض؛ وما كان عندهم ماء، ولا مأوى؛ ولكن الله تعالى رحمهم، فظلل عليه الغمام؛ و {الغمام} هو السحاب الرقيق الأبيض؛ وقيل: السحاب مطلقـًا؛ وقيل: السحاب البارد الذي يكون به الجو بارداً، ويتولد منه رطوبة، فيبرد الجو. وهذا هو الظاهر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٩٥)

(وادخلوا الباب سجدا):

قال ابن تيمية: الركوع والسجود- كما قدَّمنا- كلاهما يدخلُ في اسم الآخر عند الانفراد، وإن مُيِّزَ بينهما عند الجمع، كما في لفظ الفقير والمسكين، كما قال تعالى: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ)، قيل: المراد به الركوع، لأن الساجد على الأرض لا يمكنه الدخول، ومنه قول العرب: سَجَدتِ النَّخلةُ، إذا مالت، فهذا إدخال الركوع في مسمى السجود، فإنه مبدؤه وأوله. وأما الآخر فكقوله في قصة داود: (وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)، وإنما هو سجودٌ بالأرض، كما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح أنه قال: "سَجَدَها داودُ توبة، ونحن نسجدها شكرًا"، فإن الركوع يحصل بالانحناء، والزيادة على ذلك إلى حدّ الأرض زيادةٌ فيه. جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٢٩٥-٢٩٦).

(فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم):

قال ابن عثيمين: وفي قوله تعالى: {فبدَّل الذين ظلموا} إظهار في موضع الإضمار؛ ومقتضى السياق أن يكون بلفظ: فبدلوا قولاً.. إلخ، وللإظهار في موضع الإضمار فوائد من أهمها:

أولاً: تحقيق اتصاف محل المضمر بهذا الوصف؛ معنى ذلك: الحكم على هؤلاء بالظلم...

ثانيـاً: أن هذا مقياس لغيرهم أيضـاً؛ فكل من بدل القول الذي قيل له فهو ظالم؛ فيؤخذ منه تعميم الحكم بعموم علة الوصف..

ثالثـاً: التنبيه أعني تنبيه المخاطب؛ لأنه إذا جاء الكلام على خلاف السياق انتبه المخاطب. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠١-٢٠٢).

اختلاف ألفاظ القصص في القرآن:

قال ابن جماعة: أما اختلاف الألفاظ فلأن المقصود المعاني لأن الألفاظ الدالة عليها

أولا: لم تكن باللسان العربي، بل بألسنة المتخاطبين حالة وقوع ذلك المعنى، فلما أديت تلك المعاني إلى هذه الأمة أديت بألفاظ عربية تدل على معانيها مع اختلاف الألفاظ واتحاد المعنى، فلا فرق بين " أبى" أن يكون مع الساجدين وبين " لم يكن مع الساجدين " في دلالتها على معنى واحد وهو عدم السجود. وكذلك لا فرق في المعنى بين "مالك أن لا تسجد" و" وما منعك أن تسجد" لأن اللام صلة زائدة.

وأما زيادة المعاني ونقصها في بعض دون بعض فلأن المعاني الواقعة في القصص فرقت في إيرادها، فيذكر بعضها في مكان وبعض آخر في مكان آخر، ولذلك عدة فوائد. كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص: ١٧٤)

فوائد تكرار القصص في القرآن:

قال السيوطي: ألف البدر بن جماعة كتابا سماه المقتنص في فوائد تكرار القصص وذكر في تكرير القصص فوائد:

منها: أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة، وهذه عادة البلغاء.

ومنها: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدّمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم آخرين وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين.

ومنها: أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها: أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

ومنها: أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي: بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا.

ومنها: أنه لما تحداهم قال: {فأتوا بسورة من مثله} فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفي بها لقال العربي: ائتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزلها سبحانه وتعالى في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه.

ومنها: أن القصة لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة، واستلذاذها بها وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين. الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٣٠-٢٣١).

(وإذ استسقى موسى لقومه):

قال ابن عثيمين: السقيا كما تكون بالمطر النازل من السماء تكون في النابع من الأرض. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠٨).

عصا موسى عليه السلام:

قال ابن عثيمين: وهذه "العصا" كان فيها أربع آيات عظيمة: أولاً: أنه يلقيها، فتكون حية تسعى، ثم يأخذها، فتعود عصا.. ثانيـاً: أنه يضرب بها الحجر، فينفجر عيونـاً.. ثالثـاً: أنه ضرب بها البحر، فانفلق؛ فكان كل فرق كالطود العظيم..

رابعـًا: أنه ألقاها حين اجتمع إليه السحرة، وألقوا حبالهم، وعصيهم، فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠٦).

أيهما أفضل: اللحم أو الخبز؟

قال ابن القيم: وتنازع الناس أيهما أفضل؟ والصواب أن الحاجة إلى الخبز أكثر وأعم، واللحم أجل وأفضل، وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه، وهو طعام أهل الجنة، وقد قال تعالى لمن طلب البقل، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وكثير من السلف على أن الفوم: الحنطة، وعلى هذا فالآية نص على أن اللحم خير من الحنطة. زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٧١)

وقال ابن عثيمين: لحم الطيور من أفضل اللحوم؛ لأن الله تعالى هيأ لهم لحوم الطير. وهو أيضـًا لحوم أهل الجنة، كما قال تعالى: {ولحم طير مما يشتهون}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٩٧)

(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)

قال ابن القيم: وقد سمعت ما قصّ عليك من إنكاره سبحانه على بني إسرائيل استبدالهم طعاما بطعام أدنى منه فذمهم على ذلك ونعاه عليهم وقال: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ووليه ومالك أمره الذي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور ولا فرحة ولا نجاة إلا بأن يوحده في الحب، ويكون أحب إليه مما سواه، فانظر بالله بمن استبدلْت وبمحبة من تعوضْت، رضيت لنفسك بالحبس في الحشّ، وقلوب محبيه تجول حول العرش، فلو أقبلت عليه وأعرضت عمن سواه لرأيت العجائب، ولأمنت من المتالف والمعاطب، أوما علمت أنه خص بالفوز والنعيم من أتاه بقلب سليم، أي: سليم مما سواه، ليس فيه غير حبه واتّباع رضاه. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٠٨-١٠٩).

{اهبطوا مصراً}:

قال ابن عثيمين: و {مصراً} ليست البلد المعروف الآن، ولكن المقصود أيّ مصر كانت؛ ولهذا نُكِّرت؛ و"مصر" البلد لا تنكَّر، ولا تنصرف؛ واقرأ قوله تعالى: {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتـًا}؛ فالمعنى: اهبطوا أيّ مصر من الأمصار تجدون ما سألتم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢١٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٥١-٦١

(ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل)

قال البقاعي: جعلتم أنفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيئًا، ولمن هي أشرف منه، فأنزلتموها من رتبة عزها بخضوعها لمولاها الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه إلى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم أنتم، هذا هو أسوأ الظلم، فإن المرء لا يصلح أن يتذلل ويتعبد لمثله فكيف لمن دونه من حيوان! فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من المعادن. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٣٧٢).

رحمة الله بهذه الأمة:

قال ابن تيمية: كان الواحد من أممهم –أي: الأنبياء السابقين– إذا أصاب بعض الذنوب يحتاج مع التوبة إلى عقوبات شديدة، كما قال تعالى: {وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم} وقد روي عن أبي العالية وغيره: أن أحدهم كان إذا أصاب ذنبا أصبحت الخطيئة والكفارة مكتوبة على بابه، فأنزل الله في حق هذه الأمة: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم} إلى قوله: {ونعم أجر العاملين}... وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها} وفي الصحيح عنه أنه قال: {من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه}. مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٠٦-٤٠٧).

قال القرطبي: ما أنعم الله على هذه الأمة نعمة بعد الإسلام هي أفضل من التوبة. تفسير القرطبي (١/ ٤٠٢).

(إنه هو التواب الرحيم):

قال ابن عثيمين: {التواب} أي كثير التوبة: لكثرة توبته على العبد الواحد، وكثرة توبته على التائبين الذين لا يحصيهم إلا الله، فهو يتوب في المرات المتعددة على عبده، ويتوب على الأشخاص الكثيرين الذين تكثر توبتهم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٨٨)

وقال ابن عثيمين: ينبغي للإنسان أن يتعرض لما يقتضيه هذان الاسمان من أسماء الله؛ فيتعرض لتوبة الله، ورحمته؛ فيتوب إلى ربه سبحانه وتعالى، ويرجو الرحمة؛ وهذا هو أحد المعاني التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أحصاها". أي أسماء الله التسعة والتسعين "دخل الجنة" [متفق عليه]؛ فإن من إحصائها أن يتعبد الإنسان بمقتضاها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٩٠)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». [البخاري].

رؤية الله في الدنيا:

قال الشوكاني: قد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة. فتح القدير للشوكاني (١/ ١٠٣)

قال الدارمي: ألا ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا، فقالوا: {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}؟ ولم يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة ولكن في الدنيا. وقد سبق من الله القول بأنه: {لا تدركه الأبصار} أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم عما حظره الله على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا صلى الله عليه وسلم، لم تصبهم تلك الصاعقة، ولم يقل لهم إلا ما قال محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "نعم، لا تضارون في رؤيته" [متفق عليه] فلم يعبهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بها بشرى جميلة... وقد بشرهم الله تعالى بها قبله في كتابه، فقال تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة} وقال للكفار: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} فقوم موسى سألوا نبيهم ما قد حظره الله على أهل الدنيا بقوله: {لا تدركه الأبصار}، وسأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نبيهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويثيبهم به فصعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون، وسلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بسؤالهم ما يكون. نقض الدارمي (١/ ٣٦٦-٣٦٨).

ويقول ابن عثيمين: وفرْق بين قول موسى عليه السلام: {رب أرني أنظر إليك} [الأعراف: ١٤٣]، وبين قول هؤلاء: {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}؛ فموسى قال ذلك شوقاً إلى الله عزّ وجلّ، وليتلذذ بالرؤية إليه؛ أما هؤلاء فقالوه تشككاً. يعني: لسنا بمؤمنين إلا إذا رأيناه جهرة؛ ففرق بين الطلبين. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٩٤)

من أنواع تقرير المعاد في القرآن:

قال ابن تيمية: وقرر سبحانه معاد الأبدان بأنواع من التقرير فتارة يخبر بوقوع إحياء الموتى كما أخبر بذلك في سورة البقرة في عدة مواضع في قوله: {وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون} إلى قوله: {ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون} (سورة البقرة ٥٥-٥٦) وقوله: {فقلنا اضربوه ببعضها كذلك

يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} (سورة البقرة ٧٣) وقوله: {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم} (سورة البقرة ٢٤٣) وقوله: {أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام} (سورة البقرة ٢٥٩) وقوله: {وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير} الآية (سورة البقرة ٢٦٠) وذكر إحياء المسيح الموتى، وذكر قصة أصحاب الكهف ونومهم ثلثمائة سنة وتسع سنين والنوم أخو الموت، فهذه سبع مواضع. الصفدية (٢/ ٢٢٦).

{كلوا من طيبات ما رزقناكم}:

قال ابن عثيمين: الإنسان لا ينبغي أن يتعفف عن الشيء المباح؛ ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: "من امتنع من أكل الطيبات لغير سبب شرعي فهو مذموم"؛ وهذا صحيح؛ لأنه ترك ما أباح الله له وكأنه يقول: إنه لا يريد أن يكون لله عليه منة؛ فالإنسان لا ينبغي أن يمتنع عن الطيبات إلا لسبب شرعي؛ والسبب الشرعي قد يكون لسبب يتعلق ببدنه؛ وقد يكون لسبب يتعلق بدينه؛ وقد يكون لسبب يتعلق بغيره؛ فقد يمتنع الإنسان عن اللحم؛ لأن بدنه لا يقبله، فيكون تركه له من باب الحمية؛ وقد يترك الإنسان اللحم، لأنه يخشى أن تتسلى به نفسه حتى يكون همه أن يُذهب طيباته في حياته الدنيا؛ وقد يترك الإنسان الطيب من الرزق مراعاة لغيره، مثل ما يذكر عن عمر رضي الله عنه في عام الرمادة. عام الجدب المشهور. أنه كان لا يأكل إلا الخبز والزيت، حتى اسود جلده... فيكون تركه لذلك مراعاة لغيره؛ إذاً من امتنع من الطيبات لسبب شرعي فليس بمذموم...

تحريم أكل الخبيث، والخبيث نوعان: خبيث لذاته؛ وخبيث لكسبه؛ فالخبيث لذاته كالميتة، والخنْزير، والخمر، وما أشبهها، كما قال الله تعالى: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنْزير فإنه رجس} أي نجس خبيث؛ وهذا محرم لذاته؛ محرم على جميع الناس؛ وأما الخبيث لكسبه فمثل المأخوذ عن طريق الغش، أو عن طريق الربا، أو عن طريق الكذب، وما أشبه ذلك؛ وهذا محرم على مكتسبه، وليس محرماً على غيره إذا اكتسبه منه بطريق مباح؛ ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعامل اليهود مع أنهم كانوا يأكلون السحت، ويأخذون الربا، فدلّ ذلك على أنه لا يحرم على غير الكاسب. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ١٩٧- ١٩٨).

{وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمُون}:

قال ابن تيمية: فقد بيَّن أنّ العصاة لا يضرّونه، ولا يظلمونه، كعصاة المخلوقين؛ فإنّ مماليك السيّد، وجند الملك، وأعوان الرجل، وشركاءه إذا عصوه فيما يأمرهم ويطلبه منهم، فقد يحصل له بذلك ضرر في نفسه، أو ماله، أو عرضه،

أو غير ذلك، وقد يكون ذلك ظلماً له. والله تعالى لا يقدر أحدٌ على أن يضرّه ولا يظلمه. وإن كان الكافر على ربه ظهيراً، فمظاهرته على ربه، ومعاداته له، ومشاقّته، ومحاربته، عادت عليه بضرره، وظلمه لنفسه، وعقوبته في الدنيا والآخرة. وأما النفع فهو سبحانه غنيٌ عن الخلق، لا يستطيعون نفعه فينفعوه؛ فما أمرهم به إذا لم يفعلوه، لم يضرّوه بذلك. النبوات لابن تيمية (١/ ٤٤٤).

ظلم بني إسرائيل وعنادهم:

قال ابن كثير: (كانوا أنفسهم يظلمون) خالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم. تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٣)

(ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة):

قال ابن كثير: وحاصل الأمر: أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها، والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى...؛ ولهذا كان عليه السلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر، كما روي أنه كان يوم الفتح -فتح مكة-داخلا إليها من الثنية العليا، وإنه الخاضع لربه... يشكر الله على ذلك. [الحاكم، والبيهقي في دلائل النبوة] ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى [مسلم]. تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٥).

(بما كانوا يفسقون):

قال ابن عثيمين: الرد على الجبرية الذين يقولون: إن الله سبحانه وتعالى مجبر العبد على عمله؛ ووجه الرد أن الله سبحانه وتعالى أضاف الفسق إليهم؛ والفسق هو الخروج عن الطاعة؛ والوجه الثاني: أنهم لو كانوا مجبرين على أعمالهم لكان تعذيبهم ظلماً، والله تبارك وتعالى يقول: {ولا يظلم ربك أحداً}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠٥).

(اضرب بعصاك الحجر):

قال ابن عثيمين: كمال قدرة الله عزّ وجلّ، حيث إن موسى صلى الله عليه وسلم يضرب الحجر اليابس بالعصا، فيتفجر عيونًا؛ وهذا شيء لم تجر العادة بمثله؛ فهو دليل على قدرة الله عزّ وجلّ، وأنه ليس كما يزعم الطبائعيون بأنه طبيعة؛ إذ

لو كانت الأمور بالطبيعة ما تغيرت، وبقيت على ما هي عليه... ومنها: الآية العظيمة في عصا موسى، حيث يضرب به الحجر، فيتفجر عيوناً مع أن الحجر صلب، ويابس؛ وقد وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو أعظم، حيث أُتي إليه بإناء فيه ماء، فوضع يده فيه، فصار يفور من بين أصابعه كالعيون [البخاري]؛ ووجه كونه أعظم: أنه ليس من عادة الإناء أن يتفجر عيوناً بخلاف الحجارة؛ فقد قال الله تعالى: {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار}؛ ووجه آخر: أن الإناء منفصل عن الأرض لا صلة له بها بخلاف الحجارة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

إضافة الشيء إلى سببه: (مما تنبت الأرض):

قال ابن عثيمين: الحادث بسبب معلوم له صور:

الصورة الأولى: أن يضيفه إلى الله وحده.

الثانية: أن يضيفه إلى الله تعالى مقروناً بسببه المعلوم؛ مثل أن يقول: "لولا أن الله أنجاني بفلان لغرقت"..

الثالثة: أن يضيفه إلى السبب المعلوم وحده مع اعتقاد أن الله هو المسبِّب؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب لما ذكر عذابه: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" [متفق عليه].

الرابعة: أن يضيفه إلى الله مقروناً بالسبب المعلوم بـ"ثم"، كقوله: "لولا الله ثم فلان"؛ "وهذه الأربع كلها جائزة"..

الصورة الخامسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالواو؛ فهذا شرك، كقوله: "لولا الله وفلان.

الصورة السادسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالفاء، مثل: "لولا الله ففلان"؛ فهذا محل نظر: يحتمل الجواز، ويحتمل المنع.

الصورة السابعة: أن يضيفه إلى سبب موهوم ليس بثابت شرعاً، ولا حساً، فهذا شرك. كما سبق. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢١٧)

(من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها):

قال ابن عثيمين: فيه حِلّ البقول، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل؛ لقولهم: {ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ... } إلى قوله: {اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم} أي من الأصناف المذكورة..

وهذه الأصناف مباحة في شريعة موسى؛ وكذلك في شريعتنا؛ فإنه لما قُدِّم للرسول صلى الله عليه وسلم قدر فيه بقول فكره أكلها؛ فلما رآه بعض أصحابه كره أكلها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "كل؛ فإني أناجي من لا تناجي" [متفق عليه]؛ فأباحها لهم؛ وكذلك في خيبر لما وقع الناس في البصل، وعلموا كراهة النبي صلى الله عليه وسلم لها قالوا:

حُرّمت؛ قال صلى الله عليه وسلم "إنه ليس بي تحريم ما أحل الله" [مسلم]؛ فبين أنه حلال. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢١٦).

(وضربت عليهم الذلة والمسكنة):

قال ابن عثيمين: أن بني إسرائيل لا يقومون للمسلمين لو حاربوهم من قبل الإسلام؛ لأن ضرب الذلة بسبب المعصية؛ فإذا حوربوا بالطاعة والإسلام فلا شك أنه سيكون الوبال عليهم؛ وقد قال الله تعالى: {لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر} [الحشر: ١٤] ؛ وما يشاهد اليوم من مقاتلة اليهود للعرب فإنما ذلك لسببين:

الأول: قلة الإخلاص لله تعالى؛ فإن كثيراً من الذين يقاتلون اليهود. أو أكثرهم. لا يقاتلونهم باسم الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ وإنما يقاتلونهم باسم العروبة؛ فهو قتال عصبي قَبَلِيّ؛ ولذلك لم يفلح العرب في مواجهة اليهود..

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من كبيرة، وصغيرة؛ حتى إن بعضها ليؤدي إلى الكفر؛ وقد حصل للمسلمين في أُحُد ما حصل بمعصية واحدة مع ما انضم إليها من التنازع، والفشل، كما قال الله تعالى: {حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون} ؟ تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢١٩).

وقال البغوي: المسكنة: الفقر، سمي الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء. تفسير البغوي (١/ ١٢٣)

وقال ابن عاشور: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) ومعنى لزوم الذلة والمسكنة لليهود أنهم فقدوا البأس والشجاعة وبدا عليهم سيما الفقر والحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم فإنهم لما سئموها صارت لديهم كالعدم ولذلك صار الحرص لهم سجية باقية في أعقابهم. التحرير والتنوير (١/ ٥٢٨).

(ويقتلون النبيين بغير الحق)

قال القرطبي: فإن قيل: كيف جاز أن يخلّي بين الكافرين وقتل الأنبياء؟ قيل: ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين، وليس ذلك بخذلان لهم. قال ابن عباس والحسن: لم يُقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نُصر. تفسير القرطبي (١/ ٤٣٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ٥١-٦١

١- عفو الله عنك بعدم مؤاخذتك على ذنوبك، وستْرها عليك في الدنيا يوجب شكره سبحانه (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون).

٢- أنزل الله الكتب على أنبيائه ورسله لتكون مصدر هداية للناس، فتدبّر القرآن حق التدبر مستعينا بالله على ذلك، وأبشر بالهداية التامّة (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون).

٣- من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل التوبة سهلة يسيرة لا تحتاج إلى قتل نفس كما حصل لبني إسرائيل، وليس فيها تكليف بما يشق على التائب، فاحمد الله على ذلك، وتب إليه توبة نصوحا فإن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل لما عبدوا العجل: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم).

٤- احذر من التعنّت في قبول دين الله وأحكام شريعته، ولا تشترط للعمل بها شروطا على ربك، فذاك دليل على قسوة القلب وبعده عن الهداية، واحذر من عاقبة ذلك على نفسك وأهلك ومالك، فإن الله عاقب بني إسرائيل أشد العقوبة على ذلك (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون).

٥- احرص أن يكون طعامك حلالا طيبا، وابتعد عن الطعام الخبيث والمشتبه فيه، حتى لا ينبت جسمك من السحت والحرام (كلوا من طيبات ما رزقناكم).

٦- إذا تجدّدت لله عليك نعمة فأظهر الشكر لله عليها بقولك وفعلك ليغفر الله لك خطاياك، فإن الله يحب من عباده الشكور (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين).

٧- احذر من مقابلة نِعم الله عليك بكفرها بالقلب وجحودها باللسان والعصيان بالجوارح، فإن الله يُمهل ولا يُهمل، فإذا أخذ بسبب الذنب فإن أخذه أليم شديد (فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون).

٨- إذا أغناك الله ويسّر لك الرزق، وهيّأ لك طعامك وشرابك من غير كبير عناء ولا تعب ولا مشقة تُذكر فكُن شاكرا لله، واحذر من الإفساد في الأرض والطغيان فيها بالمعاصي (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين).

٩- اقبَل نعم الله عليك بصدر رحب، وشكرٍ للنعمة، وثناء على المنعِم بها، ولا تكن ممن يملّ النعمة ولا يصبر عليها، ويطلب تغييرها، وتذكّر أن كثيرا من الناس حولك يفتقدون كثيرا من النعم التي تتمتّع بها (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد).

١٠- لا تفرّط في نعيم الآخرة الكامل الباقي لتفوز بحطام الدنيا الناقص الفاني (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير).

١١- احذر من التمادي في العصيان، والتساهل في ارتكاب المعاصي، فإن المعصية تجرّ أختها، وقد تصل بالإنسان إلى الكفر والانسلاخ من الدين بالكلية، فيعاقبه الله بالذلة والمسكنة والغضب عليه (وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (٦٢-٧٣) من تفسير السعدي

قال تعالى حاكما بين الفرق الكتابية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} .

وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة، لأن الصابئين، الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى، فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال، فعليه الخوف والحزن.

والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء.

وذلك -والله أعلم- أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضا ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم ذكر تعالى حكما عاما يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين.

ثم عاد تبارك وتعالى يوبّخ بني إسرائيل بما فعل سلفهم: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

أي: واذكروا {إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم، برفع الطور فوقهم، وقيل لهم: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ} من التوراة {بِقُوَّةٍ} أي: بجد واجتهاد، وصبر على أوامر الله، {وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} أي: ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه، {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى.

فبعد هذا التأكيد البليغ {تَوَلَّيْتُمْ} وأعرضتم، وكان ذلك موجبا لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن {لَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} .

أي: ولقد تقرر عندكم حالة {الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ} وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسوطة في سورة الأعراف في قوله: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} الآيات.

فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم {قِرَدَةً خَاسِئِينَ} حقيرين ذليلين.

وجعل الله هذه العقوبة {نَكَالا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا} أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها، ممن هو في وقتهم. {وَمَا خَلْفَهَا} أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } .

أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلا وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلفتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد - لولا تبيين الله لكم - يحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبيين القاتل: اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} فقال نبي الله: {أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده.

فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق فقالوا: {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} أي: ما سنها؟ {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ} أي: كبيرة {وَلا بِكْرٌ} أي: صغيرة {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} واتركوا التشديد والتعنت.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} أي: شديد {تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} من حسنها.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} فلم نهتد إلى ما تريد {وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ} .

{قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ} أي: مذللة بالعمل، {تُثِيرُ الأرْضَ} بالحراثة {وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ} أي: ليست بساقية، {مُسَلَّمَةٌ} من العيوب أو من العمل {لا شِيَةَ فِيهَا} أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم.

{قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ} أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أيّ بقرة لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا: "إن شاء الله" لم يهتدوا أيضا إليها، {فَذَبَحُوهَا} أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات، {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} بسبب التعنت الذي جرى منهم.

فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتيل ببعضها، أي: بعضوٍ منها، إما معين، أو أيّ عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضربوه ببعضها فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، {لعلكم تعقلون} فتنزجرون عما يضركم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البقرة (٦٢-٧٣)

الكلمة	المعنى
والصابئين	فرقة من فرق النصارى، أو: عبدة الكواكب
الطور	جبل بِسَيناء
بِقُوة	بجد واجتهاد، وصبر على أوامر الله
واذكروا ما فيه	بتلاوته وتعلّمه والعمل به
اعتدَوا منكم في السبت	تحايلوا على ما حرّم الله في يوم السبت
خاسئين	مطرودين صاغرين
نكالا	عبرة
لما بين يديها	لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها
وما خلفها	ومَن بعدَها
هُزُوا	سُخرية
لا فارض ولا بِكر	ليست كبيرة مُسنّة ولا صغيرة فتيّة
عَوَانٌ بين ذلك	متوسطة بينهما
فاقِع	شديد الصُّفرة
لا ذَلول تُثير الأرض	ليست مُذلّلة بالعمل في الحراثة
ولا تسقي الحرث	ليست بساقية للزرع
مسلّمة	سالمة من العيوب
لا شِيَةَ فيها	ليس فيها لون غير لونها
فادّارءْتم فيها	فتنازعتم في قاتلها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٦٢-٧٣

حمد لك اللهم، وصلاة وسلاما على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية ٦٢ وحتى الآية ٧٣.

أبدأ بعون الله تعالى بقول الله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين...الآية) هل يصح الوقف على (والصابئين)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن خبر (إنّ) لم يأت بعد، (إنّ) لها اسم وخبر، اسمها في جملة (الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)، وخبرها (فلهم أجرهم عند ربهم)، (ولا خوف عليهم) معطوف على خبرها، (ولا هم يحزنون) أيضا معطوف.

وبناء على هذا لا يصح الوقف على (والصابئين) ولا على (وعمل صالحا) لأنه يفتقر إلى الخبر.

(فلهم أجرهم عند ربهم) هل يصح الوقف هنا؟

إذا قلنا أن الواو في قوله: (ولا خوف عليهم) عاطفة فإنه لا يصح الوقف، ويصح من وجهٍ آخر معنوي، وهو أن الله سبحانه وتعالى رتب الجزاء الذي هو: أن من آمن من هؤلاء بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فله أجره عند الله سبحانه وتعالى، هذا هو الجزاء الذي وُعد به عند الله يوم القيامة. ثم أخبر بجزاءٍ إضافيٍ فقال: (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فالبعض رأى أن الواو هنا واو استئناف فصحّح الوقف، والبعض رأى أنها واو عطف لكن الجملة اختلفت، ما وجه الاختلاف؟ أن الجملة هنا جملة نافية، بينما الجملة الأولى جملة مثبِتة (فلهم أجرهم) جملة إثبات، (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) نفي. فقالوا: يصح الفصل بين ما فيه إثباتٌ وما فيه نفيٌ من هذين الوجهين: وجه الفرق بين الإثبات والنفي من ناحية، والفرق بين الجزاء الذي وعدوا به الذي هو كونهم لهم أجرهم عند ربهم وبين ما يحصل لهم من نعيم إضافي على ذلك، فهو وقف جائز أجازه جماعة من العلماء المصنفين في الوقف والابتداء.

طيب، إذا قلنا إنه لا وقف في الآية إلا عند قوله: (فلهم أجرهم عند ربهم) أو قلنا: لا وقف في الآية كاملة فإننا نحتاج إلى وقف حسن في الآية، فأين الوقف الحسن فيها؟

الوقف الحسن فيها إما على: (والصابئين) ثم يعود ويربط ويقول: (والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر)، والأصح والأحسن منه أن يقف (من آمن بالله) أو (من آمن بالله واليوم الآخر) ثم يرجع ويقول (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم).

الآية التي تليها: هل يصح الوقف على قول الله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) قبل (خذوا ما آتيناكم بقوة)؟

هنا ننظر إلى جملة (خذوا ما آتيناكم بقوة) هل هي بمعنى: قلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة، أو على إضمار (أنْ) المخففة؟ أي: ورفعنا فوقكم الطور أن خذوا ما آتيناكم بقوة.

اختلافٌ بين النحويين في هذا، فمذهب البصريين يضمرون القول أي: قلنا لكم خذوا، والكوفيين يضمرون (أنْ) المخففة، بناءً على مذهب البصريين صحّح بعض العلماء الوقف هنا، فأجازوا الوقف، ثم ما بعدها جملةٌ مستأنفةٌ أي: قلنا لكم (خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون).

وبناءً على مذهب الكوفيين الذين يضمرون (أن) المخففة لا يحسن الوقف، وهو الذي نص عليه النحاس وابن الأنباري وغيرهما والله أعلم.

والأحوط فيها ولا شك عدم الوقف، وإن وقف فلا حرج، وهو وقف عند الهبطي والسجاوندي وغيرهما.

الآية التي تليها: (ثم توليتم من بعد ذلك) هل يصح الوقف هنا أولا يصح؟

يصح الوقف هنا على اعتبار أن الفاء التي بعدها (فلولا) فاءٌ استئنافيةٌ، وجملة لولا جملةٌ مبتدأةٌ لها جوابها في قوله: (لكنتم من الخاسرين) فهي جملة مستقلة بذاتها (فلولا فضل الله عليكم ورحته لكنتم من الخاسرين) فصح الوقف قبلها، وهو الذي نص عليه عامة من صنف في الوقف والابتداء، وهو وقفٌ أيضًا عند الهبطي ووضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة.

الآية التي تليها: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين) لا وقف فيها على قوله: (السبت) لأن الفاء عاطفة.

وكذلك **الآية التي بعدها** (فجعلناها نكالاً لما بين يدينها وما خلفها وموعظةً للمتقين) لا وقف فيها لأن الواو عاطفة.

وأنبه هنا إلى فائدةٍ مهمةٍ تتعلق بالعطف، إذا كان المعطوف منصوبًا أو مجزومًا فإنهم لا يصححون الوقف قبله عادةً، لأن النصب أو الجزم لا بد له من ناصبٍ وجازمٍ، وعدم وجوده في حال الاستئناف والابتداء بالواو يشكِل، فكوني أبدأ مثلاً (وموعظةً للمتقين) لو بدأت بالرفع فقلت (موعظةٌ) لا إشكال هنا، لكن لما أبدأ بالنصب ففيه إشكالٌ، ما الذي نصب هذه الكلمة؟ فلذلك لا يصححون عادةً الوقف فيما كان منصوبا في حال العطف، أما ما كان مرفوعًا فالأمر فيه واسعٌ، لذلك يحصل الاختلاف عادةً في الواو إذا كان ما بعدها مرفوعًا هل هي واوٌ عاطفةٌ أو استئنافيةٌ، أما إذا كان ما بعدها منصوبًا أو مجزومًا فإنهم لا يختلفون في حكمها، ولا يصححون الوقف قبلها عادةً، والله أعلم.

الآية التي تليها: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، لأن: (قالوا أتتخذنا هزوا) جوابٌ منهم لقول موسى لهم، وهذا ذكرته سابقًا في أن الحوار بين الطرفين يحسن الوقف على نهاية قول كل قائلٍ، فهنا قال لهم موسى: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً) فقالوا هم: (أتتخذنا هزوًا) فأجاب موسى: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) فقالوا: (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فأجاب: (إنه يقول إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك فافعلوا ما تُؤمرون) فقالوا: (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) فأجاب: (إنها بقرةٌ صفراء). هذا الفصل بين قول موسى وقولهم وسؤالهم وجواب موسى، هذا كله مما يصح الوقف عليه، لكن السؤال هل يصح الوقف في وسط قولٍ من أقوال هؤلاء؟

مثلا، هل يصح الوقف عند قول موسى (قال إنه يقول إنه بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكرٌ)؟ تتمة قول موسى (عوانٌ بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) هل يصح الفصل أو لا يصح؟

هنا صحّح الفصل عامة علماء الوقف والابتداء في قوله: (لا فارضٌ ولا بكرٌ) واعتبروا جملة (عوانٌ بين ذلك) على تقدير هي عوانٌ بين ذلك، فهي جملةٌ مبتدأةٌ، ومنهم من اعتبر جملة (عوان) صفة لبقرة، فبناءً على اعتبارها صفة لا يصح الوقف، وبناءً على اعتبارها جملة مبتدأة –وهو الذي عليه أكثر علماء الوقف والابتداء– يصح الوقف، وهذا هو الذي اختاره الهبطي والسجاوندي وابن الأنباري والنحاس والداني وغيرهم.

طيب، في قول موسى (عوانٌ بين ذلك) هل يصح الوقف هنا أو لا يصح؟

أيضًا هنا صحح عامة المصنفين في الوقف والابتداء الوقف هنا، وهو وقف عند الهبطي، ووضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وهو على اعتبار تقدير: إن عرفتم ذلك فافعلوا ما تؤمرون، أو: قد بينا لكم فافعلوا ما تؤمرون، ففيه حذفٌ في الجملة.

وهنا أيضًا قاعدةٌ: علماء الوقف والابتداء لما يكون هناك حذفٌ واضحٌ في السياق ظاهرٌ، وهو عبارةٌ عن جملةٍ تصح أن تكون مستأنفة مع ما فيها من الحذف بمعنى أن التقدير أو المحذوف لو أتينا به وذكرناه في الجملة لصح الابتداء فإنهم يصححون الوقف قبلها.

في الآية التي تليها: أيضًا لما قالوا (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر) هذا كله من قولهم، هل يصح الوقف في شيءٍ من هذا؟

صحّح بعض العلماء الوقف على قولهم: (ماهي) واعتبروا جملة: (إن البقر تشابه علينا) جملة استئنافٍ بيانيٍ بمعنى أنهم أعادوا السؤال فقالوا (ما هي) هم سألوا في البداية (ما هي) فأُجيبوا، ثم سألوا عن لونها فأُجيبوا، ثم أعادوا السؤال فقالوا (ما هي) ثم اعتذروا عن إعادة سؤالهم فقالوا (إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) بمعنى أَجِبنا إجابةً

أوسع من الإجابة الأولى، فصحّحوا الوقف بناءً على هذا التقدير، ومن لم يصحّح الوقف هنا نظر إلى أن جملة: (إن البقر) تعليلية يعني ما هي فإن البقر تشابه علينا، فوضّح لنا توضيحًا أكثر، وكلا الوجهين محتملٌ.

ثم اختلفوا في الوقف على (إن البقر تشابه علينا) فأجازه جمعٌ ومنع منه آخرون، من أجاز اعتبر جملة (وإنا إن شاء الله لمهتدون) جملة استئنافٍ، ذكروا أننا حريصون على الوصول والاهتداء إلى هذه البقرة التي طُلب منا ذبحها، ومنهم من اعتبرها أيضا جملةً تعليليةً فلا يصح الوقف قبلها، والأمر فيها واسعٌ، والله أعلم.

الآية التي تليها: (قال إنه يقول إنها بقرةٌ لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) هل يصح الوقف على (لا ذلول)؟

الجواب: لا يصح الوقف هنا؛ لأن المعنى ليست بذلول فتثير الأرض، وليست بذلول فتسقي الحرث، وبناءً عليه لا يصح الوقف على (لا ذلول) ولا على (تثير الأرض). واختلفوا في الوقف على (ولا تسقي الحرث) بمعنى أن جملة (تثير الأرض ولا تسقي الحرث) كلاهما تفصيل لكلمة (لا ذلول).

وهنا ينبّه إلى خطأ يقع عند بعض الناس عند قراءة هذه الآية ومراعاة الوقف الحسن فإنه يقف مثلا يقول: (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض) ثم يعود فيقول: (تثير الأرض ولا تسقي الحرث) وهذا تحريفٌ للمعنى، بل لا بد أن يرجع فيقول: (لا ذلولٌ تثير الأرض) لأنه قد يوهم أنها ليست بذلولٍ لكنها تثير الأرض.

وكذلك من يقف (ولا تسقي الحرث) ثم يعود ويقول: (تثير الأرض ولا تسقي الحرث) فكأنه يثبت لها أنها تثير الأرض لكنها لا تسقي الحرث وهذا خطأٌ، بل هي ليست بذلول فليست تثير الأرض ولا تسقي الحرث.

هل يصح الوقف على قوله: (ولا تسقي الحرث)؟

صحّحه عامة علماء الوقف والابتداء واعتبروا (مسلّمةٌ) جملة مبتدأة، وبناء عليه صححوا الوقف قبلها، ومن اعتبر (مسلّمة) صفة لـِ(بقرة) لم يصحح الوقف قبلها.

الوقف على (لا شية فيها) صحيح لأنه نهاية قول موسى عليه السلام، ثم قالوا هم (الآن جئت بالحق) والوقف على (بالحق) أيضا صحيح؛ لأن جملة: (فذبحوها) فيها حذف تقديره: فطلبوها فوجدوها فذبحوها وما كادوا يفعلون.

الآية التي تليها قول الله تعالى: (وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها) هل يصح الوقف على (فادّارأتم فيها)؟

الجواب: نعم يصح؛ لأن جملة: (والله مخرج ما كنتم تكتمون) هي جملة اعتراضية بين قوله: (فادّارأتم فيها) وقوله: (فقلنا اضربوه ببعضها) فيصح الوقف قبلها، وقوله (ما كنتم تكتمون) رأس آية فلذلك صح الوقف هنا، وهو الذي عليه عامة علماء الوقف والابتداء.

الآية التي تليها (فقلنا اضربوه ببعضها) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم يصح الوقف، وهو الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وفيه أيضا حذف تقديره: فضربوه فحيي فأخبرهم بالقاتل، ثم قال الله: (كذلك يحيي الله الموتى) وهذا ما ذكرته من القاعدة قبل قليل من أن ما كان فيه حذف دل عليه السياق فإنهم يصححون الوقف قبله إذا كان يصح أن تقوم الجملة مع ما حذف منها بنفسها.

هل يصح الوقف على (كذلك يحيي الله الموتى)؟

من نظر إلى أن الواو التي بعدها واو عطف لم يصحح الوقف هنا، أي: كذلك يعني: كما حصل لكم يحيي الله الموتى ويريكم آياته من إحياء الموتى في الدنيا بين أعينكم لعلكم تعقلون فتستعدوا للبعث يوم القيامة.

ومن نظر إلى أن الواو واو استئناف أي: كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، ثم استأنف الله سبحانه وتعالى فقال: والله يريكم آياته المتنوعة في هذه الدنيا لعلكم تعقلون فتعتبروا وتتذكروا، فبناء عليه يصح الوقف، يعني: يريكم آياته العامة، وليست الإشارة في قوله: (ويريكم آياته) لهذه الآية التي هي إحياؤه لهذا الميت؛ لأن الإحياء للميت قد ذكره في قوله: (يحيي الله الموتى) وهذا له حظ من النظر، وأشار إليه الأشموني رحمه الله، وجعله حسنا بناء على أن الواو واو استئناف، فالأمر فيه محتمل. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لطائف سورة البقرة ٦٢-٧٣

مناسبة آية: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين...) لما قبلها:

قال ابن عثيمين: ومناسبة الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال: {وباءوا بغضب من الله} بيَّن أن من آمن منهم، وعمل صالحـًا فإن الله لا يضيع أجره؛ فقال تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم). تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٢١)

ذكر ما وقع من أصحاب السبت:

(ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) ورد مفصلا في سورة الأعراف في قول الله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٦].

قال ابن عباس: إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم -يوم الجمعة-. فخالفوا إلى السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به. فلما أبوا إلا لزوم السبت، ابتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره. وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها "مدين". فحرم الله عليهم في السبت الحيتان: صيدها وأكلها. وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذهبن، فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا. حتى إذا كان يوم السبت أتين إليهم شرعا، حتى إذا ذهب السبت ذهبن. فكانوا كذلك، حتى إذا طال عليهم الأمد وقَرِموا إلى الحيتان، عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت، فحزمه بخيط، ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتدا في الساحل فأوثقه، ثم تركه. حتى إذا كان الغد، جاء فأخذه – أي: إني لم آخذه في يوم السبت – ثم انطلق به فأكله. حتى إذا كان يوم السبت الآخر، عاد لمثل ذلك، ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله لقد وجدنا ريح الحيتان! ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل. قال: ففعلوا كما فعل، وأكلوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم بعقوبة، حتى صادوها علانية وباعوها بالأسواق. وقالت طائفة منهم من أهل البقيّة: ويحكم! اتقوا الله! ونهوهم عما كانوا يصنعون. وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تنه القوم عما صنعوا: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) لسخطنا أعمالهم – (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون)، قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلا يرونهم. فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأنا! فانظروا ما هو! فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها

مغلقة عليهم، قد دخلوا ليلا فغلقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد. قال: يقول ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء، لقلنا أهلك الجميع منهم. تفسير الطبري (٢/ ١٦٨-١٦٩).

قال ابن عاشور: وإنما جعل الاعتداء فيه مع أن الحفر في يوم الجمعة لأن أثره الذي ترتب عليه العصيان وهو دخول الحيتان للحياض يقع في يوم السبت. التحرير والتنوير (١/ ٥٤٤)

مناسبة العقوبة للذنب:

قال ابن عثيمين: بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ لأن عقوبة هؤلاء المتحيلين أنهم مسخوا قردة خاسئين؛ والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئاً صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي؛ وهذا؛ لأن الجزاء من جنس العمل؛ ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: {فكلًّا أخذنا بذنبه}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٣١)

مرجع الضمير في (فجعلناها نكالا):

قال ابن عثيمين: {فجعلناها} أي صيرناها؛ واختلف المفسرون في مرجع الضمير المفعول به؛ فقيل: يعود على القرية؛ لقوله تعالى في سورة الأعراف: {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت} ؛ فيكون مرجع الضمير مفهوماً من السياق؛ وقيل: يعود على العقوبة. أي فجعلنا العقوبة؛ لقوله تعالى: {فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالًا} ؛ فيكون المعنى: فجعلنا هذه العقوبة نكالاً. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٢٩)

(وموعظة للمتقين):

قال ابن عثيمين: المواعظ قسمان: كونية، وشرعية؛ فالموعظة هنا كونية قدرية؛ لأن الله أحل بهم العقوبة التي تكون نكالاً لما بين يديها، وما خلفها، وموعظة للمتقين؛ وأما الشرعية فمثل قوله تعالى: {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور} ؛ والمواعظ الكونية أشد تأثيراً لأصحاب القلوب القاسية؛ أما المواعظ الشرعية فهي أعظم تأثيراً في قلوب العارفين بالله اللينة قلوبهم؛ لأن انتفاع المؤمن بالشرائع أعظم من انتفاعه بالمقدورات...

الذين ينتفعون بالمواعظ هم المتقون؛ وأما غير المتقي فإنه لا ينتفع لا بالمواعظ الكونية، ولا بالمواعظ الشرعية؛ قد ينتفع بالمواعظ الكونية اضطراراً، وإكراهاً؛ وقد لا ينتفع؛ وقد يقول: هذه الأشياء ظواهر كونية طبيعية عادية، كما قال

تعالى: {وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم} [الطور: ٤٤] ؛ وقد ينتفع، ويرجع إلى الله تعالى، كما قال تعالى: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجَّاهم إلى البر إذا هم يشركون} [العنكبوت: ٦٥] ، وقال تعالى: {وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجَّاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختَّار كفور} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٣٢-٢٣٣)

قصة القتيل الذي ذبحوا البقرة بسببه:

عن عَبِيدة السلماني قال: كان في بني إسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلا حتى أتى به حيا آخرين فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم، حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي والنهى: على ما يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم، فأتوه، فقال: " {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} ، قال: فلو لم يعترضوا البقر لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا، فأخذوها بملء جلدها ذهبا، فذبحوها فضربوه ببعضها، فقام، فقالوا: من قتلك؟ قال: هذا، لابن أخيه، ثم مال ميتا، فلم يعط ابن أخيه من ماله شيئا، ولم يورث قاتل بعده ". السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٦٢)، وعبد الرزاق في المصنف (١/ ٢٧٤) وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ١٣٦)

سبب أمرهم بذبح بقرة:

قال الماوردي: وإنما أمروا- والله أعلم- بذبح بقرة دون غيرها، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كان يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته. تفسير القرطبي (١/ ٤٤٥)

خير الأمور أوساطها:

سئل الحسين بن الفضل: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله" خير الأمور أوساطها"؟ قال: نعم في أربعة مواضع: قوله تعالى: {لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك} وقوله تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} وقوله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط} وقوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا} . الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٤٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٦٢-٧٣

مَن هم الصابئون؟

قال ابن القيم: الصابئة أمة كبيرة فيهم السعيد والشقي، وهي إحدى الأمم المنقسمة إلى مؤمن وكافر، فإن الأمم قبل مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – نوعان: نوع كفار أشقياء كلهم ليس فيهم سعيد كعبدة الأوثان والمجوس. ونوع منقسمون إلى سعيد وشقي، وهم اليهود والنصارى والصابئة.

وقد ذكر الله سبحانه النوعين في كتابه فقال: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} . وكذلك قال في المائدة. وقال في سورة الحج: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد} [الحج: ١٧] ، فلم يقل هاهنا: من آمن منهم بالله واليوم الآخر ؛ لأنه ذكر معهم المجوس والذين أشركوا فذكر ست أمم، منهم اثنتان شقيتان، وأربع منهم منقسمة إلى شقي وسعيد، وحيث وعد أهل الإيمان والعمل الصالح منهم بالأجر ذكرهم أربع أمم ليس إلا .

ففي آية الفصل بين الأمم أدخل معهم الأمتين، وفي آية الوعد بالجزاء لم يدخلها معهم، فعلم أن الصابئين فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد وهذه أمة قديمة قبل اليهود والنصارى وهم أنواع: صابئة حنفاء وصابئة مشركون. أحكام أهل الذمة (١/ ٢٣٦).

قال ابن كثير: {والصابئين} أظهر الأقوال، والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٧).

معنى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين...):

قال ابن تيمية: معنى الآية أن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم، (والذين هادوا) الذين اتبعوا موسى عليه السلام، وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل، (والنصارى) الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل. (والصابئين) وهم الصابئون الحنفاء، كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق قبل التبديل والنسخ... فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم، ونحوهم هم الذين

مدحهم الله تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} . فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله، ولا باليوم الآخر وعمل صالحا. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ١٢٢-١٢٤).

وقال ابن تيمية: من كان من أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين قائما بهذه الأصول: وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. بخلاف من بدل منهم الكتاب، أو كذب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار. فمن كان متبعا لشرع التوراة قبل مبعث المسيح، غير مبدل له فهو من السعداء. وكذلك من كان متبعا لشرع الإنجيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم غير مبدل له فهو من السعداء. ومن بدل شرع التوراة أو كذّب بالمسيح فهو كافر، كاليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام، وكذلك من بدّل شرع الإنجيل أو كذّب محمدا صلى الله عليه وسلم فهو كافر كالنصارى بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم. فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل سعدوا، وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتاب والرسول الذي أرسل إليهم وإلى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم، فهم كفار. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٦٤).

(ورفعنا فوقكم الطور):

عن السدي: لما قال الله لهم: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة. فأبوا أن يسجدوا، أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سجدا على شق، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم فذلك قوله: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) [الأعراف: ١٧١] ، وقوله: (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) . تفسير الطبري (٢/ ١٥٩).

قال ابن عثيمين: بيان قوة الله عزّ وجلّ، وقدرته؛ لقوله تعالى: {ورفعنا فوقكم الطور} ؛ وقد قال الله تعالى في آية أخرى: {وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة} ؛ فلا أحد من الخلق يستطيع أن يحمل ذلك الجبل، ويجعله ظلة لا يسقط عليهم إلا الله عزّ وجلّ. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٢٧).

(خذوا ما آتيناكم بقوة):

قال ابن القيم: وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجد، فقال {خذوا ما آتيناكم بقوة} وقال {وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة} وقال {يا يحيى خذ الكتاب بقوة} أي: بجد واجتهاد وعزم، لا كمن يأخذ ما أُمر به بتردد وفتور. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٦٨).

معنى الذكر في قول الله تعالى: (واذكروا ما فيه...)

قال يحيى بن سلّام: الخامس: الذكر يعني الحفظ، وذلك قوله في سورة البقرة: {خُذُواْ مَآ ءاتيناكم بِقُوَّةٍ واذكروا مَا فِيهِ} يعني احفظوا ما فيه، يعني ما في التوراة من الأَمر والنَّهي. وقال في سورة آل عمران: {واذكروا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ} يعني احفظوا. وكذلك التي في سورة البقرة. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص: ١٥٩).

المراد بفضل الله ورحمته:

قال الألوسي: فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ الفضل التوفيق للتوبة والرحمة قبولها، أو الفضل والرحمة بعثة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإدراكهم لمدته، فالخطاب على الأول جار على سنن الخطابات السابقة مجازا باعتبار الإسلاف وعلى الثاني جار على الحقيقة. روح المعاني (١/ ٢٨٢).

قال ابن عثيمين: الإنسان لا يستقل بنفسه في التوفيق؛ لقوله تعالى: (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٢٨).

خطورة التحايل على المحرمات:

قال ابن تيمية: ذكر جماعات من العلماء والفقهاء وأهل التفسير أنهم احتالوا على الصيد يوم السبت بحيلة تُخيل بها في الظاهر أنهم لم يصيدوا في السبت، حتى قال أبو بكر الآجري – وقد ذكر بعض الحيل الربوية –: لقد مسخ اليهود قردة بدون هذا.

وقال قبله الإمام أبو يعقوب الجوزجاني في الاستدلال على إبطال الحيل: وهل أصاب الطائفة من بني إسرائيل المسخ إلا باحتيالهم على أمر الله، بأن حظروا الحظائر على الحيتان في يوم سبتهم، فمنعوها الانتشار يومها إلى الأحد فأخذوها...

وقال بعض الأئمة: في هذه الآية مزجرة عظيمة للمتعاطين الحيل على المناهي الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وليس بفقيه؛ إذ الفقيه من يخشى الله تعالى في الربويات والتحليل باستعارة المحلل للمطلقات والخلع لحل ما لزم من المطلقات المعلقات إلى غير ذلك من عظائم ومصائب لو اعتمد بعضها مخلوق في حق مخلوق لكان في نهاية القبح فكيف في حق من يعلم السر وأخفى. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٢٥)

التحايل على المحرمات:

قال ابن القيم: وقال تعالى في حق أرباب الحيل المحرمة: {ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين} وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ملعون من ضارّ مسلما أو مكر به» وقال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»... وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود، حرّمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها» وقال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخادعون الصبيان، وقال ابن عباس: من يخادع الله يخدعه... وقال الإمام أحمد: هذه الحيل التي وضعها هؤلاء، عمدوا إلى السنن فاحتالوا في نقضها أتوا إلى الذي قيل لهم: إنه حرام فاحتالوا فيه حتى حللوه، وقال: ما أخبثهم، -يعني أصحاب الحيل- يحتالون لنقض سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٧٧)

هل يتأخر البيان عن وقت الحاجة؟

قال ابن تيمية: الذين يقولون: الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه، احتجوا بقوله: {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة}. وادعوا أنها كانت معينة وأخر بيان التعيين. وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أنهم أمروا ببقرة مطلقة، فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها أجزأ عنهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم. والآية نكرة في سياق الإثبات فهي مطلقة. والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بـِ(ما هي)؟ ولو كان المأمور به معينا لما كانوا ملومين. ثم إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء. مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٥)

حقيقة بني إسرائيل وتعنتهم في قصة البقرة:

قال ابن القيم: لا يجوز مقابلة أمر الله الذى لا يعلم المأمور به وجه الحكمة فيه بالإنكار. وذلك نوع من الكفر. فإن القوم لما قال لهم نبيهم: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ كُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةَ}. قابلوا هذا الأمر بقولهم: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً}. فلما لم يعلموا وجه الحكمة في ارتباط هذا الأمر بما سألوه عنه، قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً}. وهذا من غاية جهلهم بالله ورسوله. فإنه أخبرهم عن أمر الله لهم بذلك، ولم يكن هو الآمر به. ولو كان هو الآمر به لم يجز لمن آمن بالرسول أن يقابل أمره بذلك. فلما قال لهم: {أَعُوذَ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} وتيقنوا أن الله سبحانه أمره بذلك، أخذوا في التعنت بسؤالهم

عن عينها ولونها. فلما أخبروا عن ذلك رجعوا إلى السؤال مرة ثالثة عن عينها. فلما تعينت لهم ولم يبق إشكال، توقفوا في الامتثال، ولم يكادوا يفعلون. ثم من أقبح جهلهم وظلمهم قولهم لنبيهم: {الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ}. فإن أرادوا بذلك: إنك لم تأت بالحق قبل ذلك في أمر البقرة، فتلك ردة وكفر ظاهر. وإن أرادوا: أنك الآن بينت لنا البيان التام في تعيين البقرة المأمور بذبحها فذلك جهل ظاهر، فإن البيان قد حصل بقوله: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}. فإنه لا إجمال في الأمر، ولا في الفعل، ولا في المذبوح، فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق من أول مرة. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣١٥-٣١٦).

عقوبة التنطع في الدين:

قال ابن عثيمين: الإنسان إذا لم يقبل هدى الله عزّ وجلّ من أول مرة فإنه يوشك أن يشدد الله عليه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الدين يسر؛ ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه. [البخاري]. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٤٣).

وقال صلى الله عليه وسلم لأمته: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [مسلم].

(وإنا إن شاء الله لمهتدون):

قال ابن تيمية: المسلم في الأمر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلبا لا تردد فيه يقول: "إن شاء الله" لتحقيق مطلوبه، وحصول ما أقسم عليه، لكونه لا يكون إلا بمشيئة الله، لا لتردد في إرادته، والرب تعالى مريد لإنجاز ما وعدهم به إرادة جازمة لا مثنوية فيها، وما شاء فعل، فإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ليس كالعبد الذي يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد. مجموع الفتاوى (٧/ ٤٥٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ٦٢-٧٣

١- حقّق الإيمان بالله واليوم الآخر، وداوِم على عمل الصالحات وأبشر بالجزاء الأوفى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم...).

٢- خذ شرائع الدين بعزم وجد، واثبت أمام فتن الشهوات والشبهات، بدون ضعف وفتور، حتى تصير لذّتك بترك الحرام أعظم من لذّتك بفعل الحرام (خذوا ما آتيناكم بقوة).

٣- احفظ كتاب الله وافهمه واعمل بما فيه، حتى تحقق التقوى (واذكروا ما فيه لعلكم تتقون).

٤- اشكر الله على فضله عليك ورحمته بهدايتك للإسلام والتمسك بالسنة، واسأله المزيد من فضله ورحمته لتفوز في الدنيا والآخرة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين).

٥- احذر من التحايل على حدود الله ومحارمه في جميع شؤون حياتك، فإن عقوبة ذلك من أشد العقوبات (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين).

٦- احرص على تحقيق التقوى حتى تنتفع الإنسان بالمواعظ الكونية والشرعية (وموعظة للمتقين).

٧- اتّعظ بما يحصل لك ولغيرك من المصائب الدنيوية، وانتفع بها لإصلاح العلاقة بينك وبين الله (وموعظة للمتقين).

٨- احرص على امتثال أوامر الله مباشرة، واحذر من الاعتراض عليها بحجة عدم معرفة الحكمة منها، أو أنها لا تناسب الزمان أو المكان (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة).

٩- احذر من الاستهزاء بأي أحد من الناس، لأن ذلك من صفات الجاهلين (أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين).

١٠- احذر من التنطع في الدين والسؤال عما سكت عنه الشارع (فافعلوا ما تؤمرون).

١١- تعوّد على قول: (إن شاء الله) في كل أمر تريد فعله مستقبلا (وإنا إن شاء الله لمهتدون).

١٢- احرص على إصلاح سرك، وكن في خلوتك خيرا منك في علانيتك، فإن الله يعلم السرّ وأخفى (والله مخرج ما كنتم تكتمون).

١٣- تفكر في آيات الله حتى تعقل وتعلم أنك خُلِقت لعبادة ربك، وأنك ستُبعث يوم القيامة للحساب والجزاء (ويريكم آياته لعلكم تعقلون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البقرة (٧٤-٨٣) من تفسير السعدي

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ} أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها {كَالْحِجَارَةِ} التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله: {أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست "أو "بمعنى "بل "ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} فبهذه الأمور فضلت قلوبكم. ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: {وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم "فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق.

{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} .

هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا} فأظهروا لهم الإيمان قولا بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم، {وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: {أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ} أي: أتظهرون لهم الإيمان وتخبروهم أنكم مثلهم، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟

يقولون: إنهم قد أقروا بأن ما نحن عليه حق، وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم {أَفَلا تَعْقِلُونَ} أي: أفلا يكون لكم عقل، فتتركون ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض.

{أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم، وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه.

{وَمِنْهُمْ} أي: من أهل الكتاب {أُمِّيُّونَ} أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، {لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ} أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم منهم.

فذكر في هذه الآيات علماءهم، وعوامهم، ومنافقيهم، ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم، لا بصيرة عندهم فلا مطمع لكم في الطائفتين.

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} .

توعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: {هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ} وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما فعلوا ذلك مع علمهم {لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا} والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركا يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل، وذلك أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم بهذين الأمرين فقال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ} أي: من التحريف والباطل {وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة، وفي ضمنها الوعيد الشديد.

قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: {أَفَتَطْمَعُونَ} إلى {يَكْسِبُونَ} فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصّله من البدع الباطلة.

وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا قول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله.

وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة والجهمية ونحوهم من أهل الأهواء والكلام، وفي أهل الأهواء تفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء.

{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} .

ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر مع هذا أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين الإساءة والأمن.

ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله تعالى عليهم فقال: {قُلْ} لهم يا أيها الرسول {أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا} أي بالإيمان به وبرسله وبطاعته، فهذا الوعد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل. {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} ؟ فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة.

وإما أن يكونوا متقولين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات.

ثم ذكر تعالى حكما عاما لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم غيره، لا أمانيهم ودعاويهم بصفة الهالكين والناجين، فقال: {بَلَى} أي: ليس الأمر كما ذكرتم، فإنه قول لا حقيقة له، ولكن {مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} وهو نكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله: {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.

{فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا} بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله، متبعا بها سنة رسوله.

فحاصل هاتين الآيتين، أن أهل النجاة والفوز، هم أهل الإيمان والعمل الصالح، والهالكون أهل النار المشركون بالله، الكافرون به.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} .

وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} إلى آخر الآية.

فقوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا؛ فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة، والعهود الموثقة {لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ} هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهى عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، ثم قال: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.

وللإحسان ضدان: الإساءة، وهي أعظم جرما، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد، بل تكون بالحد، كما تقدم.

ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموما فقال: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} .

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبورا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه.

ثم أمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد.

{ثُمَّ} بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله على عباده أن أمرهم بها،، وتفضل بها عليهم وأخذ المواثيق عليكم {تَوَلَّيْتُمْ} على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع في هذه الأوامر، فنعوذ بالله من الخذلان.

وقوله: {إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ} هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البقرة (٧٤-٨٣)

الكلمة	المعنى
قست قلوبكم	اشتدّت وغلُظت
يحرّفونه	يبدلون لفظه أو معناه
بما فتح الله عليكم	بما جاء في كتابكم من وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم
أمّيّون	عوامّ جهلة بكتابهم
إلا أمانيّ	إلا تلاوة، أو: أكاذيب تلقوها عن أحبارهم
أتّخذتم عند الله عهدا	هل قمتم بالإيمان بالله وبرسله
من كسب سيئة	من وقع في الشرك والكفر
وأحاطت به خطيئته	استولت عليه حتى مات على الشرك والكفر

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٧٤-٨٣

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الرابعة والسبعين وحتى الآية الثالثة والثمانين.

السؤال الأول الذي يطرح نفسه في هذه الفقرة: كيف ابتدأنا هذه الفقرة بقول الله تعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك)؟ ومعلومٌ أن (ثم) من حروف العطف التي تقتضي الترتيب مع التراخي، فكيف يُبتدأ مقطعٌ بهذا؟

الجواب على هذا: ما ذكره الأشموني حين ذكر أن الوقف على قوله تعالى: (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) وقفٌ تامٌ، يعني أنه غير مرتبطٌ بما بعده لا لفظًا ولا معنًى، وعلل ذلك بأن (ثم) هنا لترتيب الأخبار، وليست للعطف الذي يقتضي الترتيب مع التراخي، إنما هو مجرد ترتيب خبرٍ، وليس قسوة القلوب التي حصلت لبني إسرائيل مرتبطةٌ بقصة البقرة، إنما هي قسوةٌ حصلت بعد النعم التي حصلت لهم كاملةً منذ أن بدأ الله ذكرها من قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) فالمقصود أن (ثم) هنا ليست على بابها، فلذلك ابتدأنا المقطع بها.

نأتي الآن إلى الوقف والابتداء، (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن الفاء لبيان هذه القسوة وحقيقتها وأنها كالحجارة أو أشد قسوة، فلا وقف لا هنا ولا على قوله (فهي كالحجارة).

وهل يصح الوقف على قوله (أو أشد قسوة)؟

الجواب: نعم، لأن الواو التي بعدها استئنافٌ بيانيٌ بمعنى أنها ابتدائية، فهو وصف القلوب بأنها صارت كالحجارة أو أشد قسوةً من الحجارة، ثم بيّن حال الحجارة، ولذلك صحّح الوقف هنا عامة علماء الوقف والابتداء.

ثم قال: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) يصح الوقف هنا أيضًا، والواو التي بعدها واو عطفٍ، لكنه عطفٌ لا ارتباط فيه بما قبله أقصد الارتباط المعنوي.

ثم قال: (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)، أيضًا هنا يصح الوقف، وصححه عامة علماء الوقف والابتداء، كذلك النظرة هنا أن الواو التي بعدها وإن كانت عاطفةً إلا أنه عطفٌ لا ارتباط واضحٌ بينه وبين ما قبله.

ثم قال: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) هنا وقفٌ نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ثم قال (وما الله بغافلٍ عما تعملون) الواو هنا استئنافٌ لا ارتباط له بما قبله لا لفظًا ولا معنًى.

الآية التي تليها: قول الله تعالى: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) هل يصح الوقف على (لكم)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن الواو التي بعدها (وقد كان فريقٌ منهم) واوٌ حاليةٌ، بمعنى أفتطمعون أن يؤمنوا لكم والحال أنه كان قد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، وعلامة واو الحال، يعني كيف نعرف أن الواو حالية؟ أنه يصلح أن تضع بدلها (إذ) الحالية، يعني إذا وضعت (إذ) استقامت الجملة، فهنا نقول مثلاً: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم إذ كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، الواو هنا واوٌ حاليةٌ.

وهل يصح الوقف على (يسمعون كلام الله)؟

الجواب: لا، لأن الوصف لم يتم، إنما أراد الله أن يصفهم بأنه يحرفونه من بعد ما سمعوه وعقلوه، ولم يرد وصفهم بأنهم يسمعونه، إذا وقفت: (وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله) هذا ثناءٌ، لم يرد الله الثناء عليهم، وإنما أراد أن يبين أنهم (يحرفونه من بعد ما عقلوه) وبالتالي لم يصح الوقف هنا أيضًا.

وهل يصح الوقف على (من بعد ما عقلوه)؟

الجواب: لا يصح أيضًا، لأن الواو التي بعدها واوٌ حاليةٌ أيضًا، إذ هم يعلمون والحال أنهم يعلمون، يعني يعلمون ما وقعوا فيه من التحريف، ولم يحصل منهم عن جهلٍ.

الآية هذه الآن ليس فيها وقفٌ، والسؤال: إذا ضاق عليه النفس وأراد أن يقف وقفًا حسنًا أين يقف؟

الجواب: يقف على قوله (ثم يحرفونه) هذا أسلم الوقوفات هنا، فيقرأ (ثم يحرفونه) ثم يعود (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون).

الآية التي تليها: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) هل يصح الوقف هنا؟

مرت بنا آيةٌ شبيهةٌ بها في بداية السورة (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) وقلت هناك: إنه لا يصح الفصل، لأن الله سبحانه وتعالى لم يرد الثناء عليهم، وإنما أراد أن يبين حالهم وتناقضهم، والتناقض لا يتبين إلا إذا وصلنا وقلنا: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) لكن يتبين لي أنه ينبغي أن يقال أن الوصل أولى مع جواز الوقف، ما وجه جواز الوقف؟

أن جملة (إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) قائمةٌ بنفسها من حيث الناحية الإعرابية فـ (إذا) شرط وفعل الشرط (لقوا) وجوابه (قالوا آمنا)، ثم الجملة التي تليها (وإذا خلا بعضهم إلى بعض) جملةٌ طويلةٌ فيها شرطٌ وفعله وجوابه، والجواب طويلٌ يعني (إذا) شرط ثم فعل الشرط (خلا بعضهم إلى بعض) جوابه (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) هذا كله داخلٌ في جواب الشرط، فالقول بصحة الوقف مع كون الوصل أولى وجيهٌ هنا، وهو الذي نص عليه السجاوندي، واعتبره الأشموني وقفًا حسنًا، وهو من وقوفات الهبطي.

وهل يصح الوقف على قوله: (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن اللام التي بعدها في قوله (ليحاجوكم) لامٌ تعليليةٌ لبيان العلة والسبب، فلا يصح الوقف قبلها.

(ليحاجوكم به عند ربكم) هنا يصح الوقف، ونص عليه السجاوندي والأشموني، لأن (أفلا تعقلون) وإن كانت من قولهم إلا أنها استفهامٌ مستقلٌ، وقد لمحت سابقًا إلى أن الاستفهام يصح الوقف قبله عادةً، وقد وضعت هنا علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة، وكذلك في وقوفات الهبطي، والله أعلم.

الآية التي تليها: (أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) لا وقف فيها، وهذا ظاهر.

الآية التي تليها: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) هل يصح الوقف هنا؟

الواو في قوله: (وإن هم إلا يظنون) تحتمل أن تكون عاطفةً، وتحتمل أن تكون استئنافيةً ابتدائيةً، فإذا قلنا أنها عاطفة نقول لا يصح الفصل، يعني الله سبحانه وتعالى بيّن أن منهم أناسٌ جهلةٌ لا يحسنون من القرآن إلا القراءة والتلاوة ولا يفهمون معناه، وهم في اعتقاداتهم وفي مواقفهم إنما يظنون ظنًّا ولا يبنون اعتقاداتهم على يقينٍ، فبناءً على ذلك صحح الوقف هنا النحاس، وجعله الأشموني حسنًا وهو من وقوفات الهبطي، والوقف هنا محتملٌ، والله أعلم.

الآية التي تليها: (فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا، لأن الله سبحانه وتعالى لم يهدد من يكتب الكتاب بيده، إنما هدد من افترى فيه ثم زعم أنه من عند الله، وبالتالي: (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا) تتمةٌ لصفتهم وحالهم، وبالتالي لا وقف على (بأيديهم)، ولا على قوله: (هذا من عند الله) واللام التي بعدها (ليشتروا) لامٌ تعليليةٌ فلا وقف هنا.

فهل يصح الوقف على: (ليشتروا به ثمنًا قليلاً)؟

الجواب: عامة علماء الوقف والابتداء على أنه يصح الوقف هنا، لأن الجملة تمت بذكر الويل لمن يكتب الكتاب بيده، ثم ينسبه إلى الله سبحانه وتعالى ليشتري به ثمنًا قليلاً، ثم بين أن لهم ويلٌ مما كتبت أيديهم، ولهم ويلٌ آخر مما يكسبون مقابل هذا، فصح الوقف بذلك.

(فويل لهم مما كتبت أيديهم) هل يصح الوقف هنا؟

صححه الأشموني، وهو وقفٌ عند الهبطي، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، والوقف فيها محتملٌ أيضًا، وإن كانت الواو عاطفةً، إلا أن الجملتين تقومان بنفسيهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن ما بعده جوابٌ لقولهم، لما قالوا: (لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً) أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألهم: (قل أتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده) فلذلك صح الوقف.

وهل يصح الوقف على قوله (أتخذتم عند الله عهدًا)؟

الجواب: لا، لأن الجملة لم تتم، يعني إذا قلتم أنه لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة فهل اتخذتم عند الله عهدًا أن لن تمسكم النار إلا أيامًا معدودةً؟ فإن كان الأمر كذلك فلن يخلف الله عهده.

وهل يصح الوقف على قوله (فلن يخلف الله عهده)؟

هنا النظر إلى قوله: (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) (أم) هنا هل هي المتصلة أو المنقطعة؟ فإن كانت (أم) هنا هي المتصلة بمعنى أنها من الاستفهام فلا يستغني ما قبلها عما بعدها، يعني أن السؤال كان لهم هل اتخذتم عند الله عهدًا أو أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ وجملة (فلن يخلف الله عهده) جملةٌ معترضةٌ في بيان أنهم إن اتخذوا عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده، فالاستفهام بناءً على كون (أم) متصلة لم ينتهِ إلا في نهاية الآية، وبالتالي من قال بذلك لم يصحح الوقف هنا.

والوجه الثاني أن تكون (أم) هنا هي المنقطعة والتي تأتي بمعنى (بل) فالسؤال انتهى عند قوله: (أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده) ثم قال: بل إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون، وهذا هو الذي رجحه النحاس، وبناءً عليه وضعت علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وهو من وقوفات الهبطي، وهو محتملٌ، وعامة الاستفهامات في القرآن التي جاء بعدها (أم) اختلف فيها العلماء نفس الاختلاف الذي اختلفوا فيه هنا، فمنهم من جعل (أم) متصلة فلم يصحح الوقف، ومنهم من جعلها منقطعة بمعنى (بل) فصحح الوقف قبلها، كما في سورة الواقعة: (أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) (أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) من جعل (أم) بمعنى (بل) (ءأنتم تزرعونه) جعله استفهامًا إنكاريًا عليه، ثم قال: بل نحن الزارعون، نحن الخالقون، فصحح الوقف، ومن جعلها على بابها وأنها جزءٌ من الاستفهام لم يصحح الوقف، وهكذا في كل القرآن والله أعلم.

الآية التي تليها: (بلى من كسب سيئة) هل يصح الوقف على بلى؟

هنا نقاشٌ طويلٌ بين علماء الوقف والابتداء في هذه المسألة، حتى أن الإمام مكي بن أبي طالب القيسي ألّف رسالةً أسماها: (الوقف على كلا وبلى في القرآن).

هنا ذكر الداني رحمه الله قاعدةً قال: الوقف على (بلى) كافٍ في جميع القرآن، لأنه ردٌّ للنفي الذي قبله ما لم يتصل به قسمٌ.

إذًا الداني جعل الوقف على (بلى) صحيحا في جميع القرآن واعتبره، وعلل ذلك بأنه نفيٌ لما قبله، لكن استثنى من ذلك قال ما لم يتصل به قسم، إن اتصل به قسمٌ هذا واضح لا يوقف على (بلى)، مثل قول الله تعالى: (قل بلى وربي) (قالوا بلى وربنا) فهذه لا يصح الوقف على بلى فيها، لكن إن لم يتصل به قسم فإنه يصح الوقف عليها دائمًا في القرآن.

ومن العلماء من صحّح الوقف على (بلى) إلا أن يتصل بها قسمٌ أو شرطٌ، فإن اتصل بها قسمٌ أو شرطٌ فإنه لا يصح الوقف عليها، مثل الآية التي معنا قال بعدها (بلى من كسب سيئةً) (من كسب) جملةٌ شرطيةٌ وبالتالي لم يصحح الوقف على (بلى) هنا.

والزركشي رحمه الله قسمها إلى ثلاثة أقسام، التي هي (بلى)، فجعل قسمًا يصح الوقف عليها وهي التي تكون جوابًا لما قبلها غير متعلقةٍ بما بعدها، وقسمٌ لا يجوز الوقف عليها لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها، وقسمٌ حصل فيه خلافٌ في جواز الوقف عليها والأحسن المنع من الوقف عليها، وذكر لذلك أمثلةً، وتفصيل هذا موجود في كتب الوقف والابتداء وبعض كتب التجويد.

والمقصود مثالنا هذا هل يصح الوقف على (بلى) أو لا؟

في مصحف المدينة لم تكن هناك علامةٌ في النسخة القديمة من مصحف المدينة، ثم في النسخة الجديدة وضعت علامة الوقف الجائز (ج)، وكأن اللجنة العلمية المشرفة على المصحف مالت إلى أن هذا الموضع يصح الوقف عليه، وهو الأقرب والله أعلم، لأن (بلى) هنا جوابٌ على قول اليهود لما قالوا (لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً) قال الله لهم بلى ستمسكم النار أكثر من ذلك، وجملة (من كسب سيئةً)؟ هذه جملةٌ استئنافيةٌ، والله تعالى أعلم.

الموضع الذي يليه في نفس الآية (من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح الوقف، لأن جملة الشرط: (من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته) ما النتيجة؟ أين الجواب؟ لم يأت الجواب إلى الآن، الجواب (فأولئك أصحاب النار) فلم يصح الوقف.

هل يصح الوقف على (فأولئك أصحاب النار) قبل (هم فيها خالدون)؟

وضعت علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وأجازه السجاوندي والأشموني، وسبق أن مرت بنا جملةٌ شبيهةٌ بها، وذكرت هناك أن الأنصاري قال: إن هذا جائزٌ بقبحٍ، لأن جملة (هم فيها خالدون) جملةٌ لا تستقل بنفسها للضمائر التي فيها من ناحيةٍ، ولأنها خبرٌ ثانٍ لقوله (أولئك)، (أولئك) خبرها الأول (أصحاب النار) وخبرها الثاني (هم فيها خالدون) وبالتالي لا يصح الفصل بين المتبدأ وخبره، لا الأول ولا الثاني، والله أعلم.

الآية التي تليها: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن (أولئك) خبرٌ لجملة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما النتيجة؟ أين الخبر؟ (أولئك أصحاب الجنة).

وهل يصح الوقف على (الجنة)؟ نفس ما قلت في (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) هذا خبرٌ ثانٍ (هم فيها خالدون) وهي عبارةٌ عن ضمائر لا يصح الابتداء بها لوحدها، والله أعلم.

الآية التي تليها: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) هل يصح الوقف هنا؟

صححه الداني وابن الأنباري، وحسنه الأشموني، وهو من وقوفات الهبطي، وتقديره (وبالوالدين إحسانا) أي: واستوصوا بالوالدين إحسانًا، وهذا التقدير يدل عليه أنه قال بعدها: (وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي: جملٌ معطوفاتٌ على بعضها، وكل جملةٍ لها فعلٌ إما ظاهرًا وإما مقدرًا، فجملة (وبالوالدين إحسانًا) فعلها مقدرٌ تقديره: واستوصوا بالوالدين إحسانًا، وهو وقفٌ وجيهٌ وكأن فيه إشارةٌ إلى أن أخذ الميثاق إنما كان على إفراد الله بالعبادة، وأما ما عدا ذلك من الإحسان إلى الوالدين وللقربى واليتامى والمساكين وقول الحسن للناس وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فهذه من الشرائع المتفرعة على ما أُخذ عليهم الميثاق به، وهو ألا يعبدوا إلا الله، وإن كان أكثر علماء الوقف والابتداء لم ينصوا على وقفٍ هنا، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على (وبالوالدين إحسانا)؟

الجواب: لا يصح الوقف، لأن جملة (وذي القربى) أي: وأحسنوا إلى ذي القربى (واليتامى) وأحسنوا إلى اليتامى (والمساكين) وأحسنوا إلى المساكين، فلا وقف هنا.

والوقف على (والمساكين) أجازه بعض العلماء مثل الأشموني والهبطي، لأن بعدها جملة بدأت بفعلٍ مظهرٍ (وقولوا للناس حسنًا)، ما قبله واستوصوا بالوالدين إحسانا وبذي القرى وباليتامى وبالمساكين، هذه جملةٌ تامةٌ لها فعلها المقدر، والوقف هنا محتملٌ.

ثم قال: (وقولوا للناس حسنًا) الوقف هنا أيضًا محتملٌ، وهو من وقوفات الهبطي، ونص عليه الأخفش، وجعله الأشموني وقفًا صالحًا؛ لأنها أفعالٌ وكل فعلٍ قائمٌ بذاته: (وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لكن الفصل بين الصلاة والزكاة لم ينص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وبالتالي الوصل بينهما أفضل.

والوقف على (وآتوا الزكاة) قبل قوله (ثم توليتم إلا قليلا منكم):

هنا يصح الوقف، وهو وقفٌ عند السجاوندي، ومن وقوفات الهبطي أيضًا، وتقديره: ثم قبلتم ذلك فتوليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون، وأشار النحاس إلى أنه وقفٌ تامٌ والأشموني إلى أنه وقفٌ صالحٌ، و(ثم) هنا ليست على بابها، بمعنى ليست للعطف الذي يراد به الترتيب مع التراخي، إنما هي لترتيب الأخبار، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ثم توليتم إلا قليلا منكم)؟

الجواب: لا يصح، لأن الواو في قوله (وأنتم معرضون) واوٌ حاليةٌ أي والحال أنكم معرضون، توليتم والحال أنكم معرضون.

هذا خلاصة ما يمكن أن يقال في الوقف والابتداء في هذه الآيات، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٧٤-٨٣

معنى: (أو أشد قسوة):

قال ابن القيم: قوله: {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة} أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل (أو) في هذه المواضع بمعنى بل، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرأي، وقول من جعلها بمعنى الواو، فتأمله. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٥٠-٢٥١).

قال ابن القيم: " أو " في قوله تعالى {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة}، وقوله: {وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون} هو كالتنصيص على أن المراد بالأول الحقيقة لا المبالغة، فإنها إن لم تزد قسوتها على الحجارة فهي كالحجارة في القسوة لا دونها، وأنه إن لم يزد عددهم على مائة ألف لم ينقص عنها. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٢٦).

لماذا قال: (يتفجر منه الأنهار)؟ ولم يقل: منها:

قال ابن عطية: ووحّد الضمير في مِنْهُ حملا على لفظ «ما»، وقرأ أبي بن كعب والضحاك «منها الأنهار»، حملا على الحجارة. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٦٧).

(أفلا تعقلون):

قال ابن عثيمين: {أفلا تعقلون} ؛ الفاء واقعة بعد همزة الاستفهام؛ وهذا يكثر في القرآن: {أفلا تعقلون} ؛ {أفلا تذكرون} ؛ {أفلم يسيروا} ؛ {أو لم يسيروا} ؛ {أثم إذا ما وقع آمنتم به} ؛ وأشباه ذلك؛ يعني أنه يأتي حرف العطف بعد همزة الاستفهام؛ وهمزة الاستفهام لها الصدارة في جملتها؛ ولا صدارة مع وجود العاطف؛ لأن الفاء عاطفة؛ فقال بعض النحويين: إن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عُطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف، وهذه الجملة تقدّر بما يناسب المقام؛ وقال آخرون: بل إن الهمزة

مقدمة؛ وإن حرف العطف هو الذي تأخر. يعني زُحلق حرف العطف عن مكانه، وجعلت الهمزة مكانه؛ وعلى هذا فيكون التقدير: فألا تعقلون؛ أما على الأول فيكون التقدير: أجهلتم فلا تعقلون؛ أو: أسفهتم فلا تعقلون ... المهم يقدّر شيء مناسب حسب السياق؛ فالقول الأول أدق؛ والثاني أسهل؛ لأن الثاني لا يحتاج عناءً وتكلفاً فيما تقدره بين الهمزة والعاطف. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٣).

فائدة ذكر اليد في قول الله تعالى: (يكتبون الكتاب بأيديهم):

قال زكريا الأنصاري: فإن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ اليدِ، مع أنَّ الكتابةَ لا تكون إِلَّا بها؟ قلتُ: فائدتُه تحقيقُ مباشرتهم ما حرَّفوه بأنفسهم، زيادةً في تقبيح فعلهم. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٣٢).

(فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون):

قال الراغب: إن قيل: لم ذكر يَكْسِبُونَ بلفظ المستقبل وكَتَبَتْ بلفظ الماضي؟

قيل: تنبيها على ما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» [مسلم]. فنبه بالآية أن ما أضلّوه وأثبتوه من التأويلات الفاسدة، التي يعتمدها الجهلة، هو اكتساب وزر يكتسبونه حالا فحالا. (إن قيل) لم ذكر الكتابة دون القول (قيل) لمّا كانت الكتابة متضمنة للقول وزائدة عليه، إذ هو كذب باللسان واليد، صار أبلغ. لأن كلام اليد يبقى رسمه والقول يضمحل أثره. محاسن التأويل (١/ ٣٣٩-٣٤٠).

سبب نزول: (وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياما معدودة):

عن ابن عباس: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) ، قال ذلك أعداء الله اليهود، قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم، الأيام التي أصبنا فيها العجل: أربعين يوما، فإذا انقضت عنا تلك الأيام، انقطع عنا العذاب والقسم. تفسير الطبري (٢/ ٢٧٤).

نوع (أم) في قوله تعالى: (أم تقولون على الله ما لا تعلمون):

قال ابن عثيمين: "{أم تقولون على الله ما لا تعلمون} ؛ قيل: إن {أم} متصلة؛ وقيل: إنها منقطعة؛ والفرق بينهما من وجهين: الأول: أن المنقطعة تكون بمعنى "بل"؛ والثاني: أن ما بعدها منقطع عما قبلها؛ وأما المتصلة فتكون بمعنى "أو"، وما بعدها معادل لما قبلها؛ مثال المتصلة: قوله تعالى: {إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم}؛ ومثال المنقطعة: قوله تعالى: {أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون} أي بل هم قوم طاغون؛ أما في هذه الآية التي نحن بصددها فيحتمل أنها منقطعة؛ وعلى هذا فيكون معناها: بل تقولون على الله ما لا تعلمون؛ ويحتمل أنها متصلة، فيكون معناها: هل أنتم اتخذتم عند الله عهداً فادّعيتموه، أو أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون؟! وعلى كلا الاحتمالين فهم يقولون على الله ما لا يعلمون؛ إذاً لم يكن عندهم من الله عهد، وقد قالوا على الله ما لا يعلمون، فتكون دعواهم هذه باطلة". تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٦٠-٢٦١).

هل يقال للأب: والد؟

قال ابن تيمية: قوله تعالى: {وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف} ولم يقل: وعلى الوالد كما قال والوالدات لأن المرأة هي التي تلده، وأما الأب فلم يلده؛ بل هو مولود له لكن إذا قرن بينهما قيل: {وبالوالدين إحسانا} فأما مع الإفراد فليس في القرآن تسميته والدا، بل أبا. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٣٧٢).

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ):

قال زكريا الأنصاري: فإن قلت: التولّي والإِعراضُ واحدٌ، فلمَ جُمع بينهُما؟

قلتُ: لا محذور فيه لأن قوله " وَأَنتمْ مُعْرِضُونَ " حال من فاعل توليتم، فهي حالٌ مؤكَدة كما في قوله تعالى " ثمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ". أو مؤسسة إذِ المعنى: ثم وليتم عن الوفاء بالعهد، وأنتم معرضون عن النظر والفكر في عاقبة ذلك. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٣٣).

(ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون):

قال ابن عثيمين: {ثم توليتم إلا قليلاً منكم} فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ وفائدته: إدخال الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحكم. أعني التولي؛ و التولي: ترك الشيء وراء الظهر؛ وهذا أبلغ من الإعراض؛ لأن الإعراض قد يكون بالقلب، أو بالبدن مع عدم استدبار..

قوله تعالى: {وأنتم معرضون} الجملة هنا حالية؛ أي توليتم في إعراض؛ وذلك أن المتولي قد لا يكون عنده إعراض في قلبه. فقد يتولى بالبدن، ولكن قلبه متعلق بما وراءه؛ ولكن إذا تولى مع الإعراض فإنه لا يرجى منه أن يُقْبِل بعد ذلك. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٦٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٧٤-٨٣

ذم قسوة القلوب

قال ابن تيمية: وقد ذم الله قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى: {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة}... فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة... وقوة القلب المحمودة غير قسوته المذمومة فإنه ينبغي أن يكون قويا من غير عنف ولينا من غير ضعف. مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠).

وقال: حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسماع والذكر وهؤلاء فيهم شبه من اليهود. قال الله تعالى: {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...} وقال تعالى: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون}. مجموع الفتاوى (١١/ ٩).

روى مسلم قال: " بعث أبو موسى إلى قراء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم...

سبب قسوة قلوب بني إسرائيل:

قال الشنقيطي: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة) الآية، لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم، ولكنه أشار إلى ذلك في مواضع أخر كقوله: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية)، وقوله: (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٩).

خشية الحجارة من الله:

عن مجاهد قال: كل حجر يتفجر منه الماء، أو يتشقق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فهو من خشية الله عز وجل، نزل بذلك القرآن. تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠).

(وإن منها لما يهبط من خشية الله):

قال البغوي: فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهب أهل السنة والجماعة [أن الله تعالى علم في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء علما لا يقف عليه غيره]، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)، وقال: (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)، وقال: (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر) الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى. تفسير البغوي (١/ ١٣٢).

قال ابن تيمية: والريح تنقل السحاب كما قال تعالى: {وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت} ، وأخبر أن الريح تدمر كل شيء، وأخبر أن الماء طغى بقوله تعالى: {إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية} .

بل قد أخبر بما هو أبلغ من ذلك من سجود هذه الأشياء وتسبيحها كما في قوله تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب} . وهذا التفصيل يمنع حمل ذلك على أن المراد كونها مخلوقة دالة على الخالق وأن المراد شهادتها بلسان الحال فإن هذا عام لجميع الناس.

وقد قال تعالى: {ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد} . وقال: {إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق - والطير محشورة كل له أواب} فأخبر أن الجبال تئوّب معه والطير، وأخبر أنه سخرها تسبح. وقال: {ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} . وقال تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} . وقال: {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها} . منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٤٤).

وقال الشنقيطي: الله تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق كما صرح تعالى بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون

تسبيحهم)، فصرّح بأننا لا نفقه تسبيحهم، وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله)، فتصريحه تعالى بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله دليل واضح في ذلك؛ لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، وقوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) الآية، فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت، أي: خافت، دليل على أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأعرف حجرا كان يسلم علي بمكة"، وما ثبت في صحيح البخاري من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم جزعا لفراقه، فتسليم ذلك الحجر، وحنين ذلك الجذع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، كما صرح بمثله في قوله: (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)، وزعْم من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنما هي ضرب أمثال، زعم باطل؛ لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٣٩).

تقسيم أصناف أهل الكتاب في الآيات:

قال ابن تيمية: قسّم الله من ذمه من أهل الكتاب إلى محرفين وأميين حيث يقول: {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم} إلى قوله: {وويل لهم مما يكسبون}. وفي هذا عبرة لمن ركب سننهم من أمتنا؛ فإن المنحرفين في نصوص الكتاب والسنة كالصفات ونحوها من الأخبار والأوامر:

قوم يحرفونه إما لفظا وإما معنى: وهم النافون لما أثبته الرسول صلى الله عليه وسلم جحودا وتعطيلا، ويدّعون أن هذا موجب العقل الصريح القاضي على السمع.

وقوم لا يزيدون على تلاوة النصوص لا يفقهون معناها ويدعون أن هذا موجب السمع الذي كان عليه السلف، وأن الله لم يرد من عباده فهم هذه النصوص، فهم {لا يعلمون الكتاب إلا أماني} أي: تلاوة، {وإن هم إلا يظنون}.

ثم يصنف أقوام علوما يقولون: إنها دينية، وأن النصوص دلت عليها والعقل وهي دين الله؛ مع مخالفتها لكتاب الله فهؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله بوجه من الوجوه.

فتدبر كيف اشتملت هذه الآيات على الأصناف الثلاثة، وقوله في صفة أولئك: {أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم} حال من يكتم النصوص التي يحتج بها منازعه حتى إن منهم من يمنع من رواية الأحاديث المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو أمكنهم كتمان القرآن لكتموه لكنهم يكتمون منه وجوه دلالته من العلوم المستنبطة منه، ويعوضون الناس عن ذلك بما يكتبونه بأيديهم ويضيفونه إلى أنه من عند الله. مجموع الفتاوى (١٤/ ٧٠-٧١).

المعاند بعيد من الهداية:

قال القرطبي: "من بعد ما عقلوه" أي عرفوه وعلموه. وهذا توبيخ لهم، أي إن هؤلاء اليهود قد سلفت لآبائهم أفاعيل سوء وعناد، فهؤلاء على ذلك السنن، فكيف تطمعون في إيمانهم!. ودل هذا الكلام أيضا على أن العالم بالحق المعاند فيه بعيد من الرشد، لأنه علم الوعد والوعيد ولم ينهه ذلك عن عناده. تفسير القرطبي (٢/ ٣).

قبح تحريف كلام الله:

قال ابن عثيمين: قبح تحريف كلام الله، وأن ذلك من صفات اليهود؛ ومن هذه الأمة من ارتكبه، لكن القرآن محفوظ؛ فلا يمكن وقوع التحريف اللفظي فيه؛ لأنه يعلمه كل أحد؛ وأما التحريف المعنوي فواقع، لكن يقيض الله عزّ وجلّ من الأئمة، وأتباعهم من يبينه، ويكشف عوار فاعله. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٢).

العلم فتح من الله:

قال ابن عثيمين: العلم من الفتح؛ لقولهم: {بما فتح الله عليكم} ؛ ولا شك أن العلم فتح يفتح الله به على المرء من أنواع العلوم والمعارف ما ينير به قلبه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٤).

(ومنهم أميون):

قال ابن تيمية: الأمية:... منها ما هو مذموم كالذي وصفه الله عز وجل عن أهل الكتاب حيث قال: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون} فهذه صفة من لا يفقه كلام الله ويعمل به وإنما يقتصر على مجرد تلاوته. كما قال الحسن البصري. نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا. فالأمي هنا قد يقرأ حروف القرآن أو غيرها ولا يفقه. بل يتكلم في العلم بظاهر من القول ظنا. فهذا أيضا أمي مذموم كما ذمه الله؛ لنقص علمه الواجب سواء كان فرض عين أم كفاية. مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٩-١٧١).

قال ابن عثيمين: الأُمّية يوصف بها من لا يقرأ، ومن يقرأ ولا يفهم؛ لقوله تعالى: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} .

ومنها: ذم من لا يعتني بمعرفة معاني كتاب الله عزّ وجلّ..

ومنها: أن من لا يفهم المعنى فإنه لا يتكلم إلا بالظن؛ لقوله تعالى: {وإن هم إلا يظنون} ؛ العامي يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، لكن لا يفهم معناه؛ فإذا تكلم في حكم من أحكام الله الشرعية التي دل عليها الكتاب فإنما كلامه عن ظن؛ لأنه في الحقيقة لا يعلم؛ ولا يمكن أن يعلم إلا إذا فهم المعنى..

ومنها: ذم الحكم بالظن، وأنه من صفات اليهود؛ وهذا موجود كثيراً عند بعض الناس الذين يحبون أن يقال عنهم: "إنهم علماء"؛ تجده يفتي بدون علم، وربما أفتى بما يخالف القرآن، والسنة وهو لا يعلم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٦).

(وويل لهم مما يكسبون):

قال ابن عثيمين: {فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} ؛ فما نتج عن المحرم من الكسب فإنه يأثم به الإنسان؛ مثلاً: إنسان عمل عملاً محرماً. كالغش. فإنه آثم بالغش؛ وهذا الكسب الذي حصل به هو أيضاً آثم به. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٩).

سبب كتمان بني إسرائيل العلم:

قال ابن تيمية: وصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بخلا به، وتارة اعتياضا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفا في أن يُحتج عليهم بما أظهروه منه. وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضا عنه برئاسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٨٤-٨٥).

(وأحاطت به خطيئته):

قال ابن تيمية: وإحاطة الخطيئة: إحداقها به فلا يمكنه الخروج، وهذا هو البسل بما كسبت نفسه، أي: تحبس عما فيه نجاتها في الدارين؛ فإن المعاصي قيد وحبس لصاحبها عن الجولان في فضاء التوحيد، وعن جني ثمار الأعمال الصالحة... تفسير السيئة بالشرك هو الأظهر؛ لأنه سبحانه غاير بين المكسوب والمحيط فلو كان واحدا لم يغاير، والمشرك له خطايا غير الشرك أحاطت به لأنه لم يتب منها. وأيضا قوله (سيئة) نكرة وليس المراد جنس السيئات بالاتفاق. وأيضا لفظ (السيئة) قد جاء في غير موضع مرادا به الشرك. مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩).

وقال ابن القيم: لا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر، ومن هذا قوله تعالى: {بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن أبدا، فإن إيمانه يمنعه من إحاطة الخطيئة به. إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٢٦٥).

(وبالوالدين إحسانا):

قال القرطبي: "وبالوالدين إحسانا" أي وأمرناهم بالوالدين إحسانا. وقرن الله عز وجل في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني- وهو التربية- من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال: "أن اشكر لي ولوالديك". والإحسان إلى الوالدين: معاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما، وصلة أهل ودهما. تفسير القرطبي (٢/ ١٣).

وقال ابن تيمية: حق الوالدين مقرون بحق الله في مثل قوله: {أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير} وقوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} فالوالد أصله الذي منه خلق، والولد من كسبه. كما قال: {ما أغنى عنه ماله وما كسب} فالجحد لهما شعبة من شعب الكفر. مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٦).

وقال: وجعل النبي صلى الله عليه وسلم التبرؤ من الأبوين كفرا؛ لمناسبته للتبرؤ من الرب. وفي الحديث الصحيح: {من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر} أخرجاه في الصحيحين. مجموع الفتاوى (٣٢/ ١٤).

وقال ابن عثيمين: {وبالوالدين إحساناً} ؛ والمراد بـ "الوالدين" الأب، والأم، والأباعد لهم حق؛ لكن ليسوا كحق الأب والأم الأدنيين، ولهذا اختلف إرثهم، واختلف ما يجب لهم في بقية الحقوق. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٦٧).

(وقولوا للناس حسنا):

قال ابن عثيمين: والقول الحسن يشمل: الحسن في هيئته؛ وفي معناه، ففي هيئته: أن يكون باللطف، واللين، وعدم الغلظة، والشدة، وفي معناه: بأن يكون خيراً؛ لأن كل قولٍ حسنٍ فهو خير؛ وكل قول خير فهو حسن. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٦٨).

وضد القول الحسن قولان؛ قول سوء؛ وقول ليس بسوء، ولا حسن؛ أما قول السوء فإنه منهي عنه؛ وأما القول الذي ليس بسوء، ولا حسن فليس مأموراً به، ولا منهيًا عنه؛ لكن تركه أفضل؛ ولهذا وصف الله عباد الرحمن بأنهم: {لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مرُّوا كرامـًا}؛ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً؛ أو ليصمت" [متفق عليه]. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٧١).

وقال ابن كثير: وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧).

وقال ابن عاشور: وجعل الإحسان لسائر الناس بالقول لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به وذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسنا فقد أضمروا لهم خيرا وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه]. التحرير والتنوير (١/ ٥٨٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

العمل بالآيات من سورة البقرة ٧٤-٨٣

١- احذر من قسوة القلب، فإنها أمارة الهلاك، ومن أسبابها الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، وعدم غرس خشية الله في القلب، والبعد عن ذكر الله (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).

٢- راقب الله في جميع أعمالك، واعلم أن الله يحصي عليك كل صغيرة وكبيرة، وسيحاسبك على مثقال الذرة (وما الله بغافل عما تعملون).

٣- احرص على فهم القرآن بطريقة السلف، واحذر من تحريف معانيه عما أراده الله، فيكون ذلك سببا لضلالك وانحرافك (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون).

٤- اجعل ظاهرك وباطنك سواء، ولا تكن ممن يتظاهر بالصلاح عند الصالحين، ويخالف ذلك من ورائهم (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم...).

٥- اعلم أن الله يعلم سرك وعلانيتك، فراقبه في جميع أحوالك (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون).

٦- احذر أن يكون حظك من القرآن التلاوة فقط، دون فهم لمعناه، ولا تطبيق لمقتضاه، فتبني عقيدتك وعبادتك على الظن (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هم إلا يظنون).

٧- احذر أن تدعو إلى قول أو رأي مخالف لكتاب الله، ثم تدّعي أن القرآن يدل عليه، لتحقق مكسبا دنيويا من مال أو جاه أو مكانة، فبئست التجارة (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا).

٨- القول على الله بلا علم من أعظم الذنوب، فابتعد عنه غاية البعد (أم تقولون على الله ما لا تعلمون).

٩- احذر من الوقوع في الشرك، وكن خائفا من ذلك، واستعذ بالله أن تشرك به شيئا وأنت تعلم، واستغفره لما لا تعلم (من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (لا تعبدون إلا الله).

١٠- جدّد الإيمان في قلبك، وتعاهد أعمالك الصالحة بالمواظبة عليها وتحسينها والاستزادة منها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون).

١١- أحسن إلى والديك غاية الإحسان، وتعاهدهما بالبر والصلة والعطف والرحمة والدعاء، فهما أحق الناس بك (وبالوالدين إحسانا).

١٢- عامِل جميع الناس بالإحسان القولي والفعلي، خاصة ذوي القربى واليتامى والمساكين (وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا).

١٣- أهم العبادات البدنية المقرّبة إلى الله: الصلاة، وأهم العبادات المالية: الزكاة، وهما من أركان الإسلام وأصوله، فاجعلهما أساس عبادتك لربك، وإحسانك إلى الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة).

١٤- احذر من التولي والإعراض عن تعلّم دين الله، فتعبد الله على جهل، أو عن العمل به، فتكون تاركا للعمل مع علمك به (ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (٨٤-٩٦) من تفسير السعدي

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} .

وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا.

والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ} وهو فداء الأسير {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} وهو القتل والإخراج.

وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى. {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} أي: أعظمه {وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، فلهذا قال: {فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، {وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} أي: يدفع عنهم مكروه.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} .

يمتن تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كليمه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} أي: قواه الله بروح القدس. قال أكثر المفسرين: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده. ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم {بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ} عن الإيمان بهم، {فَفَرِيقًا} منهم {كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} فقدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى.

{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ} .

أي: اعتذروا عن الإيمان لما دعوتهم إليه، يا أيها الرسول، بأن قلوبهم غلف، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول، يعني فيكون لهم - بزعمهم - عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم، فلهذا قال تعالى: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ} أي: أنهم مطرودون ملعونون، بسبب كفرهم، فقليلا المؤمن منهم، أو قليلا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير.

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} .

أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدوهم بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله، وغضب عليهم غضبا بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم.

{وللكافرين عذاب مهين} أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم، فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .

أي: وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو القرآن استكبروا وعتوا، و {قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} أي: بما سواه من الكتب، مع أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله.

وأما التفريق بين الرسل والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه، ولهذا قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} .

ولهذا رد عليهم تبارك وتعالى هنا ردا شافيا، وألزمهم إلزاما لا محيد لهم عنه، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين فقال: {وَهُوَ الْحَقُّ} فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الإخبارات، والأوامر والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر بالله، وكفر بالحق الذي أنزله.

ثم قال: {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ} أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمنا عليه. فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى؟

وأيضا، فإن كون القرآن مصدقا لما معهم، يقتضي أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينة ليس له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته، فيقدح فيها ويكذب بها؛ أليس هذا من الحماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن، كفرا بما في أيديهم ونقضا له.

ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: {قُلْ} لهم: {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالأدلة الواضحات المبينة للحق، {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ} أي: بعد مجيئه {وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} في ذلك ليس لكم عذر.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا} أي: سماع قبول وطاعة واستجابة، {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} أي: صارت هذه حالتهم {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} بسبب كفرهم.

{قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين الحق، وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله، لما غاب عنكم موسى، نبي الله، ولم تقبلوا أوامره ونواهيه إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم، فالتزمتم بالقول، ونقضتم بالفعل، فما هذا الإيمان الذي ادعيتم، وما هذا الدين؟.

فإن كان هذا إيمانا على زعمكم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان، والكفر برسل الله، وكثرة العصيان، وقد عهد أن الإيمان الصحيح، يأمر صاحبه بكل خير، وينهاه عن كل شر، فوضح بهذا كذبهم، وتبين تناقضهم.

{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} .

أي: قُلْ لهم على وجه تصحيح دعواهم: {إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ} يعني الجنة {خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ} كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ} وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك.

فعلم كل أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب.

ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا.

{وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البقرة (٨٤-٩٦)

الكلمة	المعنى
ولا تُخرِجون أنفسكم	ولا يُخرِج بعضكم بعضا
تَظَاهرون عليهم	تُعاونون عليهم
أُسارى	جمع أسير: وهو الذي يقبض عليه الأعداء حيًا في الحرب، ويبقونه عندهم
تُفادوهم	تفكّوهم من الأسر بدفع الفدية
خِزي	ذل ومهانة
وقفّينا من بعده	وأتْبَعْنا بعده
بروح القدس	بجبريل عليه السلام
غُلف	مغطاة
يستفتحون على الذين كفروا	يستنصرون عليهم ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم
بغيا	حسدا
فباءوا	فرجعوا
بما وراءه	بما سواه من الكتب
اتخذتم العجل	عبدتم العجل
واسمعوا	سماع قبول واستجابة
وأُشربوا في قلوبهم العجل	امتزج بقلوبكم حب عبادة العجل
بمُزحزِحه	بِمبعدِه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٨٤-٩٦

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الرابعة والثمانين وحتى الآية السادسة والتسعين.

وسأكتفي بعون الله تعالى بذكر المواضع التي فيها وقفٌ عند كثيرٍ من علماء الوقف والابتداء، أو التي فيها خلاف محتمل أو ذكره بعضهم وفيه ضعفٌ فأنبه على وجه الضعف فيه، أما ما لا وقف فيه ولم ينص عليه أحد فإني سأهمله.

أبدأ بقول الله تعالى: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) هل يصح الوقف على قوله تعالى: (تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان)؟

الجواب: نص على الوقف هنا جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ومنهم الهبطي والسجاوندي والأنصاري والأشموني، ووجهه عندهم أنه انتهى من وصف حالهم، يعني أن الله سبحانه وتعالى وصف حالهم بأنهم يقتل بعضهم بعضًا ويخرجون فريقًا منهم من ديارهم يتعاونون عليهم بالإثم والعدوان، انتهى وصف الخطأ الذي يحصل منهم، ثم قال الله: (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرمٌ عليكم إخراجهم) يعني أنتم الذين أخرجتموهم، وهذا محرمٌ عليكم من الأصل، بينما إذا جاؤوكم أسارى دفعتم الفدية لفكهم من الأسر، وهذا تناقضٌ منكم، فقالوا: إن وصف حالهم والخطأ الذي حصل منهم انتهى عند قوله: (والعدوان)، وإنما أراد الله أن يبين أنهم أخطؤوا بفعلهم هذا، وأظهروا تناقضهم بأنهم يفدون الأسير منهم إذا جاءهم، والأمر في هذا محتملٌ، و الوصل أفضل، والله أعلم.

الموضع الذي يليه: (وهو محرمٌ عليكم إخراجهم) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لماذا؟

لأن الجملة التي بعدها جملةٌ استفهاميةٌ، والجملة الاستفهامية يصح الابتداء بها عادةً.

الموضع الذي يليه: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، وأيضًا نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة التي بعدها أيضًا جملة استفهام (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا)، وقيل هي جملة نفيٍ، يعني (ما) هنا

تحتمل أنها (ما) استفهامية، يعني كأنه يسأل ويقول: ما هو جزاء من يفعل ذلك منكم إلا أن يكون له الخزي في الحياة الدنيا، ويحتمل أن (ما) هنا للنفي، ومعناها أنه لا جزاء لمن يفعل ذلك منكم إلا الخزي في الحياة الدنيا، فكلاهما محتملٌ، وعلى كلا الوجهين يصح الوقف، سواء جعلناها نافية فتكون الفاء استئنافية، أو جعلناها استفهامية، وجملة الاستفهام يصح الابتداء بها.

الموضع الذي يليه: (إلا خزيٌ في الحياة الدنيا) هل يصح الوقف هنا؟

ننظر إلى الجملة التي تليها: (ويوم القيامة يرودون إلى أشد العذاب) لها ارتباطٌ بالجملة التي قبلها، لكنه ارتباطٌ معنويٌ، وليس ارتباطًا لفظيًا إعرابيًا، يعني الجملة التي قبلها سواء جعلناها استفهاميةً أو نافيةً فإنها انتهت عند قوله (إلا خزيٌ في الحياة الدنيا)، ثم ابتدأ حكمًا مستقلاً بقوله: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) فبناءً على هذا يصح الوقف، والوصل أفضل، كما وضعت علامة (صلى) في مصحف المدينة هنا.

وهل يصح الوقف على (أشد العذاب)؟

الجواب، نعم، ونص عليه كثيرٌ من علماء الوقف والابتداء، وجملة (وما الله بغافلٍ عما تعملون) جملةٌ مستأنفةٌ فصح الوقف قبلها.

الآية التي تليها: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) هل يصح الوقف هنا؟

وُضعت هنا علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، ولم أجد من نص على الوقف هنا من علماء الوقف والابتداء، إلا الأشموني ذكر أن له وجهًا، وذلك أن الفعل في (لا يخفف) ممكن أن يحمل على الاستئناف، لكن فيه فاء التعقيب، فاء الجزاء أو فاء السبب (فلا يخفف) بناءً على كونهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. وبناءً على فاء التعقيب التي هي للجزاء والسبب لا يصح الوقف، فعدم صحة الوقف هنا أوجه، والله أعلم.

الآية التي تليها: (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) هذه جملٌ معطوفاتٌ (وقفينا) عطف (وآتينا) عطف (وأيدناه) عطف، لكن لاحظ أن علماء الوقف والابتداء لم أجد منهم من نصّ على الوقف بعد الجملة الأولى (ولقد آتينا موسى الكتاب)، لكن جماعةً منهم نصوا على الوقف في نهاية الجملة الثانية: (وقفينا من بعد بالرسل)، ونص

بعضهم على الوقف على نهاية الجملة الثالثة (وآتينا عيسى ابن مريم البينات)، ونص كثيرٌ منهم على الوقف على نهاية الجملة الرابعة، لماذا التفريق هنا؟

الجمل المعطوفات على بعض كثر الكلام عنها في الفقرات السابقة، ونبهت أنه أحيانًا تكون الجملة فيها عطفٌ عامٌ لا ارتباط فيه بين المعطوفين ارتباطًا ظاهرًا، وأحيانًا بينهما ارتباطٌ ظاهرٌ، ولاحظ هنا جيدًا لاحظ أنه قال: (وآتينا موسى الكتاب) الجملة واضحةٌ، ثم قال: (وقفينا من بعده بالرسل) من هو؟ موسى، فالجملة الثانية: (وقفينا) معطوفةٌ ولها ارتباطٌ واضحٌ بالجملة الأولى لأنه حديثٌ عن موسى، بينما (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) وإن كانت معطوفةً إلا أنها لا ارتباط لها بالجملتين السابقتين، وهذا ظاهرٌ، وجملة (وأيدناه بروح القدس) معطوفةٌ ولها ارتباطٌ واضحٌ بجملة (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) هنا واضحٌ أن المعطوفات بينها فرقٌ، فهناك ما عُطف ولا ارتباط له بالجملة التي قبله، وهناك ما عُطف وله ارتباطٌ واضحٌ بضمير أو بشيءٍ مقدرٍ أو ما شابه ذلك.

بناءً عليه نقول (ولقد آتينا موسى الكتاب) لا وقف (وقفينا من بعد بالرسل) فيه وقفٌ لأن المعطوف الذي بعده مستقلٌ (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) لا وقف هنا وإن أجازه بعضهم (وأيدناه بروح القدس) هنا وقفٌ.

ثم جملة (أفكلما جاءكم) هذه جملة استفهامٍ، والاستفهام يصح الابتداء به كما سبق.

وهل يصح الوقف على قوله (استكبرتم)؟

الاستفهام الذي هو (أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) انتهى هنا، ثم قال (ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون) والفاء هنا فاء تعقيبٍ، يعني فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون لاستكباركم، عاقبة استكباركم أنكم فعلتم هذا، فمن نظر إلى هذا لم يصحح الوقف هنا، ونظر آخرون إلى أن الاستفهام انتهى، وهذا التعقيب جملةٌ مستقلةٌ قائمةٌ بنفسها، و (فريقًا) هنا منصوب بالفعل الذي بعده (كذبتم)، و (تقتلون) فصح الوقف. والوقف هنا محتملٌ والله أعلم، والوصل أولى.

وهل يصح الوقف على قوله (ففريقًا كذبتم)؟

يعني من صحح الوقف على (استكبرتم) اختلفوا فمنهم من صحح الوقف على (كذبتم) أيضًا، أما من لم يصحح الوقف على (استكبرتم) فإنه لا يصحح الوقف إلا في نهاية الآية، لكن من صحح الوقف على

(استكبرتم) اختلفوا هل يصح الوقف على (كذبتم)؟ ونظروا هنا إلى نظرةٍ معنويةٍ، الواو هنا واو عطفٍ، لكن قالوا (كذبتم) فعلٌ ماضٍ، و(تقتلون) فعلٌ مضارعٌ، فعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين الذي هو فريقًا فيهما يدل على أن الجملتين بينهما اختلافٌ فـ (فريقا كذبتم) في الماضي و (فريقًا تقتلون) في الحال أو المستقبل، فصححوا الوقف بناءً على هذه النظرة المعنوية، وهو محتملٌ، ونص عليه السجاوندي والأنصاري والأشموني، والله أعلم.

(وقالوا قلوبنا غلف) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، لأن (بل) للإعراض، الإعراض عن الجملة الأولى (بل لعنهم الله بكفرهم) فهو إعراضٌ استئنافيٌ ابتدائيٌ فيصح الوقف عليه، كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء.

الآية التي تليها: (ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، وإن أجازه بعضهم، لماذا؟

لأن (لما) التي هي في أول الآية (ولما جاءهم كتاب من عند الله) أين جوابها؟ يعني ما الذي فعلوه لما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم؟ لم يأت الجواب، الجواب موجودٌ في جواب (لما) الثانية، وجاءت جملةٌ معترضةٌ وهي (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) هذه جملة معترضة، (فلما جاءهم ما عرفوا) الذي هو الكتاب من عند الله المصدق لما معهم (كفروا به)، هذا هو الجواب، وبالتالي لا يصح الوقف قبل (كفروا به) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء.

(فلعنة الله على الكافرين) هذه جملةٌ مستأنفةٌ، والفاء هنا كأنها تقتضي تعجيل ذكر الجزاء، لكن يصح الوقف قبلها، والله أعلم.

الآية التي تليها أين الوقف؟

(بئسما اشتروا به أنفسهم) لا وقف هنا (أن يكفروا بما أنزل الله) لا وقف هنا (بغيا) لا وقف هنا (أن ينزل الله من فضله) لا وقف هنا، الوقف (على من يشاء من عباده) هنا الوقف، لكن طالت الجملة، فأين يقف الوقف الحسن؟

الجواب: الوقف الحسن في الآية (أن يكفروا بما أنزل الله) أو (أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا) يعني حسدًا، ثم يرجع ويربط فيقول: (أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده)

انتهت الجملة الأولى، ثم ذكر نتيجة فعلهم فقال (فباؤوا بغضبٍ على غضبٍ) فصح الوقف قبل النتيجة، كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ثم استأنف فقال (وللكافرين عذابٌ مهينٌ) حكمٌ عامٌ لعموم الكافرين.

الآية التي تليها: (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) هل يصح الوقف هنا؟

أجازه الأشموني، قال: لأن بعده جملةٌ مستأنفةٌ للإخبار، يعني جملة (ويكفرون بما وراءه) ابتدأها الله سبحانه وتعالى للإخبار عن حالهم، وانتهت جملة إذا الشرطية التي هي في بداية الآية، يعني وإذا قيل لهم بما أنزل الله ماذا كان جوابهم؟ قالوا نؤمن بما أنزل علينا انتهت الجملة، ثم استأنف الله الإخبار عن حالهم، وهذا وجهٌ محتملٌ، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على (ويكفرون بما وراءه)؟ قال بعدها (وهو الحق مصدقًا لما معهم).

الواو في (وهو الحق) إما عاطفةٌ أو حاليةٌ، وصحح الوقف هنا بعض العلماء كما هو عند الهبطي، والنحاس جعله وقفًا صالحًا، وذكروا أنه للفصل بين كلامهم وقول الله، يعني أن قوله (وهو الحق مصدقًا لما معهم) من قول الله، لكن الواقع أن (ويكفرون بما وراءه) ليس قولاً لهم، بل هو من قول الله حكايةً لحالهم، فلعل الأصح والأوجه أن يقال أننا نقف على (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) انتهى كلامهم وانتهت الجملة الشرطية، ثم نقرأ (ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم) جملةٌ كاملةٌ ظاهرةٌ بأنهم يكفرون بما وراءه يعني بما بعده وهو القرآن، أو بما عداه من الكتب، وهو الحق الذي هو القرآن مصدقًا لما معهم.

وهل يصح الوقف على (لما معهم)؟

نعم يصح، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن بعده جوابٌ لقولهم لما قال (قل فلم تقتلون أنبياء الله) فهو استئناف جوابٍ عليهم، والله أعلم.

في قوله: (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) هل يصح الوقف هنا؟

لأن قوله (خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا) سبق معنا ما يشبه هذا، وقلت هناك أن (خذوا) هنا على تقدير: قلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة، وتحتمل أن تكون على تقدير أن خذوا ما آتيناكم بقوة، وبناءً على تقديرها بقلنا لكم خذوا يصح الوقف قبلها، وتقديرها بأن خذوا لا يصح الوقف، وهو محتملٌ والوصل أفضل.

وهل يصح الوقف على قوله (خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا)؟

نعم يصح، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن ما بعده (قالوا سمعنا وعصينا) استئناف جوابٍ منهم على ما طُلب منهم.

وهل يصح الوقف على (قالوا سمعنا وعصينا)؟

صحح الوقف هنا الهبطي وجعله الأنصاري والأشموني صالحًا، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا نظرنا إلى الجملة التي بعدها: (وأشربوا في قلوبهم العجل) كأنها لبيان حالهم وحال عصيانهم، لما قالوا (وعصينا) ما نوع عصيانهم؟ أنهم أشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم، فالواو في (وأشربوا) قد تكون عاطفةً عطفًا بيانيًا لحال العصيان، أو تكون حاليةً يعني قالوا سمعنا وعصينا وكان حالهم أنهم أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم، والوصل هنا أولى مع احتمال الوقف، والله أعلم.

وهل يصح الوقف (على بكفرهم)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن ما بعدها (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) استئناف جوابٍ عليهم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم)؟

الجواب: نعم يصح، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن جملة (والله عليمٌ بالظالمين) جملةٌ مستأنفةٌ مبتدأةٌ لا علاقة لها بما قبلها.

الآية التي تليها: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياةٍ ومن الذين أشركوا)، هل يوقف على (حياة) أو على (ومن الذين أشركوا)؟

في بعض المصاحف وُضعت هنا علامة التعانق بمعنى أنه يصح الوقف على أحد الموضعين دون الآخر، وفي وقوفات الهبطي وُضعت علامة الوقف على قوله (على حياة) بينما في مصحف المدينة علامة الوقف على (ومن الذين أشركوا) فما الصحيح من هذه الأقوال الثلاثة؟ هل نحن مخيرون بالوقف على أحد الموضعين دون الآخر؟ أو الوقف على الموضع الأول أرجح؟ أو على الموضع الثاني أرجح؟

الواقع أن عامة علماء الوقف والابتداء نصوا على الوقف على الموضع الثاني دون الأول، يعني (ومن الذين أشركوا) حتى أن النحاس رحمه الله قال: هذا قول أهل التأويل واللغة والقراءات يعني أهل

التفسير وأهل اللغة وأهل القراءات هذا قولهم، أن جملة (ومن الذين أشركوا) معناها أنهم أحرص على الحياة من المشركين، فهو تتمة وصفٍ لحال اليهود في حرصهم على الحياة، قال: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا، ثم قوله تعالى: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنةٍ) جملةٌ مستأنفةٌ فيها بيان شدة حرصهم على الحياة، أما على قول من قال بالوقف على (حياة) جعلوا جملة (ومن الذين أشركوا) جملةٌ مستأنفةٌ لبيان حال المشركين في حرصهم على الحياة، كأن الله قال (ولتجدنهم) يعني اليهود (أحرص الناس على حياة) وانتهت الجملة، ثم قال (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) يعني وهذا حال المشركين أنهم يودون لو يعمروا ألف سنةٍ (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) والسؤال: ما الذي أتى بوصف حال المشركين هنا؟ إنما أراد الله أن يبين حرص اليهود على الحياة، لأنه ابتدأ ذلك من قوله (فتمنوا الموت) ثم قال (ولن يتمنوه أبدًا) ثم قال (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) وبين أن حرصهم أشد من حرص الذين أشركوا، فهذا هو الراجح، وهو الذي عليه عامة علماء التفسير والوقف والابتداء وعلماء اللغة وعلماء القراءات، كما ذكرتُ من قول النحاس سابقًا، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على (لو يعمر ألف سنة) ؟

صحح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وجملة (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) تحتمل أن تكون جملةً حاليةً، يعني والحال أنه حتى لو عمر ألف سنةٍ لا يبعده ذلك عن العذاب، وتحتمل أن تكون جملةً مستأنفةً مبتدأةً لبيان مصيرهم في الآخرة، والوقف هنا محتمل، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (أن يعمر)؟

نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن جملة (والله بصير بما يعملون) جملةٌ مستأنفةٌ.

هذا آخر ما في هذا المقطع.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٨٤-٩٦

مواضع تأكيد الكلام (ولقد آتينا موسى الكتاب):

قال ابن عثيمين: تأكيد الخبر ذي الشأن. وإن لم ينكر المخاطب؛ لقوله تعالى: {ولقد آتينا}؛ فإنها مؤكدة بثلاث مؤكدات مع أنه لم يخاطب بها من ينكر؛ وتأكيد الكلام يكون في ثلاثة مواضع:

أولاً: إذا خوطب به المنكِر، وقد قال علماء البلاغة: إنه في هذه الحال يؤكد وجوباً.

ثانياً: إذا خوطب به المتردد؛ وقد قال علماء البلاغة: إنه في هذه الحال يؤكد استحساناً.

ثالثاً: إذا كان الخبر ذا أهمية بالغة فإنه يحسن توكيده. وإن خوطب به من لم ينكر، أو يتردد. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٥).

تعصيب من ليس له أب شرعا:

قال ابن عثيمين: من ليس له أب فإنه ينسب إلى أمه؛ لأن عيسى عليه السلام نسب إلى أمه..

وبهذا نعرف أن القول الراجح من أقوال أهل العلم أن أم من ليس له أب شرعاً هي عصبته؛ فإن عدمت فعصبتها. خلافاً لمن قال: إن أمه ليس لها تعصيب؛ ويظهر أثر ذلك بالمثال: فلو مات من ليس له أب عن أمه، وخاله: فلأمه الثلث والباقي لخاله. على قول من يقول: إن الأم لا تعصيب لها؛ أما على القول الراجح: فلأمه الثلث فرضاً، والباقي تعصيباً. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٥).

(بما لا تهوى أنفسكم):

قال القرطبي: وسمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، ولذلك لا يستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لا خير فيه، وهذه الآية من ذلك. وقد يستعمل في الحق، ومنه قول عمر رضي الله عنه في أسارى بدر: فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت. وقالت عائشة للنبي

صلى الله عليه وسلم في صحيح الحديث: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. أخرجهما مسلم. تفسير القرطبي (٢/ ٢٥).

{وللكافرين عذاب مهين}:

قال ابن كثير: لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة. تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٨).

(أنبياء الله):

قال الألوسي: وفي إضافة أَنْبِياءَ إلى الاسم الكريم تشريف عظيم وإيذان بأنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله تعالى أن يعظّم وينصر لا أن يقتل. روح المعاني (١/ ٣٢٤).

(فلم تقتلون أنبياء الله من قبل):

قال ابن جرير: وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا... والصواب فيه من القول عندنا، أن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل - بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور - بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمه، وارتكابهم معاصيه، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه، وأضاف ذلك إلى المخاطبين به، نظير قول العرب بعضها لبعض: فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا، وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا...، يعنون بذلك أن أسلافنا فعلوا ذلك بأسلافكم، وأن أوائلنا فعلوا ذلك بأوائلكم. فكذلك ذلك في قوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) ، إذْ كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به خبرا من الله تعالى ذكره عن فعل السالفين منهم...، إذْ كان معناه: قل: فلم يقتل أسلافكم أنبياء الله من قبل"؟ وكان معلوما بأن قوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، إنما هو خبر عن فعل سلفهم. تفسير الطبري (٢/ ٣٥٣-٣٥٤).

(اتخذتم العجل من بعده):

قال ابن عثيمين: قوله تعالى: {من بعده} أي من بعد ذهاب موسى لميقات ربه؛ لأن موسى رجع إليهم، وقال للسامري عن إلهه: {لنحرقنه ثم لننسفنَّه في اليم نسفاً}؛ وجرى هذا: فحرقه موسى صلى الله عليه وسلم، ونسفه في البحر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٠٠).

(وأشربوا في قلوبهم العجل):

قال القرطبي: وإنما عبّر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها. تفسير القرطبي (٢/ ٣٢).

(فتمنوا الموت):

قال ابن عثيمين: وظاهر الآية الكريمة على ما فسرنا أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحداهم بأنه إن كانت الدار الآخرة لهم كما يزعمون فليتمنوا الموت لِيَصِلوا إليها؛ وهذا لا شك هو ظاهر الآية الكريمة؛ وهو الذي رجحه ابن جرير، وكثير من المفسرين؛ وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بقوله تعالى: {فتمنوا الموت} أي فباهلونا، وتمنوا الموت لمن هو كاذب منا؛ فتكون هذه مثل قوله تعالى في سورة آل عمران: {فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}؛ فيكون المعنى: تمنوا الموت عن طريق المباهلة؛ ورجح هذا ابن كثير؛ وضعف الأول بأنه لو كان المراد: تمنوا حصول الموت لكانوا يحتجون أيضاً علينا نحن، ويقولون: أنتم أيضاً إن كنتم تقولون: إن الدار الآخرة لكم فتمنوا الموت؛ لأن تحديكم إيانا بذلك ليس بأولى من تحدينا إياكم به؛ لأنكم أنتم أيضاً تقولون: إن الدار الآخرة لكم، وأن اليهود بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في النار؛ فتمنوا الموت أنتم أيضاً، والجواب عن ذلك أنا لم ندّع أن الدار الآخرة خالصة لنا من دون الناس؛ بل نؤمن بأن الدار الآخرة لكل من آمن وعمل صالحاً سواء كان من هذه الأمة أم من غيرها؛ وهذا المعنى الذي نحا إليه ابن كثير. رحمه

الله. مخالف لظاهر السياق؛ فلا يعوَّل عليه؛ وقد عرفت الانفكاك منه . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٠٨).

(فتمنوا الموت):

قال ابن عباس: (لو أن اليهود تمنوا الموت، لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا). مسند أحمد (٤/ ٩٩)، السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٤١).

المراد بالسنة في (لو يعمّر ألف سنة):

قال ابن عثيمين: والسنة هي العام؛ والمراد بها هنا السنة الهلالية لا الشمسية. لأن الكلمات إذا أطلقت تحمل على الاصطلاح الشرعي؛ وقد قال الله تعالى: {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم}؛ فالميقات الذي وضع الله للعباد إنما هو بالأشهر الهلالية، كما قال تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}، وكما قال تعالى في القمر: {وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣١٠).

طول العمر مع صلاح العمل:

قال ابن عثيمين: غَوْرُ فهم السلف حين كرهوا أن يُدْعَى للإنسان بالبقاء؛ فإن الإمام أحمد كره أن يقول للإنسان: "أطال الله بقاءك"؛ لأن طول البقاء قد ينفع، وقد يضر؛ إذاً الطريق السليم أن تقول: "أطال الله بقاءك على طاعة الله"، أو نحو ذلك. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣١٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فوائد سورة البقرة ٨٤-٩٦

(تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان):

قال ابن عثيمين: {بالإثم} أي بالمعصية؛ {والعدوان} أي الاعتداء على الغير بغير حق؛ فكل عدوان معصية؛ وليست كل معصية عدواناً إلا على النفس: فالرجل الذي يشرب الخمر عاصٍ، وآثم؛ والرجل الذي يقتل معصوماً هذا آثم، ومعتد؛ والذي يخرجه من بلده آثم، ومعتد. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٧٤).

وقال: تحريم التظاهر على الغير بغير حق؛ لقوله تعالى: {تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان}؛ وأما إذا علا عليه بحق فإن هذا لا بأس به؛ فإن الله سبحانه وتعالى فضل العباد بعضهم على بعض، كما قال تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، وقال تعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم} تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٧٨).

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

قال ابن القيم: الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعا له (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن). بدائع الفوائد (٤/ ١٤٤).

وقال ابن عثيمين: الكفر ببعض الشريعة كفر بجميعها؛ وجه ذلك أن الله توعد هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض؛ ومثل ذلك إذا آمن ببعض الرسل دون بعض فإنه كفر بالجميع؛ ودليل ذلك قوله تبارك وتعالى: {كذبت قوم نوح المرسلين}. ونوح هو أول الرسل لم يسبقه رسول؛ ومع ذلك جعل الله المكذبين له مكذبين لجميع الرسل. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٧٨-٢٧٩).

وقال ابن تيمية: أهل الكتاب معهم حق وباطل، ولهذا قال تعالى لهم: {ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون}، وقال: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض}، وقال عنهم: {ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا}، وقال عنهم: {وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم}. وذلك لأنهم ابتدعوا بدعا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرقوا دينهم وكانوا شيعا، فصار في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون بالحق الذي مع الفريق الآخر، ويصدقون بالباطل الذي معهم.

وهذا حال أهل البدع كلهم ؛ فإن معهم حقا وباطلا، فهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا، كل فريق يكذب بما مع الآخر من الحق ويصدق بما معه من الباطل... ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة. منهاج السنة النبوية (٥/ ١٦٧-١٦٨).

(وآتينا عيسى ابن مريم البينات):

قال ابن عثيمين: عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم أعطاه الله سبحانه وتعالى آيات كونية، وشرعية؛ مثال الشرعية: الإنجيل؛ ومثال الكونية: إحياء الموتى، وإخراجهم من القبور، وإبراء الأكمه، والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً يطير بإذن الله؛ وكذلك أيضـًا يخبرهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم؛ قال العلماء: إنما أعطي هذه الآية الكونية؛ لأن الطب في عهده ارتقى إلى درجة عالية، فأتاهم بآيات لا يقدر الأطباء على مثلها؛ كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم ترقى في عهده الكلام إلى منْزلة عالية في البلاغة، والفصاحة؛ فآتاه الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم الذي عجزوا أن يأتوا بمثله. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٦).

(وأيدناه بروح القدس):

قال البيهقي: وسمي جبريل عليه السلام روحا، فقال: {قل نزله روح القدس} يعني جبريل عليه السلام وقال: {نزل به الروح الأمين} يعني جبريل عليه السلام، وقال: {وأيدناه بروح القدس} يعني جبريل

عليه السلام، وقال: {فأرسلنا إليها روحنا} يعني جبريل عليه السلام. الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢١٨).

(وأيدناه بروح القدس):

قال ابن تيمية: التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ١٨٥).

وقال: وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: «إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه» [مسلم]، وقال: «اللهم أيده بروح القدس» [متفق عليه]. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ١٩٥).

(وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم):

قال ابن القيم: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كقلف وأقلف، وهذه الغشاوة هي الأكنة التي ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أكنة على القلوب ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهى الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} . فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولّى أصحابها على أدبارهم نفورا. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٢).

وقال ابن عثيمين: هؤلاء الذين لم يقبلوا الحق احتجوا بما ليس بحجة؛ فقالوا: قلوبنا غلف...

من صنع مثل صنيعهم فهو شبيه بهم؛ يوجد أناس نسمع عنهم أنهم إذا نُصِحوا، ودُعوا إلى الحق قالوا: "ما هدانا الله"؛ وهؤلاء مشابهون لليهود الذين قالوا: (قلوبنا غلف).

ومنها: أن القلوب بفطرتها ليست غلفاء؛ لقوله تعالى: {بل لعنهم الله}؛ وهذا الإضراب للإبطال. يعني ليست القلوب غَلفاء لا تقبل الحق، لكن هناك شيء آخر هو الذي منع من وصول الحق؛ وهو لَعْن الله إياهم بسبب كفرهم..

ومنها: أن الفطرة من حيث هي فطرة تقبل الحق، ولكن يوجد لها موانع.

منها: بيان أن الأسباب مهما قويت إذا غلب عليها المانع لم تؤثر شيئـًا؛ فالقلوب وإن كانت مفطورة على الدين القيم لكن إذا وجد موانع لم تتمكن من الهدى؛ وقد قيل: إن الأمور لا تتم إلا بوجود أسبابها، وانتفاء موانعها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٨٨).

وقال البقاعي: بل {لعنهم الله} أي طردهم الملك الأعظم عن قبول ذلك لأنهم ليسوا بأهل للسعادة بعد أن خلقهم على الفطرة الأولى القويمة لا غلف على قلوبهم، لأن اللعن إبعاد في المعنى والمكانة. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٤).

هل يجوز لعن الكافر المعيّن؟

قال ابن عثيمين: استدل بعض العلماء بهذه الآية على جواز لعن الكافر المعين؛ ولكن لا دليل فيها؛ لأن اللعن الوارد في الآية على سبيل العموم؛ ثم هو خبر من الله عزّ وجلّ، ولا يلزم منه جواز الدعاء به؛ ويدل على منع لعن المعين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم العن فلانـًا، وفلانـًا" لأئمة الكفر [البخاري]، فنهاه الله عن ذلك؛ ولأن الكافر المعين قد يهديه الله للإسلام إن كان حيـًا؛ وإن كان ميتـًا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" [البخاري]. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٩٣).

(مصدق لما معهم):

قال ابن القيم: وتأمل قوله تعالى في هذه الآية: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ} كيف تجد تحته برهانا عظيما على صدقه وهو مجيء الرسول الثاني بما يطابق ما جاء به الرسول الأول

ويصدقه مع تباعد زمانهما وشهادة أعدائه وإقرارهم له بأنه لم يتلقه من بشر ولهذا كانوا يمتحنونه بأشياء يعلمون أنه لا يخبر بها إلا نبي أو من أخذ عنه وهم يعلمون أنه لم يأخذ عن أحد البتة ولو كان ذلك لوجد أعداؤه السبيل إلى الطعن عليه ولعارضوه بمثل ما جاء به... والمقصود أن مطابقة ما جاء به لما أخبر به الرسول الأول من غير مواطأة ولا تشاعر ولا تلقٍ منه ولا ممن أخذ عنه دليل قاطع على صدق الرسولين معا. بدائع الفوائد (٤/ ١٤٧).

(أن ينزّل الله من فضله):

قال ابن عثيمين: العلم من أعظم فضل الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {أن ينَزِّل الله من فضله على من يشاء}؛ ولا شك أن العلم أفضل من المال؛ وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فضل العلم، وفضل المال فانظر إلى العلماء في زمن الخلفاء السابقين؛ الخلفاء السابقون قَلّ ذكرهم؛ والعلماء في وقتهم بقي ذكرهم: هم يُدَرِّسون الناس وهم في قبورهم؛ وأولئك الخلفاء نُسوا؛ اللهم إلا من كان خليفة له مآثر موجودة، أو محمودة؛ فدل هذا على أن فضل العلم أعظم من فضل المال. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٩٤).

مشيئة الله مقرونة بالحكمة:

قال ابن عثيمين: كل شيء عُلِّق بالمشيئة فهو مقرون بالحكمة؛ لقوله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً}؛ فليست أفعال الله وأحكامه لمجرد المشيئة؛ بل هي لحكمة بالغة اقتضت المشيئة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله...):

قال ابن القيم: قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} هذه حكاية مناظرة بين

الرسول وبين اليهود لما قال لهم آمنوا بما أنزل الله تعالى فأجابوه بأن قالوا {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} ومرادهم بهذا التخصيص أن نؤمن بالمنزل علينا دون غيره فظهرت عليهم الحجة بقولهم هذا من وجهين دل عليهما قوله تعالى: {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ} إلى آخر الآية. قال إن كنتم قد آمنتم بما أنزل عليكم لأنه حق فقد وجب عليكم أن تؤمنوا بما جاء به محمد لأنه حق مصدق لما معكم، وحكم الحق الإيمان به أين كان ومع من كان، فلزمكم الإيمان بالحقين جميعا أو الكفر الصراح وفي قوله: {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ} نكتة بديعة جدا وهي أنهم لما كفروا به وهو حق لم يكن إيمانهم بما أنزل عليهم لأجل أنه حق، فإذا لم يتبعوا الحق فيما أنزل عليهم ولا فيما جاء به محمد لأنهم لو آمنوا بالمنزل عليهم أنه حق لآمنوا بالحق الثاني وأعطوا الحق حقه من الإيمان، ففي ضمن هذه الشهادة عليهم بأنهم لم يؤمنوا بالحق الأول ولا بالثاني، وهكذا الحكم في كل من فرق الحق فآمن ببعضه وكفر ببعضه، كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وكمن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض لم ينفعه إيمانه بما كفر به حتى يؤمن بالجميع...

الوجه الثاني من النقض قوله: {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ووجه النقض أنكم إن زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم وبالأنبياء الذين بعثوا فيكم فلم قتلتموهم من قبل؟ وفيم أنزل إليكم الإيمان بهم وتصديقهم؟ فلا آمنتم بما أنزل إليكم ولا بما أنزل على محمد، ثم كأنه توقع منهم الجواب بأنا لم نقتل من ثبتت نبوته ولم نكذب به، فأجيبوا على تقدير هذا الجواب الباطل منهم بأن موسى قد جاءكم بالبينات وما لا ريب في صحة نبوته ثم عبدتم العجل بعد غيبته عنكم، وأشركتم بالله وكفرتم به وقد علمتم نبوة موسى وقيام البراهين على صدقة فقال: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} فهكذا تكون الحجج والبراهين ومناظرات الأنبياء لخصومهم. بدائع الفوائد (٤/ ١٤٨).

(ورفعنا فوقكم الطور):

قال البقاعي: {ورفعنا فوقكم الطور} الجبل العظيم الذي جعلناه زاجراً لكم عن الرضى بالإقامة في حضيض الجهل ورافعـًا إلى أوج العلم وقلنا لكم وهو فوقكم {خذوا ما آتيناكم} من الأصول والفروع

في هذا الكتاب العظيم {بقوة}. ولما كانت فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال: {واسمعوا} وإلا دفناكم به، وذلك حيث يكفي غيركم في التأديب رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم الذي أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له من الشرف ولها به من الفخار. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٥٢).

(قالوا سمعنا وعصينا):

قال ابن عثيمين: {قالوا سمعنا} أي بآذاننا؛ {وعصينا} أي بأفعالنا؛ فما سمعوا السمع الذي طُلب منهم؛ ولكنهم استكبروا عنه؛ وظاهر الآية الكريمة أنهم قالوا ذلك لفظاً: {سمعنا وعصينا} ؛ وقال بعضهم: قالوا: {سمعنا} بألسنتهم، وعصوا بأفعالهم؛ فيكون التعبير بالعصيان هو عبارة عن أفعالهم وأنهم لم يقولوا بألسنتهم: {وعصينا}؛ وهذا ضعيف؛ لأن الواجب حمل اللفظ على ظاهره حتى يقوم دليل صحيح على أنه غير مراد، ولأنه لا يمتنع أن يقولوا: "سمعنا وعصينا" بألسنتهم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٠٢).

عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم {لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير} ، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} قال: نعم {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} قال: نعم {ربنا

ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} قال: نعم {واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين} قال: نعم. صحيح مسلم (١/ ١١٥).

قال ابن تيمية: قالوا: {سمعنا وأطعنا} فهذا إقرار منهم بركني الإيمان الذي لا يقوم إلا بهما وهما السمع المتضمن للقبول؛ لا مجرد سمع الإدراك المشترك بين المؤمنين والكفار؛ بل سمع الفهم والقبول و " الثاني " الطاعة المتضمنة لكمال الانقياد وامتثال الأمر وهذا عكس قول الأمة الغضبية سمعنا وعصينا. فتضمنت هذه الكلمات كمال إيمانهم وكمال قبولهم وكمال انقيادهم. مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٦).

والشر ليس إليك:

قال ابن عثيمين: الشر لا يسنده الله تعالى إلى نفسه؛ بل يذكره بصيغة المبني لما لم يُسمَّ فاعله؛ لقوله تعالى: {وأشربوا في قلوبهم}؛ ولهذا نظير من القرآن، كقوله تعالى: {وأَنَّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً}؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "والشر ليس إليك" [مسلم]؛ فالشر في المفعول لا في الفعل؛ الخير والشر كل من خلْق الله عزّ وجلّ؛ لكن الشر بالنسبة لإيجاد الله له هو خير، وليس بشر؛ لأن الله سبحانه وتعالى ما أوجده إلا لحكمة بالغة، وغاية محمودة. وإن كان شراً. لكن الشر في المفعولات، أي: المخلوقات؛ وأما نفس الفعل فهو ليس بشر؛ أرأيت الرجل يكوي ابنه بالنار، والنار مؤلمة محرقة. لكنه يريد أن يُشفى. فهذا المفعول الواقع من الفاعل شر مؤلم محرق لكن غايته محمودة. وهو شفاء الولد؛ فيكون خيراً باعتبار غايته. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٠٦).

(فتمنوا الموت):

قال البقاعي: {فتمنوا الموت} لأن ذلك علم على صلاح حال العبد مع ربه وعمارة ما بينه وبينه ورجائه للقائه... فعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس مع المعرفة التي بها تأنس بربها، فتتمنى لقاءه وتحبه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٥٨).

قال ابن القيم: أجابهم عن دعواهم خلوص الآخرة لهم بقوله: {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبه، والابن لا يكره لقاء أبيه، لا سيما إذا علم أن كرامته ومثوبته مختصة به، بل أحب شيء إليه لقاء حبيبه وأبيه، فحيث لم يحب ذلك ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مبطل في دعواه. بدائع الفوائد (٤/ ١٤٨)

وقال: فإن قيل فهلا أظهروا التمني وإن كانوا كاذبين فقالوا فنحن نتمناه قيل وهذا أيضا معجزة أخرى وهي أن الله تعالى حبس عن تمنيه قلوبهم وألسنتهم فلم ترده قلوبهم ولم تنطق به ألسنتهم تصديقا لقوله: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً} ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. بدائع الفوائد (٤/ ١٥٠-١٥١)

(ومن الذين أشركوا):

قال ابن عثيمين: {ومن الذين أشركوا} أي الشرك الأكبر؛ واختلف المفسرون فيها؛ فمنهم من قال: هو مستأنف، والكلام منقطع عما قبله؛ والتقدير: ومن الذين أشركوا من يود أحدهم لو يعمر ... ؛ وهذا وإن كان محتملاً لفظًا، لكنه في المعنى بعيد جداً؛ ومنهم من قال: إنه معطوف على قوله تعالى: {الناس} يعني: ولتجدنهم أحرص الناس، وأحرص من الذين أشركوا؛ يعني: اليهود أحرص من المشركين على الرغم من أن اليهود أهل كتاب يؤمنون بالبعث، وبالجنة، وبالنار؛ والمشركون لا يؤمنون بذلك، والذي لا يؤمن بالبعث يصير أحرص الناس على حياة؛ لأنه يرى أنه إذا مات انتهى أمره، ولا يعود؛ فتجده يحرص على هذه الحياة التي يرى أنها هي رأس ماله؛ وهذا القول هو الصواب. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٠٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ٨٤-٩٦

١- كن شديد التعظيم للدماء، حذِرا من التهاون فيها، بعيدا كل البعد عن سفك الدم الحرام، واعلم أن ذلك من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم).

٢- أخوك المسلم بمثابة نفسك التي بين جنبيك، فأحسن إليه كما تحسن لنفسك، وأحبب له الخير كما تحب لنفسك، واحذر من أذاه في نفسه أو ماله أو عرضه، وإن وجدت منه نقصا أو خللا فناصحه برفق (لا تسفكون دماءكم) (تقتلون أنفسكم) يعني: إخوانكم.

٣- ادخل في الإسلام كافة، بالتمسك بالكتاب والسنة، مصدقا بأخبارهما، ممتثلا لأوامرهما ما استطعت، مجتنبا نواهيهما، وإن حصل منك قصور –ولا بد- فأدم الاستغفار، وكن معترفا بخطئك وتقصيرك، لا مكابرا معاندا، واحذر من تكذيب خبر الله ورسوله في أي شيء، أو استحلال ما حرّمه الله ورسوله أو تحريم ما أحله الله ورسوله بأي حجة: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب).

٤- راقب الله في جميع أعمالك، واعلم أن الله مطّلع على كل ما تعمل، لا يغفل عن شيء من ذلك، فأحسن في أعمالك (وما الله بغافل عما تعملون).

٥- لا تقدّم دنياك وما تحبه نفسك على دينك وما يحبه ربك، فعاقبة ذلك وخيمة: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يُخفف عنهم العذاب ولا هم يُنصرون).

٦- احذر من الهوى، فإنه يهوي بصاحبه إلى الدرك الأسفل من النار، واعلم أن صاحب الهوى لا تؤثر فيه الآيات والبراهين والحجج المتكاثرة (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم).

٧- احرص على سلامة قلبك وطهارته ونقائه، باجتناب الشرك والبدع وسائر الذنوب، واعلم أن الذنوب إذا اجتمعت على القلب أحاطته بغشاء وغلاف، وتغطّى بالران، فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أُشرب من هواه، ولا يرفع رأسا بدين الله، ولا يقبل هدى الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون).

٨- احذر من الحسد، فإنه يقود إلى ردّ الحق، والاستكبار عن قبوله (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده).

٩- اسأل الله أن ينزّل عليك من فضله بأن يرزقك العلم والحكمة والتمسك بالدين، فذاك محض فضل من الله، يُكرم به من يشاء من عباده (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده).

١٠- حقق إيمانك بجميع الرسل، وبجميع الكتب المنزلة عليهم، ولا تكذب بشيء من ذلك، مع اعتقاد أن الإسلام والقرآن ناسخ لجميع الشرائع والكتب السابقة (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم).

١١- قل في كل أمر يبلغك من أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: (سمعنا وأطعنا)، مقتديا بالصحابة الكرام، وأبشر بفضل الله ورحمته، واحذر من قول: (سمعنا وعصينا)، أو الاعتراض عليها بقلبك أو لسانك، أو تبييت النية على عدم الامتثال (خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا).

١٢- إذا انحرف القلب توغلت المعصية فيه، فصارت أحبَ إليه من الطاعة (وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم).

١٣- من عمل السيئات وداوم عليها كره الموت وكره لقاء الله؛ لأنه يعلم ما ينتظره من المصير السيء (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)، بخلاف من عمل الصالحات وأحب الله فإنه يحب لقاء الله، فاسأل الله لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه، واعمل صالحا عسى أن يبلغك الله ما تتمنى.

١٤- إذا أطال الله عمرك فاغتنمه في طاعة الله، واحذر أن تكون ممن يطول عمره في معصية الله، فيكون طول العمر وبالا عليك (يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (٩٧-١٠٥) من تفسير السعدي

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} .

أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو رسول محض.

مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك.

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ} .

يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَلَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي في الوضوح والدلالة على الحق، قد بلغت مبلغا عظيما ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر.

{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} .

وهذا فيه التعجب من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها. فـ "كُلَّمَا "تفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتب عليه النقض، ما السبب في ذلك؟ السبب أن أكثرهم لا يؤمنون، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود، ولو صدق إيمانهم، لكانوا مثل من قال الله فيهم: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ} .

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} .

أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، {نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ} الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به.

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفرا بكتابهم من حيث لا يشعرون.

ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم.

وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قيله: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} بذلك.

{يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر.

{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى} ينصحاه، و {يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ} أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحانا مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة.

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه.

ثم ذكر مفاسد السحر فقال: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة: {فَإِنَّهُ نزلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ} وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين.

ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داع أصلا فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها.

{وَلَقَدْ عَلِمُوا} أي: اليهود {لَمَنِ اشْتَرَاهُ} أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة.

{مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلا ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

{وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} علما يثمر العمل ما فعلوه.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

ولو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم من السِّحر ومما اكتسبوه به، لو كانوا يعلمون ما يحصل بالإيمان والتقوى من الثواب والجزاء علما حقيقيا لآمنوا. [من التفسير الميسر]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: {رَاعِنَا} أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن فقال: {وَقُولُوا انْظُرْنَا} فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، {وَاسْمَعُوا} لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه، فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة، لفظا ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة. ثم توعد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجع.

وأخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون {أَنْ يُنزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ} أي: لا قليلا ولا كثيرا {مِنْ رَبِّكُمْ} حسدا منهم، وبغضا لكم أن يختصكم بفضله فإنه {ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ومن فضله عليكم، إنزال الكتاب على رسولكم، ليزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (٩٧-١٠٥)

الكلمة	المعنى
جبريل	أفضل الملائكة، وهو الموكل بالوحي إلى الأنبياء والمرسلين
ميكال	الملك الموكل بالمطر والنبات
نبذه	نقضه
ما تتلوا الشياطين	ما تختلق من السحر
ببابل	بمدينة بابل من أرض العراق
هاروت وماروت	اسم ملَكين أنزلهما الله ابتلاءً منه لتعليم السحر مع التحذير منه
نحن فتنة	نحن ابتلاء واختبار من الله
اشتراه	اختاره
خلاق	حظ ونصيب
راعِنا	كلمة قصد بها اليهود سب النبي صلى الله عليه وسلم ونسبته للرعونة والحماقة
انظُرنا	انظر إلى أحوالنا، أو: انتظرنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الوقف والابتداء في سورة البقرة ٩٧-١٠٥

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة في الوقف والابتداء في سورة البقرة من الآيات السابعة التسعين وحتى الآية الخامسة بعد المائة.

أبدأ بالآية الأولى: قول الله تعالى: (قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح الوقف، والسبب أن قوله تعالى (مصدقًا لما بين يديه) حالٌ فلا يصح الوقف قبلها.

ثم لا يصح الوقف إلى نهاية الآية؛ لأن (وهدًى) معطوف على (مصدقًا)، (وبشرى) أيضًا معطوف على (مصدقًا)، وهذا من عطف الكلمات لا من عطف الجمل، وعطف الكلمات لا يصح الفصل بينها في الوقف والابتداء، وبالتالي صارت هذه الآية لا وقف فيها.

وإذا أراد أن يقف وقفًا حسنًا ثم يربط فأين يقف؟

الجواب: يقف على قوله (فإنه نزّله على قلبك) أو (فإنه نزّله على قلبك بإذن الله) أو (مصدقًا لما بين يديه) هذه ثلاثة احتمالات كلها صحيحةٌ، ثم يعود إذا وقف: (على قلبك) أو (على قلبك بإذن الله) يعود (فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه) وإن وقف على (مصدقًا لما بين يديه) يعود من (مصدقًا لما بين يديه وهدًى وبشرى للمؤمنين).

في الآية التي تليها: هل يصح الوقف على (وميكال)؟

الجواب: لا يصح الوقف، والسبب أن جواب الشرط لم يأت بعد، الشرط هو (من) (من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) ما النتيجة؟ أين الجواب؟ قال (فإن الله عدو للكافرين) والفاء في قوله (فإن الله) رابطةٌ لجواب الشرط، وبالتالي لا وقف في هذه الآية.

الآية التي تليها: (ولقد أنزلنا إليك آياتٍ بيناتٍ) هل يصح الوقف على (بينات)؟

صحح الوقف هنا بعض العلماء منهم الأنصاري والأشموني، وجوزه السجاوندي، ووُضعت علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وأيضًا هو وقفٌ عند الهبطي، ولم ينص البقية على الوقف هنا.

وإذا تأملنا: فإن جملة: (وما يكفر بها إلا الفاسقون) تحتمل أن تكون جملةً استئنافيةً، يعني أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل على نبيه آياتٍ بيناتٍ، ثم أخبر في جملةٍ مستأنفةٍ مبتدأةٍ أنه لا يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون، وبناءً على كونها جملةً استئنافيةً يصح الوقف قبلها، وتحتمل أن تكون جملةً معطوفةً ويصير من عطف الجمل، وبالتالي يكون الوقف محتملاً لكن الضمير في: (وما يكفر بها) يجعل الوصل أولى كما وُضعت علامته في مصحف المدينة، ويحتمل أيضًا أنها جملةٌ حاليةٌ، أي مع كونها آياتٍ بيناتٍ الحال أنه لا يكفر بها إلا الفاسقون، والوقف هنا محتملٌ، والله تعالى أعلم.

في الآية التي تليها: (أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريقٌ منهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ووُضعت علامة الوقف الجائز هنا في مصحف المدينة، وهو وقفٌ عند الهبطي والسجاوندي، وجوّزه الأنصاري والأشموني، و(بل) في قوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) للإعراض، فهي (بل) ابتدائية فيصح الوقف قبلها.

في الآية التي تليها (ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا، لماذا؟ لأن جواب (لما) لم يأت بعد، جوابها (نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) يعني لما جاءهم الرسول المصدق لما معهم من الكتاب ما الذي حصل؟ الجواب (نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم).

وهل يصح الوقف على (وراء ظهورهم)؟

الجواب: لا يصح، لأن (كأنهم لا يعلمون) جملةٌ حاليةٌ، وحالهم كأنهم لا يعلمون أن هذا الرسول من عند الله وأنه مصدقٌ لما معهم، فصارت هذه الآية لا وقف فيها.

فإذا أراد أن يقف وقفًا حسنًا ثم يربط فأين يقف؟

يقف على قوله تعالى (نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب) ثم يرجع (نبذ فريقٌ) إلى آخر الآية، والله أعلم.

الآية التي تليها: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم يصح الوقف، ونصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء كالأشموني والأنصاري، وهو حسنٌ عند الداني، ووُضعت هنا علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وهو وقفٌ عند الهبطي أيضًا.

والنظرة هنا إلى أن جملة (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) جملةٌ اعتراضيةٌ، وقد تصلح أن تكون جملةً حاليةً لبيان نزاهة سليمان عليه السلام، وكونها جملةً اعتراضيةً أوجه، وكأن الله قال: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) ثم برّأ الله سليمان بذلك فقال (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ثم عطف (وما أُنزل على الملكين) على (واتّبعوا ما تتلوا الشياطين) يعني أنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، واتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت ومارت، هذا وجهٌ، وبناءً عليه صح الوقف على: (على ملك سليمان)، وهناك وجهٌ آخر سيأتي بعد قليل.

وهل يصح الوقف على (وما كفر سليمان)؟

الجواب: لا يصح، لأن (لكنّ) للاستدراك، فلا يصح الوقف قبلها.

وهل يصح الوقف على قوله (ولكن الشياطين كفروا)؟

أجازه بعض علماء الوقف والابتداء، والأوجه أنه لا يصح، لأن جملة (يعلّمون الناس السحر) وصفٌ لحالهم، يعني: ولكن الشياطين كفروا حال كونهم يعلمون الناس السحر أو بتعليمهم الناس السحر، وبالتالي لا يصح الوقف قبلها.

وهل يصح الوقف على (يعلّمون الناس السحر)؟

الجواب: لا يصح الوقف هنا، لماذا؟ لأن جملة (وما أنزل على الملكين) جملةٌ معطوفةٌ الواو فيها واو عطفٍ، وعلى ماذا عطفت؟

ذكرت وجهًا قبل قليلٍ وهي أنها معطوفةٌ على (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) واتبعوا ما أنزل على الملكين، وجاءت بينهما جملةٌ اعتراضيةٌ، والوجه الآخر أنها معطوفةٌ على السحر أي: يعلّمون الناس السحر ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.

أما من زعم أن (ما) هنا نافيةٌ فهو وجهٌ ضعيفٌ جدًا عندي المفسرين، يعني أنه لم ينزَل على الملكين ببابل هاروت وماروت، إذا قلنا لم ينزَل ما توجيه قوله تعالى: (وما يعلّمان من أحد) من هما اللذان

يعلّمان؟ (حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر) (فيتعلمون منهما ما يفرقون به)، هذا كله يدل على أن (ما) هنا موصولة وليست نافية، والله أعلم، وبالتالي لم يصح الوقف هنا.

أين الوقف؟ الوقف على (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت). هنا يصح الوقف، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، واعتبروا الواو في قوله (وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا) واوًا استئنافيةً.

إذًا طالت الجملة هنا فأين يقف من أراد يقف وقفًا حسنا ليربط ثم يصل إلى موضع الوقف؟ لأننا قلنا لا وقف من قوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)؟

الجواب: أن الوقف الحسن أن يقف على (يعلّمون الناس السحر) ثم يربط من (يعلّمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، والله أعلم.

ثم هل يصح الوقف على قوله تعالى (إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر)؟

الجواب: نعم، ونصّ عليه عامة الوقف والابتداء، واعتبروا جملة (ويتعلّمون منهما) جملةٌ مستأنفةٌ، والتقدير: فهم يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وتحتمل أن تكون عاطفةً وعطفها على ماذا؟ على قوله: (إنما نحن فتنة) أي: فيأبون فيتعلمون منهما، وعلى كلا الوجهين سواءٌ قدرنا أنها جملة مستأنفةٌ، أو أنها معطوفةٌ عطف جمل يصح الوقف، لأن فيها تقديرًا وحذفًا: إما فهم يتعلمون، أو فيأبون فيتعلمون، فيصح الوقف، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (بين المرء وزوجه)؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، واعتبروا جملة (وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله) جملة اعتراضية، لبيان الحقيقة والحال في هذا الضرر الذي يحدثه السحرة، فكأنه قال: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وجملة (وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله) جملة اعتراضيةٌ.

وهل يصح الوقف على (إلا بإذن الله)؟

نعم، لنهاية الجملة الاعتراضية، وإن كانت جملة (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) جملةٌ معطوفةٌ على (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) لأنها فصلت بجملةٍ اعتراضية.

وهل يصح الوقف على (ولا ينفعهم)؟

الجواب: نعم، ونصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وإن كانت جملة (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) معطوفة، إلا أن الارتباط بينها وبين الجمل التي قبلها ارتباطٌ ضعيفٌ، فصح الوقف قبلها.

وهل يصح الوقف على (ولقد علموا لمن اشتراه)؟

الجواب: لا يصح، لأن جواب القسم هنا لم يأت، (لَمن) اللام موطئةٌ للقسم، جوابها (ما له في الآخرة من خلاق) فلم يصح الوقف قبل جواب القسم.

وهل يصح الوقف على (من خلاق)؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (ولبئس ما شروا به أنفسهم) جملةٌ مستأنفةٌ أو عاطفةٌ عطف جملٍ لا ارتباط واضح بينها وبين ما قبلها.

وهل يصح الوقف على (ولبئس ما شروا به أنفسهم) قبل (لو كانوا يعلمون)؟

هذا الموضع من المواضع المشكلة جدًا، ومثله الآية التي تليها: (لمثوبةٌ من عند الله خيرٌ) هذا الموضع وُضعت عليه علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة، ولم توضع عليه علامة وقفٍ في المصحف الهبطي، وكذلك لم ينص على الوقف هنا أحدٌ من علماء الوقف والابتداء إلا السجاوندي، وبعض المصاحف وضعت هنا علامة الوقف اللازم، والوقف اللازم المقصود به أننا نقف لئلا يوهم الوصل معنًى فاسدًا ولو كان هناك ارتباطٌ معنويٌ بين الجملة الموقوف عليها والتي بعدها.

وهذا الموضع وأشباهه في القرآن: الجمل الشرطية التي جاءت في نهايات الآيات غالبًا (إن كنتم تعلمون) (لو كانوا يعلمون) (إن كنتم موقنين) وما شابه ذلك في مصحف المدينة توضع علامة الوقف الجائز قبلها عادةً، وهو منصوص السجاوندي، وبقية المصاحف وعامة علماء الوقف والابتداء لم ينصوا على وقفٍ هنا إلا المصاحف التي وضعت علامة الوقف اللازم لئلا يوهم معنًى فاسدًا.

وحقيقةً عند التأمل يتبين أن إيهام المعنى الفاسد ليس عامًا في جميع المواضع التي وضعت عليها علامة الوقف، مثلا الموضع الذي عندنا هنا: (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) في حال الوصل ما هو المعنى الفاسد المتوهم؟

هو معنًى بعيد (ولبئس ما شروا به أنفسهم) (لمثوبة من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون) عامة الناس يفهمون المعنى الصحيح في الآية حتى في حال الوصل، أن ما شروا به أنفسهم، ما باعوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون هو بئس البيع.

وعلى كل حالٍ ترك الوقف هنا أولى مراعاةً لما سار عليه عامة علماء الوقف والابتداء من عدم ذكر وقفٍ هنا أصلاً، والله تعالى أعلم.

في الآية التي تليها: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا، لأن قوله (وقولوا انظرنا) معطوفٌ عليه وهو بديلٌ بمعنى: لا تقولوا كذا بل قولوا كذا، فهو إرشادٌ إلى بديل قول (راعنا) وبالتالي لم يصح الوقف.

(وقولوا انظرنا واسمعوا) الوقف الصحيح على قوله: (واسمعوا) ثم استأنف فقال (وللكافرين عذابٌ أليمٌ) ونص على هذا الوقف عامة علماء الوقف والابتداء.

الآية التي تليها وهي الآية الأخيرة: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خيرٍ من ربكم) لا وقف إلا هنا. طالت الجملة فإذا أراد أن يقف وقفًا حسنًا فأين يقف؟

له أن يقف على (أن ينزّل عليكم) ثم يرجع (أن ينزل عليكم من خيرٍ من ربكم).

وجملة (والله يختص برحمته من يشاء) جملةٌ مستأنفةٌ، ويصح الوقف على (من يشاء).

وجملة (والله ذو الفضل العظيم) تحتمل الاستئناف وتحتمل العطف، ويصح الوقف قبلها لأنها ليس لها ارتباط واضح مع الجملة التي قبلها.

هذا آخر ما في هذا المقطع، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آلة وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ٩٧-١٠٥

سبب نزول قول الله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك...):

عن ابن عباس، قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن، عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل، قال: " هاتوا "... إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: "جبريل عليه السلام"، قالوا: جبريل! ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان، فأنزل الله عز وجل: {من كان عدوا لجبريل} [البقرة: ٩٧] إلى آخر الآية. مسند أحمد (٤/ ٢٨٤-٢٨٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٠)، مسند أبي داود الطيالسي (٤/ ٤٥٢)، السنن الكبرى للنسائي (٨/ ٢١٨).

عن أنس، قال: سمع عبد الله بن سلام، بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أرض يخترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفا» قال: جبريل؟: قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: {من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله}... صحيح البخاري (٦/ ١٩).

(فإنه نزّله على قلبك):

قال ابن عطية: وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف. المحرر الوجيز (١/ ١٨٣).

وقال الألوسي: وفي ذلك من فخامة الشأن ما لا يخفى، ولم يقل سبحانه عليك كما في قوله تعالى: (ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى) بل قال: عَلى قَلْبِكَ لأنه القابل الأول للوحي إن أريد به الروح، ومحل الفهم والحفظ إن أريد به العضو. روح المعاني (١/ ٣٣٢).

(فإن الله عدو للكافرين):

قال ابن عثيمين: {فإن الله عدو للكافرين}... هنا أظهر في موضع الإضمار لفائدتين؛ إحداهما: لفظية؛ والثانية: معنوية؛ أما الفائدة اللفظية: فمناسبة رؤوس الآي؛ وأما الفائدة المعنوية فهي تتضمن ثلاثة أمور: الأول: الحكم على أن من كان عدواً لله ومن ذُكر، بأنه يكون كافراً؛ يعني: الحكم على هؤلاء بالكفر؛ الثاني: أن كل كافر سواء كان سبب كفره معاداة الله أو لا، فالله عدو له. الثالث: بيان العلة، وهي في هذه الآية: الكفر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣١٥).

(نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم):

قال القرطبي: وهذا مثل يضرب لمن استخف بالشيء فلا يعمل به، تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك، ودبرا منك، وتحت قدمك، أي اتركه وأعرض عنه، قال الله تعالى: "واتخذتموه وراءكم ظهريا". تفسير القرطبي (٢/ ٤٠).

أول خطاب للمؤمنين في ترتيب القرآن:

قال أبو حيان: (يا أيها الذين آمنوا) هذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة، بالنداء الدال على الإقبال عليهم، وذلك أن أول نداء جاء أتى عاما: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)، وثاني نداء أتى خاصا: (يا بني إسرائيل اذكروا)، وهي الطائفة العظيمة التي اشتملت على الملتين: اليهودية والنصرانية، وثالث نداء لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين.

فكان أول نداء عاما، أمروا فيه بأصل الإسلام، وهو عبادة الله.

وثاني نداء، ذكّروا فيه بالنعم الجزيلة، وتعبدوا بالتكاليف الجليلة، وخوفوا من حلول النقم الوبيلة.

وثالث نداء: علموا فيه أدبا من آداب الشريعة مع نبيهم، إذ قد حصلت لهم عبادة الله، والتذكير بالنعم، والتخويف من النقم، والاتعاظ بمن سبق من الأمم، فلم يبق إلا ما أمروا به على سبيل التكميل، من تعظيم من كانت هدايتهم على يديه. البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٤٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه". الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ١٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٦).

(لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا):

قال أبو حيان: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا): بدئ بالنهي، لأنه من باب التروك، فهو أسهل. ثم أتي بالأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل بالنهي. ثم لم يكن نهيا عن شيء سبق تحريمه. البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٤٢).

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين...):

قال ابن عاشور: ونبه بقوله: (الذين كفروا من أهل الكتاب) دون ما يود أهل الكتاب على أنهم لم يتبعوا كتابهم؛ لأن كتبهم تأمرهم باتباع الحق حيثما وجدوه، وبالإيمان بالنبي المقفى على آثارهم، وفي التوراة والإنجيل مواضع كثيرة فيها أخذ الميثاق على ذلك، فلما حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على النبوة وحسدوا المسلمين فقد كفروا بما أمرت به كتبهم، وبهذا تخلص الكلام إلى الجمع بين موعظة النصارى مع موعظة اليهود.

ولما كان ما اقتضاه الحال من التعبير بقوله: (الذين كفروا من أهل الكتاب) قد يوهم كون البيان قيدا وأن الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين عطف عليه قوله: (ولا المشركين) كالاحتراس وليكون جمعا للحكم بين الجميع. التحرير والتنوير (١/ ٦٥٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ٩٧-١٠٥

(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال...):

قال ابن جرير: الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله وليا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته؛ لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له. تفسير الطبري (٢/ ٣٩٤).

وفي الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب). [البخاري].

(ولقد أنزلنا إليك آيات بينات):

قال ابن عثيمين: وصف القرآن بأنه آيات بينات... لكنه يحتاج إلى قلب ينفتح لهذا القرآن حتى يتبين؛ أما قلب يكره القرآن، ثم يأتي بما يُشتَبه فيه ليضرب القرآن بعضه ببعض فهذا لا يتبين له أبداً؛ إنما يتبين الهدى من القرآن من أراد الهدى؛ وأما من لم يرده فلا؛ ولهذا قال تعالى: {وما يكفر بها إلا الفاسقون}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٢٠).

(نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم):

قال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباج وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها، فذلك نبذهم. تفسير البغوي (١/ ١٤٧).

وعن أبي الدرداء وأبي هريرة وأبيّ بن كعب وأبي ذر قالوا: «إذا حليتم مصاحفكم، وزخرفتم مساجدكم، فالدمار عليكم». مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ١٥٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٦٢)، التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٤٨٦).

ترك العمل بكتاب الله:

قال ابن تيمية: والمسلمون الذين جاءهم كتاب الله القرآن: عدل كثير منهم - ممن أضله الشيطان من المنتسبين إلى الإسلام - إلى أن نبذ كتاب الله وراء ظهره واتبع ما تتلوه الشياطين. فلا يعظم أمر القرآن ولا نهيه. ولا يوالي من أمر القرآن بموالاته. ولا يعادي من أمر القرآن بمعاداته. بل يعظم من رآه يأتي ببعض خوارقهم التي يأتي بمثلها السحرة والكهان بإعانة الشياطين. وهي تحصل بما تتلوه الشياطين. ثم منهم من يعرف: أن هذا من الشيطان. ولكن يعظم ذلك لهواه ويفضله على طريق القرآن ليصل به إلى تقديس العامة. مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥٩-٣٦٠).

وقال: الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله. مجموع الفتاوى (٥/ ١٢).

حقيقة السحر:

قال الألوسي: ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح، قولا كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره، وعملا كعبادة الكواكب، والتزام الجناية وسائر الفسوق، واعتقادا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه، وذلك لا يستتب إلا بمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط التضام والتعاون، فكما أن الملائكة لا تعاون إلا أخيار الناس المشبهين بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلا الأشرار المشبهين بهم في الخباثة والنجاسة قولا وفعلا واعتقادا. روح المعاني (١/ ٣٣٧).

(وما كفر سليمان):

قال ابن تيمية: والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بها فإنه قد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها

تحت كرسيه وقالوا: كان سليمان يستخدم الجن، بهذه فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان بهذا. وآخرون قالوا: لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان؛ فضلّ الفريقان، هؤلاء بقدحهم في سليمان وهؤلاء باتباعهم السحر، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى {ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم} إلى قوله تعالى {ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون} بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع؛ إذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح، والضرر هو الشر الخالص أو الراجح، وشر هذا إما خالص وإما راجح. مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٢).

معونة الشيطان للسحرة:

قال ابن القيم: اليهود أسحر الناس وأحسدهم، فإنهم لشدة خبثهم فيهم من السحر والحسد ما ليس في غيرهم، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بهذا وهذا... والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان؛ لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه، لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له حسدا، فالحاسد من جند إبليس، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه، وربما يعبده من دون الله تعالى حتى يقضي له حاجته، وربما يسجد له... ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ ولهذا كان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام وهم الذين سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٣-٢٣٤).

(إنما نحن فتنة فلا تكفر):

قال ابن عثيمين: الله تعالى قد ييسر أسباب المعصية فتنةً للناس. أي ابتلاءً.، وامتحانـًا؛ لقوله تعالى: {وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة} ؛ فإياك

إياك إذا تيسرت لك أسباب المعصية أن تفعلها؛ واذكر قصة بني إسرائيل حين حُرِّم عليهم الصيد يوم السبت. أعني صيد البحر.؛ فلم يصبروا حتى تحيلوا على صيدها يوم السبت؛ فقال لهم الله تعالى: {كونوا قردة خاسئين} ؛ واذكر قصة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين ابتلاهم الله عز وجل وهم محرِمون بالصيد تناله أيديهم، ورماحهم؛ فلم يُقدم أحد منهم عليه، حتى يتبين لك حكمة الله تبارك وتعالى في تيسير أسباب المعصية؛ ليبلوَ الصابر من غيره. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٣٢).

كفر الساحر:

قال عبدالرزاق البدر: وإذا تأملت السياق بتمامه تجد أن هذه الآيات في هذا السياق دلت على كفر الساحر من وجوه سبعة:

الوجه الأول :- في قوله تبارك وتعالى { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } فيه بيان أن السحر لا يكون إلا بنبذ القرآن بل لا يكون إلا بامتهانه، ومما يتقرب به الساحر للشيطان ليتمكن في السحر بامتهان القرآن وإلقائه ووضع الأذى والقاذورات عليه أو إلقاؤه في الخلاء أو غير ذلك ولهذا كلما كان النبذ للقرآن أشد كان هذا أعظم تقربا ممن يطلب السحر إلى الشيطان.

الوجه الثاني:- في قوله { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } واتباع الشيطان عبادة له من دون الله وطاعة له من دون الله وهذا كفر بالله عز وجل.

الوجه الثالث:- في قوله {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } ، ونفي الكفر عن نبي الله سليمان في هذا السياق الذي فيه ذم السحر وبيان بطلانه وفساده وتبرئة نبي الله من الكفر دليل على كفر الساحر.

الوجه الرابع :- قول الله عز وجل { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } فيه التنصيص على كفر الساحر لأن الساحر تلميذ للشياطين وخريج لمدرستهم ومتتلمذ على يديهم في هذا الذي هو كفر.

الوجه الخامس :- قول الله تعالى { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } وهذا في قصة هاروت وماروت الذين جعلهما الله عز وجل فتنة للناس في هذا الباب، وفي الآية التنصيص على أن تعلم السحر كفر { إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } أي بتعلم السحر.

الوجه السادس :- قول الله تعالى { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } أي لا نصيب له ولا حظ يوم القيامة وهذا الإنتفاء للحظ والنصيب عن الساحر يوم القيامة من الدلائل على كفره.

الوجه السابع :- في الآية التي تلي هذه الآية، وهي قول الله تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } يعني ولوا أنهم تركوا السحر وتركوا الكفر وآمنوا بالله واتقوا الله عز وجل لمثوبة من عند الله خير.

فهذه وجوه سبعة في هذا السياق المبارك دالة على كفر الساحر". انتهى ملخصا من شرح البدر على كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله المحاضرة الثانية.

(ما يفرّقون به بين المرء وزوجه):

قال ابن القيم: فالشيطان وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه، وكثيراً ما يندم المطلق، ولا يصبر عن امرأته، ولا تطاوعه نفسه أن يصبر عنها... ولابد له من المرأة. إغاثة اللهفان (١/ ٢٨١).

قال ابن تيمية: الأصل في الطلاق الحظر، وإنما أبيح منه قدر الحاجة كما ثبت في الصحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم {أن إبليس ينصب عرشه على البحر ويبعث سراياه: فأقربهم إليه منزلة أعظمهم فتنة فيأتيه الشيطان فيقول: ما زلت به حتى فعل كذا؛ حتى يأتيه الشيطان فيقول: ما زلت به حتى فرقت بينه وبين امرأته؛ فيدنيه منه؛ ويقول: أنت أنت ويلتزمه} وقد قال تعالى في ذم السحر: {فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه} وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن المختلعات والمنتزعات هن المنافقات} وفي السنن أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة}. مجموع الفتاوى (٣٣/ ٨١).

الوقاية من السحر:

قال ابن تيمية: قد جمع العلماء من الأذكار والدعوات التي يقولها العبد إذا أصبح وإذا أمسى وإذا نام وإذا خاف شيئا وأمثال ذلك من الأسباب ما فيه بلاغ. فمن سلك مثل هذه السبيل فقد سلك سبيل أولياء

الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن دخل في سبيل أهل الجبت والطاغوت الداخلة في الشرك والسحر فقد خسر الدنيا والآخرة وبذلك ذم الله من ذمه من مبدلة أهل الكتاب حيث قال: {ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون} {واتبعوا ما تتلو الشياطين على} إلى قوله: {ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون}. مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٨١-٢٨٢).

ومن أفضل كتب الأذكار: الأذكار للنووي، والكلم الطيب لابن تيمية، وحصن المسلم.

ما أحلم الله على خلقه!

قال ابن عثيمين: سعة حلم الله، حيث يعرض عليهم الإيمان، والتقوى؛ لقوله تعالى: {ولو أنهم آمنوا واتقوا} يعني فيما مضى، وفيما يستقبل؛ وهذه من سنته سبحانه وتعالى أن يعرض التوبة على المذنبين؛ انظر إلى قوله تعالى: {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق} يُحَرِّقون أولياءه، ثم يعرض عليهم التوبة؛ لقوله تعالى: {ثم لم يتوبوا}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٣٦).

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم). (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة).

(لا تقولوا راعنا):

قال ابن القيم: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا} نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة - مع قصدهم بها الخير - لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم؛ فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم ويقصدون بها السب، ويقصدون فاعلا من الرعونة، فنُهي المسلمون عن قولها؛ سدا لذريعة المشابهة، ولئلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم تشبها بالمسلمين يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون. إعلام الموقعين (٣/ ١١٠).

(والله يختصّ برحمته من يشاء):

قال ابن تيمية: تخصيصه سبحانه لمن هداه – بأن استعمله ابتداء فيما خلق له وهذا لم يستعمله – هو تخصيص منه بفضله ورحمته. ولهذا يقول الله: {والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} ولذلك حكمة ورحمة هو أعلم بها كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد في غيرها وبسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض وجودية وغير ذلك من حكمته. مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٧).

فضيلة هذه الأمة:

قال ابن القيم: فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب، وأخرجهم في خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض، وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل، وموقفهم في القيامة خير المواقف، فهم على تل عال والناس تحتهم، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦١).

عداوة أهل الكتاب للمسلمين:

قال ابن عثيمين: لا يعارض هذه الآية قوله تعالى: {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون} ؛ لأن هذه الآية في صنف معين من النصارى: وهم الذين منهم القسيسون، والرهبان الذين من صفاتهم أنهم لا يستكبرون؛ فإذا وجد هذا الصنف في عهد الرسول، أو بعده انطبقت عليه الآية؛ لكن اختلفت حال النصارى منذ زمن بعيد. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العمل بالآيات من سورة البقرة ٩٧-١٠٥

١- تأمل ما في القرآن من الهدايات والبشارات للمؤمنين، حتى تكون حافزا لك للثبات على الدين، والازدياد من الأعمال الصالحات، قال الله عن القرآن: (وهدى وبشرى للمؤمنين).

٢- كن محبا لجميع الملائكة والأنبياء، مؤمنا بهم وبمكانتهم عند الله، حذِرا من معاداة أحد منهم، فإنّ كره واحد منهم أو معاداته معاداةٌ لله وملائكته ورسله جميعا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين).

٣- القرآن واضح بيّن لمن تأمّله، فاحرص على فهمه وتدبره والتفكر فيه، معتمدا على كلام الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعروفين، وإياك وتحريفه أو إنكار شيء من حقائقه أو القول فيه بغير علم، أو الاكتفاء بتزيينه وزخرفته (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات).

٤- احرص على الوفاء بالعهود والمواثيق التي بينك وبين الله، والتي بينك وبين عباد الله، والتزم بمواعيدك مع الناس، ولا تنقض شيئا من ذلك أو تنبذه بعد عقده والاتفاق عليه، فإن ذلك من صفات اليهود والمنافقين (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم).

٥- لا تعترض على حكم من أحكام الله الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ولا تتعمد مخالفة شيء من أوامر الله فتكون ممن نبذ كتاب الله وراء ظهره كأنه لا يعلم (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون).

٦- دعاة الباطل يحرصون على تزيين باطلهم بنسبته إلى أهل الفضل والشرف والمكانة، فكن حذِرا منهم، فهؤلاء اليهود نسبوا السحر إلى سليمان عليه السلام (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان).

٧- السحر كفر، والسحرة كفار، فاحذر من التعامل مع السحرة أو التعاون معهم أو طلب شيء منهم، ولو كان فيه مصلحة لك أو لغيرك، فإن ذلك يؤدي إلى هدم الدين، وحبوط الأعمال، وضياع الثواب (ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر) (وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير).

٨- الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده ويختبرهم بما شاء، فربما يسّر لك أسباب المعصية ليختبر قوة إيمانك، وثباتك عند المعاصي، ومدى تقديمك لما يحبه الله على ما تهواه نفسك، فقد أنزل ملكين لابتلاء الناس بتعليم السحر (وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت).

٩- من أعظم وظائف إبليس وجنده السعي في التفريق بين المرء وزوجه، بالسحر أحيانا، وبزرع الخصومة بينهم أحيانا، فاحرص على دحْره ورد كيده بتعزيز الصلة بينك وبين زوجك، والمحافظة على بيت الزوجية، وتحمّل الأخطاء من الطرف الآخر، واحذر من أن تكون سببا في التفريق بين شخص وزوجه بأي قول أو فعل فتكون من جند إبليس وأنت لا تشعر (فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه).

١٠- اعلم أنه لو اجتمع الخلق كلهم على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فعلّق قلبك بالله رجاءً وخوفًا، واحرص على تحصين نفسك بأذكار الصباح والمساء والنوم وأدبار الصلوات، وارْقِ نفسك بالقرآن والأدعية الواردة، مع بذل الأسباب في البعد عن أصحاب الشرور والأذى، ثم عِشْ مطمئنا مرتاح البال مستحضرا قوله تعالى: (وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله).

١١- اعلم أن كل متاع الدنيا مهما كثُر وعظُم فإنه لا يساوي شيئا أمام ثواب الله بالراحة والطمأنينة والحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة، فلا تقدّم القليل على الكثير، ولا الحطام الفاني على المتاع الباقي (ولو أنهم آمنوا واتّقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون).

١٢- الله سبحانه حليم واسع المغفرة، يصبر على كفر العباد وعنادهم ومعاصيهم، ويدعوهم للإيمان والتوبة، فاسأله أن يعاملك بحلمه ومغفرته وعفوه فإنه قال للسحرة: (ولو أنهم آمنوا واتّقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون).

١٣- احذر من مكائد الكافرين، فقد يُظهرون الشر والمكر والكيد في صورة حسنة، وابتعد عن التشبه بهم في أقوالهم وأفعالهم، واعلم أنهم يحسدون المسلمين على ما آتاهم الله من فضله (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا)، (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربكم).

١٤- اسأل الله أن يجعلك ممن يختصّه برحمته، فيمنحك إيمانا كاملا وعلما نافعا وعملا صالحا، فإنه ذو الفضل العظيم (والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (١٠٦-١١٧) من تفسير السعدي

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}.

النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع، إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض.

فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية {أَوْ نُنْسِهَا} أي: ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم، {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا} وأنفع لكم {أَوْ مِثْلِهَا}. فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته فقال: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ}. فإذا كان مالكا لكم، متصرفا فيكم، تصرف المالك البر الرحيم في أقداره وأوامره ونواهيه، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟

وهو أيضا، ولي عباده، ونصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم، أن يشرع لهم من الأحكام، ما تقتضيه حكمته ورحمته بهم.

ومن تأمل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته عباده، وإيصالهم إلى مصالحهم، من حيث لا يشعرون بلطفه.

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

ينهى الله المؤمنين، أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم {كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} والمراد بذلك، أسئلة التعنت والاعتراض، كما قال تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً}. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} فهذه ونحوها، هي المنهي عنها.

وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} ويقرّهم عليه، كما في قوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} و {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى} ونحو ذلك.

ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: {وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} .

ثم أخبر عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم ودوا {لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا} وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم [كما] قال تعالى: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم.

فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح حتى يأتي الله بأمره.

ثم بعد ذلك، أتى الله بأمره إياهم بالجهاد، فشفى الله أنفس المؤمنين منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا {إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .

ثم أمرهم [الله] بالاشتغال في الوقت الحاضر، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وفعل كل القربات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافرا موفرا قد حفظه {إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} .

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} .

أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أماني غير مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى.

ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال: {بَلَى} أي: ليس بأمانيكم ودعاويكم، ولكن {مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أي: أخلص لله أعماله، متوجها إليه بقلبه، {وَهُوَ} مع إخلاصه {مُحْسِنٌ} في عبادة ربه، بأن عبده بشرعه، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم.

{فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم، {وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} فحصل لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب. ويفهم منها، أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} .

وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتثل أوامر ربه، واجتنب نواهيه، ومن عداهم، فهو هالك.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} .

أي: لا أحد أظلم وأشد جرما، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات.

{وَسَعَى} أي: اجتهد وبذل وسعه {فِي خَرَابِهَا} الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش، حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، والنصارى حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاقة، فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدرا، إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا، حتى أذن الله له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} .

وأصحاب الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم عنه. وهكذا كل من اتصف بوصفهم، فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر. واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} أي: فضيحة كما تقدم {وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} .

وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيمانا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} .

بل قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} . وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة.

{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} .

أي: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} خصهما بالذكر، لأنهما محل الآيات العظيمة، فهما مطالع الأنوار ومغاربها، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات.

{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا} وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتبه القبلة، فيتحرى الصلاة إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذورا بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذورا أو مأمورا.

وبكل حال، فما استقبل جهة من الجهات، خارجة عن ملك ربه.

{فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه، وهو - تعالى - واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم.

فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر.

{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} .

{وَقَالُوا} أي: اليهود والنصارى والمشركون، وكل من قال ذلك: {اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا} فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأساءوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم. وهو تعالى صابر على ذلك منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه.

{سُبْحَانَهُ} أي: تنزه وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله، فسبحان من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك فقال: {بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالمماليك، وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولدا، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه.

والله تعالى المالك القاهر، وأنتم المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه.

والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة.

فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} .

ثم قال: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} أي: خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق.

{وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (١٠٦-١١٧)

الكلمة	المعنى
ننْسخ	النسخ: إزالة أو تبديل حكم شرعي
نُنسِها	نمحُها من القلوب
من وليّ	من مالك، أو متولّ لأموركم
سواء السبيل	وسَط الطريق وهو الصراط المستقيم
أسلم وجهه لله	أخلص قصده وأعماله لله
وهو محسن	وهو متعبد لله بشرعه غيرُ مبتدع
له قانتون	مسخّرون تحت تدبيره
بديع السماوات والأرض	خالقهما بإتقان على غير مثال سابق

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ١٠٦-١١٧

حمدا لك اللهمّ، وصلاةً وسلامًا على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة في الوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية السادسة بعد المائة وحتى الآية السابعة عشرة بعد المائة.

أبدأ بالآية الأولى: قول الله تعالى: (ما ننسخ من آيةٍ أو ننسها) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح الوقف، لماذا؟ لأن جملة (نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها) جواب الشرط، أين الشرط؟ الشرط (ما) الشرطية هنا في قوله (ما ننسخ) بدليل أن جملة أو كلمة (ننسخ) مجزومة، فإذا جاء ما بعد (ما) مجزومًا فهو دليلٌ على أن (ما) شرطية، فالله يقول (ما ننسخ) أي آيةٍ ننسخها أو ننسها ما الذي يحصل؟ نأت بخيرٍ منها أو مثلها، فالجملة تكتمل عند قوله (أو مثلها) هنا يصح الوقف عند عامة علماء الوقف والابتداء، وإن كان له ارتباطٌ معنويٌ بما بعده، وليس ارتباطًا لفظيًا في قوله: (ألم تعلم أن الله على كل شيءٍ قديرٌ).

يعني كأن الله يقول: إنه لما ينسخ الآية أو ينسها يأت بخيرٍ منها، وهذا كله يدل على قدرة الله سبحانه تعالى، وهو الذي على كل شيءٍ قديرٌ، فهذا ارتباطٌ معنويٌ ويصح الوقف قبله لأنه ليس ارتباطًا لفظيًا، وكذلك جملة (ألم تعلم) جملة استفهام، والقاعدة أنه يصح الابتداء بالاستفهام، الاستفهام والشرط والنفي كلها مما يصح الابتداء بها غالبًا، وهذه قاعدةٌ تختصر عليك شيئًا كثيرًا من أمور الوقف والابتداء، فهذا الاستفهام (ألم تعلم) يصح الابتداء به، وسيأتينا أمثلةٌ بإذن الله تعالى للنفي والشرط.

الآية الثانية: (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (وما لكم من دون الله من وليٍ ولا نصيرٍ) جملةٌ مستأنفةٌ و(ما) فيها نافيةٌ، ويصح الابتداء بالنفي كما ذكرت قبل قليل، يعني: وليس لكم من دون الله من وليٍ ولا نصيرٍ.

الآية التي تليها: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم يصح، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، واعتبره بعضهم وقفًا صالحًا أو جائزًا، وللمعلومية الوقف الصالح والجائز والمفهوم وما شابه ذلك المقصود منه أنه ليس وقفًا أساسيًا معتبرًا مثل الوقف التام والكافي، لكنه له وجهٌ.

وهنا نصوا على الوقف، لأن جملة (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) جملةٌ شرطيةٌ، هنا الآن اجتمع معنا في الآيات الثلاثة هذه الابتداء بجملةٍ شرطيةٍ وبجملةٍ نافيةٍ وبجملةٍ استفهاميةٍ، بناءً على القاعدة التي ذكرتها قبل قليل: يصح الابتداء بالاستفهام والنفي والشرط غالبًا. (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) هذه جملةٌ شرطيةٌ.

الآية التي تليها: (ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا) هل يصح الوقف هنا؟

صحح الوقف هنا جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء مثل الداني والأنصاري، وجوزه السجاوندي، ونقله الداني عن جمعٍ مثل الإمام نافع والفراء وأبو حاتم السجستاني وغيرهم.

ما وجه الوقف هنا؟ وجهه قالوا: انتهت الجملة عند قوله: (ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا) هذا الذي يودونه هم، أما قوله: (حسدًا من عند أنفسهم) فهي جملةٌ مستأنفةٌ و(حسدًا) منصوبةٌ على تقدير يحسدونكم حسدًا أو منصوبةٌ على المصدرية.

ونص علماء آخرون على عدم صحة الوقف هنا، ووجه قولهم أنهم قالوا (حسدًا) مفعولٌ له لقوله (يردونكم) أي: مفعول لأجله (يرودونكم من بعد إيمانكم كفارًا) لماذا (حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) يعني يريدون أن تكونوا مثلهم في الكفر، وأن لا تؤمنوا حتى لا ينزل عليكم من خيرٍ من ربكم، كما سبق في الأسبوع الماضي.

والأمر هنا محتملٌ، وأكثر علماء الوقف والابتداء على صحة الوقف هنا، والله تعالى أعلم، لكن الوصل أولى ولا شك.

وهل يصح الوقف على قوله (من بعد ما تبين لهم الحق)؟

نعم يصح الوقف، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (فاعفوا واصفحوا) هي في الحقيقة جملة جواب شرطٍ مقدرٍ، يعني الله سبحانه وتعالى يقول (حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) فإذا كان أمرهم كذلك فاعفوا واصفحوا، هذا تقدير الجملة فهي مقدرةٌ بشرطٍ محذوف، والشرط يصح الابتداء به، والله أعلم.

(حتى يأتي الله بأمره) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، (إن الله على كل شيءٍ قدير) جملةٌ مستأنفةٌ، وإن المكسورة يصح الابتداء بها غالبًا كما ذكرت سابقًا، والله أعلم.

الآية التي تليها: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح الوقف، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، والواو التي تليها (وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله) واوٌ استئنافية وتحتمل العطف، لكن (ما) في الجملة (وما تقدموا) شرطية جوابها (تجدوه عند الله) ما تقدموه تجدوه عند الله، فهو ذكر الجزاء بعد أن أمر، يعني هذه الجملة جملة حثٍ وليست جملة أمرٍ، بينما الجملتين السابقتين (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أمرٌ، وهنا حثٌ (وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ) أي خيرٍ كان من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما عداه من أبواب الخير تجدوه عند الله، فهي جملةٌ عامةٌ للحث وليست مرتبطة بما قبلها، وإن قلنا: إن الواو فيها واو عطفٍ، والله تعالى أعلم.

قوله: (تجدوه عند الله) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (إن الله بما تعملون بصيرٌ) جملةٌ مستأنفةٌ مبتدأةٌ فيصح الوقف قبلها.

الآية التي تليها: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى) هل يصح الوقف هنا أو لا يصح؟

نعم يصح الوقف، ونص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن قولهم انتهى، قالوا (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى)، ثم بدأ وصف حالهم والرد عليهم، وصف حالهم فقال: (تلك أمانيهم) ثم رد عليهم وطلب منهم البرهان وقال: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فيصح الوقف في الموضعين، يصح الوقف على (من كان هودًا أو نصارى) لانتهاء قولهم، ويصح الوقف على (تلك أمانيهم) لانتهاء وصف حالهم، وعامة علماء الوقف والابتداء على أن الوقف هنا أفضل من الوقف على قوله (أو نصارى) ثم (قل هاتوا برهانكم) هذا من باب المحاجة لهم ومطالبتهم بالدليل على قولهم.

الآية التي تليها (بلى) هل يصح الوقف عليها؟

سبق الكلام عليها في موضعٍ سابقٍ وأنها تختلف باختلاف السياق التي تأتي فيها. والسياق هنا أن اليهود والنصارى قالوا (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى) فرد الله عليهم بثلاثة ردود:

الرد الأول: أن هذه مجرد أماني (تلك أمانيهم).

الرد الثاني: مطالبتهم بالبرهان والدليل.

الرد الثالث: تقرير الواقع والحق أنه سيدخل الجنة غيرهم، قال (بلى) سيدخل الجنة (من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)، ونص على الوقف هنا الداني، وعامة علماء الوقف والابتداء لم ينصوا على الوقف من باب أنها جملةٌ متكاملةٌ (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ) يعني فسيدخل الجنة (فله أجره عند ربه) التي هي الجنة (ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) فالأولى عدم الوقف، والله تعالى أعلم.

(وهو محسن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن جواب الشرط لم يأت، أين الشرط؟ (من أسلم وجهه لله وهو محسن) هذه كلها جملة شرطٍ بأداة الشرط وفعله، أين الجواب؟ ما النتيجة؟ يعني (من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ) ما نتيجته؟ نتيجته (فله أجره عند ربه).

هل يصح الوقف على قوله (عند ربه)؟

جوزه بعض علماء الوقف والابتداء، وإن كان (ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) معطوفٌ عليه، وكل هذا جزاء (فله أجره عند ربه) يوم القيامة (ولا خوفٌ عليهم) في الدنيا ولا في الآخرة (ولا هم يحزنون) في الدنيا ولا في الآخرة، لكن جوزوا الوقف لنظرةٍ معنويةٍ وهي أن (له أجره عند ربه) إثباتٌ (ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) نفي، ويصح الفصل بين الإثبات والنفي، وهذا له وجهٌ، والله تعالى أعلم، والوصل أولى ولا شك.

الآية التي تليها: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) هل يصح الوقف هنا؟

أجازه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، لأن قول اليهود انتهى هنا، ثم قال الله: (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) وانتهى قول النصارى هنا، وجوّز بعضهم الوقف هنا أيضًا.

(وهم يتلون الكتاب) الواو هنا واوٌ حاليةٌ، والجملة جملةٌ حاليةٌ يعني أنهم يقولون هذا القول، والحال أنهم يتلون الكتاب، وفي كتابهم يعني في كتاب اليهود في التوراة أن عيسى عليه السلام نبي وسيأتي، وفي كتاب النصارى الإنجيل أن موسى عليه السلام كان نبيًا صادقًا، فقول اليهود: (ليست النصارى على شيء) تكذيبٌ منهم لكتابهم، وكذلك قول النصارى (ليست اليهود على شيء) تكذيبٌ منهم لكتابهم، فجملة (وهم يتلون الكتاب) هي من باب إلزامهم وتقريرهم على خطئهم الذي وقعوا فيه، فالأصح هنا

والله أعلم أنه لا وقف إلى قوله (وهم يتلون الكتاب) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، والله أعلم.

ثم قال (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) (كذلك) يعني كما قالت اليهود وقالت النصارى (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) صح الابتداء بها لأنها جملةٌ متكاملةٌ.

ثم قال (مثل قولهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء؛ لأن قوله (فالله يحكم بينهم) الفاء (فالله) مبتدأ مع فاء التعقيب، تعقيبًا على قول هؤلاء كلهم أن ليس غيرهم على شيء يعني على شيءٍ من الحق (فالله يحكم بينهم) فهي جملةٌ مبتدأةٌ.

الآية التي تليها: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله (وسعى في خرابها) معطوفٌ وارتباطه بما قبله ارتباطٌ واضحٌ، يعني من أظلم ممن فعل أمرين منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها الخراب الحسي أو المعنوي فالارتباط واضحٌ فلذلك لا يصح الوقف.

وهل يصح الوقف على قوله (وسعى في خرابها)؟

نعم يصح الوقف، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة الاستفهامية الذي هو الاستفهام الإنكاري: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) انتهت هنا، ثم بدأ بجملةٍ إخباريةٍ (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها) يعني كان المفترض من حالهم ألا يدخلوها إلا خائفين، فللفصل بين الاستفهام والإخبار جاز الوقف هنا.

ثم قال (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن هذا الذي حكاه الله سبحانه وتعالى كان المفترض من حالهم، ثم ذكر جزاءهم بجملةٍ مبتدأةٍ: مبتدأٌ وخبرٌ (لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ) فهذا جزاءٌ صح الابتداء به.

طيب، هل يصح الوقف على قوله (خزي)؟

نص عليه الأشموني والهبطي، وله وجهٌ للتفريق بين الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي، والوصل أولى، والله أعلم.

الآية التي تليها: (ولله المشرق والمغرب) هل يصح الوقف هنا؟

نص عليه الأشموني والهبطي ووضعت عليه علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة، والفاء التي بعدها فأينما تولوا فاءٌ استئنافيةٌ، (وأينما تولوا) جملةٌ شرطيةٌ يصح الابتداء بها كما سبق تقريره، فيصح الابتداء بقوله: (فأينما تولوا فثمّ وجه الله) والدليل على أنها جملةٌ شرطيةٌ وجود الفاء في الجواب (فأينما تولوا فثمّ وجه الله).

وهل يصح الوقف على قوله (وجه الله)؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وبعده جملة (إن الله واسعٌ عليمٌ) جملةٌ مبتدأةٌ وفيها (إن) المكسورة التي يصح الابتداء بها غالبًا.

الجملة التي تليها: (وقالوا اتخذ الله ولدًا) هل يصح الوقف هنا؟

هذا الموضع لم أجد من نص على الوقف عليه إلا الهبطي، وفي مصحف المدينة وضعت عليه علامة الوقف أولى، وعامة علماء الوقف والابتداء على عدم الوقف هنا، بل نص أكثرهم على أن الوقف على قوله (سبحانه) يعني (وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه) أما الوقف على (ولدا) فنص عليه الهبطي كما ذكرت سابقًا، ونص السجاوندي على أنه ينبغي أن يوصل بقوله (سبحانه) ردًا لقولهم (اتخذا الله ولدًا) وتعجيلاً للتنزيه، يعني بدون فصل، بدون وقف، وهذا وجيه، وإن كان من رأى الوقف هنا وجّهه بأن قولهم انتهى، وأن التنزيه بعده، وحتى لا يوهم أن التنزيه للولد، يعني (وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه) حتى لا يوهم أن (سبحانه) راجعٌ إلى هذا الولد، لكن هذا بعيدٌ، لأن الله سبحانه وتعالى يحكي قولهم إنكارًا عليهم، فهل يحتمل أن يكون التسبيح والتنزيه للولد؟ هذا بعيد، لكن قالوا لأن الضمير في سبحانه يرجع في الأصل والعادة المطّردة عادةً في اللغة إلى أقرب مذكورٍ، وأقرب مذكورٍ هو الولد لكن السياق يأبى هذا، فالأصح والعلم عند الله في هذا الموضع وأشباهه في القرآن ألا وقف إلا على قوله (سبحانه) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، والله أعلم.

ثم قال (بل له ما في السموات والأرض) هذا جوابٌ وردٌ على قولهم، يعني إذا كان له ما في السموات وما في الأرض هل يمكن أن يتخذ ولدًا؟ وهل هو بحاجةٍ إلى ذلك سبحانه وتعالى؟

وهل يصح الوقف على (بل له ما في السموات والأرض)؟

الجواب: نعم يصح، ونص عليه عامة علماء والوقف والابتداء، وهو وقفٌ عند الهبطي، ووضعت هنا علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وبعده (كلٌ له قانتون) جملةٌ مستأنفةٌ مكونة من مبتدأ وخبر.

الآية التي تليها: (بديع السموات والأرض) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم يصح، لأن جملة (وإذا قضى أمرًا) جملةٌ مستأنفةٌ شرطيةٌ، ويصح الابتداء بالجملة الشرطية غالبًا.

(إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون) فهي جملةٌ شرطيةٌ صح الابتداء بها كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء.

الموضع الأخير: (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا بعض علماء الوقف كالهبطي والداني والأنصاري والنحاس وغيرهم وجوزوه، ووجه جواز الوقف هنا أن جملة (فيكون) جملةٌ مرفوعةٌ، (فيكونُ) على الاستئناف فهي خبر مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: فهو يكون، يعني إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن، انتهى فعل الله سبحانه وتعالى عندما أراد أن يقضي أمرًا، ما النتيجة؟ فهو يكون، فيصح الوقف بناءً على هذه النظرة، وأعربها بعضهم أنها معطوفةٌ وأن الفاء فيها فاءٌ عاطفة على (يقول) فإنما يقول فيكون، وبناءً عليه لا يصح الوقف هنا.

وعلى قراءة ابن عامر الشامي بالنصب (إنما يقول له كن فيكونَ) جوابٌ للأمر ما هو الأمر؟ الأمر: كن فيكونَ فهو جواب كالثواب له، وعلى قراءة ابن عامر أيضًا لا يصح الوقف على (كن) لكن على قراءة بقية القراء يصح الوقف كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجه الاستئناف كما سبق ذكره، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ١٠٦-١١٧

التمهيد لتحويل القبلة:

قال ابن عثيمين: من هذا الموضع من السورة إلى ذكر تحويل القبلة في أول الجزء الثاني تجد أن كل الآيات توطئة لنسخ استقبال القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ ولهذا تجد الآيات بعدها كلها في التحدث مع أهل الكتاب الذين أنكروا غاية الإنكار تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٨).

(ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير):

قال ابن عثيمين: القادر على تغيير الأمور الحسية قادر على تغيير الأمور المعنوية؛ فالأمور القدرية الكونية الله قادر عليها؛ فإذا كان قادراً عليها فكذلك الأمور الشرعية المعنوية؛ وهذا هو الحكمة في قوله تعالى: {ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير} بعد ذكر النسخ. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٩).

الفرق بين القدرة والقوة:

قال ابن عثيمين: وقوله تعالى: {قدير} : لما أريد بها الوصف جاءت على صيغة "فعيل"؛ لكن إذا أريد بها الفعل تكون بصيغة "الفاعل"، كما في قوله تعالى: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم}؛ و "القدرة" صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل الفعل بلا عجز؛ و"القوة" صفة تقوم بالقوي بحيث يفعل الفعل بلا ضعف؛ إذاً المقابل للقدرة: العجز؛ لقوله تعالى: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً}؛ والمقابل للقوة: الضعف، قال تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة}.

والفرق الثاني بينهما: أن "القوة" يوصف بها من له إرادة، وما ليس له إرادة؛ فيقال: رجل قوي؛ وحديد قوي؛ وأما "القدرة" فلا يوصف بها إلا ذو إرادة؛ فلا يقال: حديد قادر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٧-٣٤٨).

سبب نزول: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل):

عن ابن عباس: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك! فأنزل الله في ذلك من قولهما: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ، الآية. تفسير الطبري (٢/ ٤٩٠)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٢).

سبب نزول: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا):

عن ابن عباس قال: كان حُيَيّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا، إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهِدَين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) الآية. تفسير الطبري (٢/ ٤٩٩).

(حتى يأتي الله بأمره):

عن قتادة: (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) ، فأتى الله بأمره فقال: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ، حتى بلغ (وهم صاغرون). تفسير الطبري (٢/ ٥٠٣)

(إن الله بما تعملون بصير):

قال ابن عثيمين: و {بما تعملون} متعلقة بـ {بصير} ؛ وقدمت عليها لغرضين؛ الأول: مراعاة الفواصل؛ لأن التي قبلها فاصلة بالراء: {قدير} ، وبعدها: {بصير}؛ والثاني: من أجل الحصر؛ والحصر هنا وإن كان يقلل من العموم لكنه يفيد الترهيب والترغيب؛ لأنه إذا قيل: أيهما أعظم في التهديد أو الترغيب، أن نقول: إن الله بصير بكل شيء مما نعمل، ومما لا نعمل؛ أو أنه بصير بما نعمل فقط؟

فالجواب: أن الأول أعم؛ والثاني أبلغ في التهديد، أو الترغيب؛ وهو المناسب هنا؛ كأنه يقول: لو لم يكن الله بصيراً إلا بأعمالكم فإنه كاف في ردعكم، وامتثالكم؛ و {بصير} ليس من البصر الذي هو الرؤية؛ لكن

من البصر الذي بمعنى العلم؛ لأنه أشمل حيث يعم العمل القلبي، والبدني؛ والعمل القلبي لا يدرك بالرؤية. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٤).

(من أسلم وجهه لله):

قال الثعلبي: وأصل الإسلام والاستسلام: الخضوع والانقياد؛ وإنّما خصّ الوجه لأنّه إذا جاد بوجهه في السّجود لم يبخل بسائر جوارحه. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ٢٥٩).

سبب نزول: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) الآية:

عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) ، إلى قوله: (فيما كانوا فيه يختلفون). تفسير الطبري (٢/ ٥١٣-٥١٤).

(فالله يحكم بينهم يوم القيامة):

قال ابن عثيمين: وحكم الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي، وكوني، وجزائي؛ فالشرعي: مثل قوله تعالى في سورة الممتحنة: {ذلكم حكم الله يحكم بينكم} ؛ والكوني: مثل قوله تعالى عن أخي يوسف: {فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين} ؛ والجزائي: مثل هذه الآية: {فالله يحكم بينهم يوم القيامة} ؛ والحكم الجزائي هو ثمرة الحكم الشرعي؛ لأنه مبني عليه: إن خيراً فخير؛ وإن شراً فشر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٧٥).

الاستفهام بمعنى النفي:

قال ابن عثيمين: والاستفهام هنا بمعنى النفي؛ يعني لا أحد أظلم؛ والميزان الذي يبيِّن أن الاستفهام بمعنى النفي أنك لو حذفت الاستفهام، وأقمت النفي مقامه لصح؛ والفائدة من تحويل النفي إلى الاستفهام أنه أبلغ في النفي؛ إذ إن الاستفهام الذي بمعنى النفي مشرب معنى التحدي؛ كأنه يقول: بيِّنوا لي أيّ أحد أظلم من كذا وكذا. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٥).

أوجه ورود المشرق والمغرب في القرآن:

قال ابن عثيمين: وقد وردت المشرق، والمغرب في القرآن على ثلاثة أوجه: مفردة، ومثناة، وجمعا؛ فجاءت مفردة هنا فقال تعالى: {ولله المشرق والمغرب} ؛ وجاءت مثناة في قوله تعالى: {رب المشرقين ورب المغربين}، وجمعـًا في قوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب}؛ والجمع بين هذه الأوجه الثلاثة أن نقول: أما «المشرق» فلا ينافي «المشارق»، ولا «المشرقين»؛ لأنه مفرد محلى بـ «أل»؛ فهو للجنس الشامل للواحد، والمتعدد؛ وأما {رب المشرقين ورب المغربين}، و {رب المشارق والمغارب} فالجمع بينهما أن يقال: إن جمع {المشارق}، و {المغارب} باعتبار الشارق، والغارب؛ لأن الشارق، والغارب كثير: الشمس، والقمر، والنجوم؛ كله له مشرق، ومغرب؛ فمن يحصي النجوم! أو باعتبار مشرق كل يوم، ومغربه؛ لأن كل يوم للشمس مشرق، ومغرب؛ وللقمر مشرق، ومغرب؛ وثنَّى باعتبار مشرق الشتاء، ومشرق الصيف؛ فمشرق الشتاء تكون الشمس في أقصى الجنوب؛ ومشرق الصيف في أقصى الشمال؛ وبينهما مسافات عظيمة لا يعلمها إلا الله؛ وسورة «الرحمن» أكثر ما فيها بصيغة التثنية؛ فلذلك كان من المناسب اللفظي أن يذكر المشرق، والمغرب بصيغة التثنية؛ أما عند العظمة فذكرت بالجمع: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين}؛ فقوله تعالى: {ولله المشرق والمغرب} أي مشرق كل شارق؛ ومغرب كل غارب؛ ويحتمل أن المراد له كل شيء؛ لأن ذكر المشرق والمغرب يعني الإحاطة والشمول. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٢-١٣).

سبب نزول: (فأينما تولوا فثم وجه الله):

عن ابن عمر، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت {فأينما تولوا فثم وجه الله}. صحيح مسلم (١/ ٤٨٦).

عن عامر بن ربيعة، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزل: {فأينما تولوا فثم وجه الله}. سنن الترمذي (١/ ٤٥٠).

عن عامر بن ربيعة، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، «فتغيمت السماء وأشكلت علينا القبلة، فصلينا، وأعلمنا، فلما طلعت الشمس إذا نحن قد صلينا لغير القبلة» ، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: {فأينما تولوا فثم وجه الله}. سنن ابن ماجه (١/ ٣٢٦).

(وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون):

قال ابن عثيمين: قوله تعالى: {وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون} أي إذا أراد أن يقضي أمراً؛ والفعل يأتي بمعنى إرادته المقارنة له، مثل قوله تعالى: {فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم} أي إذا أردت قراءته؛ والدليل على تأويل {قضى} بمعنى «أراد أن يقضي» هو قوله تعالى في آية أخرى: {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون}، على أنه يصلح أن يكون {إذا قضى أمراً ... } بمعنى إذا فعل شيئاً فإنما يقول تعالى له عند فعله: {كن فيكون} ؛ يعني أن فعله سبحانه وتعالى للشيء يكون بعد قوله عز وجل: {كن} من غير تأخر؛ لأنه ليس أمراً شاقاً عليه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ١٠٦-١١٧

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها):

قال الطبري: والصواب من القول في معنى ذلك عندنا: ما نبدل من حكم آية فنغيره، أو نترك تبديله فنقره بحاله، نأت بخير منها لكم - من حكم الآية التي نسخنا فغيرنا حكمها - إما في العاجل لخفته عليكم، من أجل أنه وضع فرض كان عليكم، فأسقط ثقله عنكم، وذلك كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل، ثم نسخ ذلك فوضع عنهم، فكان ذلك خيرا لهم في عاجلهم، لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم = وإما في الآجل لعظم ثوابه، من أجل مشقة حمله وثقل عبئه على الأبدان. كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة، فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل في كل حول، فكان فرض صوم شهر كامل كل سنة، أثقل على الأبدان من صيام أيام معدودات. غير أن ذلك وإن كان كذلك، فالثواب عليه أجزل، والأجر عليه أكثر، لفضل مشقته على مكلفيه من صوم أيام معدودات، فذلك وإن كان على الأبدان أشق، فهو خير من الأول في الآجل لفضل ثوابه وعظم أجره، الذي لم يكن مثله لصوم الأيام المعدودات. فذلك معنى قوله: (نأت بخير منها) . لأنه إما بخير منها في العاجل لخفته على من كلفه، أو في الآجل لعظم ثوابه وكثرة أجره. أو يكون مثلها في المشقة على البدن واستواء الأجر والثواب عليه، نظير نسخ الله تعالى ذكره فرض الصلاة شطر بيت المقدس، إلى فرضها شطر المسجد الحرام. تفسير الطبري (٢/ ٤٨٢).

وقال ابن عثيمين: الشريعة تابعة للمصالح؛ لأن النسخ لا يكون إلا لمصلحة؛ فإن الله لا يبدل حكماً بحكم إلا لمصلحة...

قد يقول قائل: ما الفائدة إذاً من النسخ إذا كانت مثلها والله تعالى حكيم لا يفعل شيئاً إلا لحكمة؟

فالجواب: أن الفائدة اختبار المكلف بالامتثال؛ لأنه إذا امتثل الأمر أولاً وآخراً، دل على كمال عبوديته؛ وإذا لم يمتثل دل على أنه يعبد هواه، ولا يعبد مولاه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

أهمية النسخ:

قال القرطبي: معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة، لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام. تفسير القرطبي (٢/ ٦٢).

قال القرطبي عن النسخ: نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم، لضرب من المصلحة، إظهارا لحكمته وكمال مملكته. ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية... كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، لا إله إلا هو، فخطابه يتبدل، وعلمه وإرادته لا تتغير، فإن ذلك محال في جهة الله تعالى. تفسير القرطبي (٢/ ٦٣).

الحكمة من النسخ:

قال ابن القيم: وإذا كان الرب تعالى لا حجر عليه، بل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويبتلى عباده لما يشاء، ويحكم ولا يحكم عليه. فما الذى يحيل عليه ويمنعه أن يأمر أمة بأمر من أوامر الشريعة، ثم ينهى أمة أخرى عنه أو يحرم محرما على أمة ويبيحه لأمة أخرى؟.

بل أي شيء يمنعه سبحانه أن يفعل ذلك فى الشريعة الواحدة فى وقتين مختلفين، بحسب المصلحة، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى بقوله: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيء قَدِير * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْك السَّموَاتِ وَالأَرْضِ}. فأخبر سبحانه أن عموم قدرته وملكه وتصرفه في مملكته وخلقه لا يمنعه أن ينسخ ما يشاء، ويثبت ما يشاء كما أنه يمحو من أحكامه القدرية الكونية ما يشاء، ويثبت فهكذا أحكامه الدينية الأمرية، ينسخ منها ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٢٦-٣٢٧).

(وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير):

قال الألوسي: من علم أنه تعالى وليه ونصيره لا ولي ولا نصير له سواه يعلم قطعا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى، ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلا. روح المعاني (١/ ٣٥٣).

قال ابن عثيمين: لا أحد يدفع عن أحد أراد الله به سوءاً؛ لقوله تعالى: {وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير}.

ومنها: أنه يجب على المرء أن يلجأ إلى ربه في طلب الولاية، والنصر.

فإذا قال قائل: إن الله سبحانه وتعالى يقول: {هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين}، ويقول تعالى: {إلا تنصروه فقد نصره الله}؛ فأثبت نصراً لغير الله.

فالجواب: أن إثبات النصر لغير الله إثبات للسبب فقط؛ وليس نصراً مستقلاً؛ والنصر المستقل من عند الله؛ أما انتصار بعضنا ببعض فإنه من باب الأخذ بالأسباب؛ وليس على وجه الاستقلال ...

من فوائد الآية: أن ما يريده الإنسان فهو إما جلب منفعة يحتاج إلى ولي يجلبها له؛ وإما دفع مضرة يحتاج إلى نصير يدفعها عنه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥٢).

(كما سئل موسى من قبل):

قال البغوي: سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة، وقيل: إنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين. تفسير البغوي (١/ ١٥٤).

قال ابن عثيمين: لا ينبغي إلقاء السؤال إلا لمصلحة: إما رجل وقعت له مسألة يسأل عن حكمها؛ أو طالب علم يتعلم ليستنتج المسائل من أصولها؛ أما الأسئلة لمجرد استظهار ما عند الإنسان فقط؛ أو أقبح من ذلك من يستظهر ما عند الإنسان ليضرب آراء العلماء بعضها ببعض، وما أشبه ذلك؛ أو لأجل إعنات المسؤول، وإحراجه؛ فكل هذا من الأشياء المذمومة التي لا تنبغي. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥٥).

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا):

قال ابن عثيمين: وجوب الحذر من اليهود، والنصارى؛ ما دام كثير منهم يودون لنا هذا فإنه يجب علينا أن نحذر منهم..

ومنها: بيان خبث طوية هؤلاء الذين يودون لنا الكفر؛ لقوله تعالى: {من عند أنفسهم} ؛ ليس من كتاب، ولا من إساءة المسلمين إليهم؛ ولكنه من عند أنفسهم: أنفس خبيثة تود الكفر للمسلمين حسداً. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٠).

(حسدا من عند أنفسهم):

قال ابن تيمية: الحاسد المبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها ظالم معتد والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله فإذا أحب أن يعطى مثل ما أعطي مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل. ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالما معتديا مستحقا للعقوبة إلا أن يتوب وكان المحسود مظلوما مأمورا بالصبر والتقوى فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه كما قال تعالى: {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره} . مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢١).

قال ابن عثيمين: الحاسد أو الحسود. مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى لله فضلاً فيها؛ لأنه لابد أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة؛ حتى لو فرضنا أنه تميز بأموال كثيرة، وجاء إنسان تاجر، وكسب مكسباً كبيراً في سلعة معينة تجد هذا الحاسد يحسده على هذا المكسب بينما عنده ملايين كثيرة؛ وكذلك أيضـًا بالنسبة للعلم: بعض الحاسدين إذا برز أحد في مسألة من مسائل العلم تجده. وإن كان أعلم منه. يحسده على ما برز به؛ وهذا يستلزم أن يحتقر نعمة الله عليه؛ فالحسد أمره عظيم، وعاقبته وخيمة؛ والناس في خير، والحسود في شر: يتتبع نعم الله على العباد؛ وكلما رأى نعمة صارت جمرة في قلبه؛ ولو لم يكن من خُلُق الحسد إلا أنه من صفات اليهود لكان كافيـًا في النفور منه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٠).

(فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره):

قال ابن عثيمين: مراعاة الأحوال، وتطور الشريعة، حيث قال: {فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره} .

ومنها: جواز مهادنة الكفار إذا لم يكن للمسلمين قوة..

ومنها: إثبات الحكمة لله عز وجل، حيث أمر بالعفو، والصفح إلى أن يأتي الله بأمره؛ لأن الأمر بالقتال قبل وجود أسبابه، وتوفر شروطه من القوة المادية والبشرية، ينافي الحكمة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦١).

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة):

قال ابن عثيمين: وجوب إقامة الصلاة؛ والصلاة تشمل الفريضة والنافلة؛ ومن إقامة الفرائض كثرة النوافل؛ لأنه جاء في الحديث أن النوافل تكمل بها الفرائض يوم القيامة؛ ما من إنسان إلا وفي فريضته نقص؛ لكن هذه النوافل تكملها، وترقعها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٤).

وقال: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة من أسباب النصر؛ لأن الله ذكرها بعد قوله: {فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره}؛ وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٥).

(وما تقدموا لأنفسكم من خير...):

قال ابن عثيمين: الإنسان إذا قدم خيراً فإنما يقدمه لنفسه؛ لقوله تعالى: {وما تقدموا لأنفسكم من خير}؛ ولهذا ليس له من ماله إلا ما أنفق لله؛ وما أخره فلوارثه. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٥).

(إن الله بما تعملون بصير):

قال الطبري: وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين، أنهم مهما فعلوا من خير وشر سرا وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزيهم بالإحسان خيرا، وبالإساءة مثلها. وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعدا ووعيدا، وأمرا وزجرا. وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم، ليجدوا في طاعته، إذْ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه، كما قال: (وما

تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) ، وليحذروا معصيته، إذْ كان مطلعا على راكبها، بعد تقدمه إليه فيها بالوعيد عليها، وما أوعد عليه ربنا جل ثناؤه فمنهي عنه، وما وعد عليه فمأمور به. تفسير الطبري (٢/ ٥٠٦).

(تلك أمانيهم):

قال ابن عثيمين: من اغتر بالأماني، وطمع في المنازل العالية بدون عمل لها ففيه شَبه من اليهود، والنصارى. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٦٨).

(من أسلم وجهه لله وهو محسن):

قال ابن تيمية: وهذا المعنى يدور عليه القرآن ؛ فإن الله تعالى أمر أن لا يعبد إلا إياه، وعبادته فعل ما أمر، وترك ما حظر. والأول هو إخلاص الدين والعمل لله. والثاني هو الإحسان، وهو العمل الصالح. ولهذا كان عمر يقول في دعائه: " اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ". وهذا هو الخالص الصواب، كما قال الفضيل بن عياض في قوله: ليبلوكم أيكم أحسن عملا. قال أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل: حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٣).

(منع مساجد الله):

قال القرطبي: وقيل: المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف. تفسير القرطبي (٢/ ٧٧).

(ومن أظلم):

قال ابن عثيمين: المعاصي تختلف قبحاً؛ لقوله تعالى: {ومن أظلم} ؛ و {أظلم} اسم تفضيل؛ واسم التفضيل يقتضي مفضَّلاً، ومفضَّلاً عليه؛ وكما أن المعاصي تختلف، فكذلك الطاعات تختلف: بعضها أفضل من بعض؛ وإذا كانت الأعمال تختلف فالعامل نتيجة لها يختلف؛ فبعض الناس أقوى إيماناً من بعض؛ وبهذا نعرف أن القول الصحيح قول أهل السنة، والجماعة في أن الإيمان يزيد، وينقص، والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً لا في الكسب القلبي، ولا في الكسب البدني: فإن الناس يتفاوتون في اليقين؛ ويتفاوتون في الأعمال الظاهرة من قول أو فعل. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦-٧).

(مساجد الله):

قال ابن عثيمين: ومن فوائد الآية: أن المصلَّيات التي تكون في البيوت، أو الدوائر الحكومية لا يثبت لها هذا الحكم؛ لأنها مصلَّيات خاصة؛ فلا يثبت لها شيء من أحكام المساجد.

ومنها: أنه لا يجوز أن يوضع في المساجد ما يكون سبباً للشرك؛ لأن {مساجد الله} معناها موضع السجود له؛ فإذا وضع فيها ما يكون سبباً للشرك فقد خرجت عن موضوعها، مثل أن نقبر فيها الموتى؛ فهذا محرم؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك.

ومنها: وجوب تطهير المساجد؛ وهذا مأخوذ من إضافتها إلى الله تلك الإضافة القاضية بتشريفها، وتعظيمها؛ ولهذا قال تعالى: {وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركَّع السجود} .

ومنها: أن الناس فيها سواء؛ لأن الله تعالى أضافها إلى نفسه: {مساجد الله} ؛ والناس عباد الله - بالنسبة إلى الله في المسجد سواء -؛ فكل من أتى إلى هذه المساجد لعبادة الله فإنه لا فرق بينه وبين الآخرين. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٩-١٠).

وقال ابن عثيمين: وأخذ بعض العلماء من هذه الآية: تحريم التحجر؛ وهو أن يضع شيئًا في الصف، فيمنع غيره من الصلاة فيه، ويخرج من المسجد؛ قالوا: لأن هذا منع المكان الذي تحجره بالمسجد أن يذكر فيه اسم الله؛ لأن هذا المكان أحق الناس به أسبق الناس إليه؛ وهذا قد منع من هو أحق بالمكان منه أن يذكر فيه اسم الله؛ وهذا مأخذ قوي؛ ولا شك أن التحجر حرام: أن الإنسان يضع شيئًا، ويذهب،

ويبيع، ويشتري، ويذهب إلى بيته يستمتع بأولاده، وأهله؛ وأما إذا كان الإنسان في نفس المسجد فلا حرج أن يضع ما يحجز به المكان بشرط ألا يتخطى الرقاب عند الوصول إليه، أو تصل إليه الصفوف؛ فيبقى في مكانه؛ لأنه حينئذ يكون قد شغل مكانين. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨).

(منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه):

قال ابن عثيمين: جواز منع دخول المساجد لمصلحة؛ لقوله تعالى: {أن يذكر فيها اسمه}؛ ومنع مساجد الله له أسباب؛ فتارة تمنع المساجد من أن تمتهن فرشها، أو أرضها، أو كتبها، أو مصاحفها؛ فتغلَّق الأبواب حماية لها؛ وتارة تغلق أبوابها خوفـًا من الفتنة، كما لو اجتمع فيها قوم لإثارة الفتن، والتشويش على العامة؛ فتغلق منعـًا لهؤلاء من الاجتماع؛ وتارة تغلق لترميمها، وإصلاحها؛ وتارة تغلق خوفـًا من سرقة ما فيها؛ ففي كل هذه الصور إغلاقها مباح، أو مطلوب. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨).

(أن يُذكر فيها اسمه):

قال ابن عثيمين: ذكر الله لا بد أن يكون باسمه، فتقول: لا إله إلا الله؛ سبحان الله؛ سبحان ربك رب العزة عما يصفون؛ سبحان ربي العظيم؛ فالذكر باللسان لا يكون إلا باسم الله؛ أما ذكر القلب فيكون ذكراً لله، وذكراً لأسمائه؛ فقد يتأمل الإنسان في قلبه أسماء الله، ويتدبر فيها، ويكون ذكراً للاسم؛ وقد يتأمل في أفعال الله عز وجل، ومخلوقاته، وأحكامه الشرعية.

أما ذكره بالضمير المفرد فبدعة، وليس بذكر، مثل طريقة الصوفية الذين يقولون: أفضل الذكر أن تقول: «هو» ، «هو» ؛ «هو» ، «هو» ؛ قالوا: لأنك لا تشاهد إلا الله ــ والعياذ بالله؛ فهم يرون أن أكمل حال الإنسان هو الفناء ــ أي يفنى عن مشاهدة ما سوى الله، بحيث إنه ما شاهد إلا الله؛ ويقولون: ليس بلازم أن تقول: «لا إله إلا الله» : تثبت إلهين: واحد منفي، والثاني مثبت! بل قل: «هو» ، «هو» ، «هو» ؛ فهذا لا شك من البدع؛ وليس ذكراً لله عز وجل؛ بل هو من المنكر. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٠).

(أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين):

قال ابن عثيمين: يحتمل ثلاثة معان:

الأول: ما كان ينبغي لهؤلاء أن يدخلوها إلا خائفين فضلاً عن أن يمنعوا عباد الله؛ لأنهم كافرون بالله عز وجل؛ فليس لهم حق أن يدخلوا المساجد إلا خائفين.

الثاني: أن هذا خبر بمعنى النهي؛ يعني: لا تدعوهم يدخلوها - إذا ظهرتم عليهم - إلا خائفين.

الثالث: أنها بشارة من الله عز وجل أن هؤلاء الذين منعوا المساجد - ومنهم المشركون الذين منعوا النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام - ستكون الدولة عليهم، ولا يدخلونها إلا وهم ترجف قلوبهم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦).

(لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم):

قال ابن عثيمين: الذنب إذا كان فيه تعدٍّ على العباد فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين: عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة؛ عقوبة الدنيا ليشفي قلب المظلوم المعتدى عليه؛ ولا شك أن الإنسان إذا اعتدى عليك، ثم رأيت عقوبة الله فيه أنك تفرح بأن الله سبحانه وتعالى اقتص لك منه؛ أما إذا كان في حق الله فإن الله تعالى لا يجمع عليه بين عقوبتين؛ لقوله تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١١).

(فأينما تولوا فثم وجه الله):

قال الطبري: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، إذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسايفة، وفي شدة الخوف....

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في قوم عُمِّيت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها، فصلوا على أنحاء مختلفة، فقال الله عز وجل لهم: لي المشارق والمغارب، فأنى وليتم وجوهكم فهنالك وجهي، وهو قبلتكم - معلمهم بذلك أن صلاتهم ماضية. تفسير الطبري (٢/ ٥٣٠-٥٣١).

(وقالوا اتخذ الله ولدا):

قال ابن عثيمين: {وقالوا اتخذ الله ولداً} أي قالت النصارى، واليهود، والمشركون، اتخذ الله ولداً؛ اليهود قالت: عُزير ابن الله؛ والنصارى قالت: المسيح ابن الله؛ والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٦).

وقال ابن عثيمين: وقد أبطل الله هذه الدعوى الكاذبة من ستة أوجه:

الوجه الأول: في قوله تعالى: {سبحانه} ؛ فإن تنزهه عن النقص يقتضي أن يكون منزهـاً عن اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد يقصد به الإعانة، ودفع الحاجة، أو بقاء العنصر؛ والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك؛ ومنزه أيضـاً عن المماثلة؛ ولو كان له ولد لكان مثيلاً له.

الوجه الثاني: في قوله تعالى: {بل له ما في السموات والأرض} ؛ وعموم ملكه يستلزم استغناءه عن الولد.

الوجه الثالث: في قوله تعالى: {بل له ما في السموات والأرض} ، والمملوك لا يكون ولداً للمالك؛ حتى إنه شرعـاً إذا ملك الإنسان ولده يعتق عليه؛ فالمملوك لا يمكن أن يكون ولداً للمالك؛ فالله خالق؛ وما سواه مخلوق؛ فكيف يكون المخلوق ولداً للخالق!

الوجه الرابع: في قوله تعالى: {كل له قانتون}؛ ووجهه أن العباد كلهم خاضعون ذليلون؛ وهذا يقتضي أنهم مربوبون لله عابدون له؛ والعبد لا يكون ولداً لربه.

الوجه الخامس: في قوله تعالى: {بديع السموات والأرض} ؛ ووجهه أنه سبحانه وتعالى مبدع السموات والأرض؛ فالقادر على خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق إنسانـاً بلا أب، كما قال تعالى: {لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس} .

الوجه السادس: في قوله تعالى: {إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون} ؛ ومن كان هذه قدرته فلا يستحيل عليه أن يوجد ولداً بدون أب.

فبطلت شبهتهم التي يحتجون بها على أن لله ولداً. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٨-١٩).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العمل بالآيات من سورة البقرة ١٠٦-١١٧

١- اعلم أن الله سبحانه لكمال قدرته وملكه ينسخ ما يشاء من الأحكام ويثبت ما يشاء، فكن مسلّما لأوامر الله، معتقدا أنه الحكيم في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، العليم بما يصلح للعباد في كل زمان ومكان، الرحيم بعباده فلا يأمرهم إلا بما هو خير لهم (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير * ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض).

٢- فِرّ إلى الله وحده، فهو وليك ونصيرك الذي يملك لك الضر والنفع، وليس لك ولي ولا نصير غيره (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير).

٣- المسلم المستسلم لأمر الله لا يتعنّت في الأسئلة الدينية، ولا يتكلّف فيها، ولا يسأل عما لا يعنيه، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض، ولا يتتبّع المتشابهات، ولا يكثر الجدال، بل يسأل عن حكم الله ليبادر إلى العمل والامتثال (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل).

٤- لا بد أن تكون حذرا من مكائد أعداء الدين ودسائسهم، فهم اليوم أشدُّ عداوة للمسلمين من ذي قبل، لكن بمكر وخبث ودهاء ونفاق، حتى يغترّ بهم المسلمون، فانجُ بدينك (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق).

٥- قدّم لنفسك ما تجده عند الله هو خيرا وأعظم أجرا، وقدّم لحياتك الحقيقية في الدار الآخرة، ولا تشغلنّك الدنيا العاجلة بزخرفها وزينتها (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله).

٦- الله سبحانه بصير بأعمالك، مطّلع على سرك وعلانيتك، يعلم منك خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فراقبه في كل أحوالك تكن مؤمنا محسنا (إن الله بما تعملون بصير).

٧- لا تغرنّك الأماني فتتكاسل عن العمل الصالح، وتتساهل في المعاصي والمنكرات، فإن الجنة لا تدرك بالأماني، بل بالإيمان والعمل الصالح، وفوق ذلك رحمة أرحم الراحمين (تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

٨- احرص على متابعة نفسك في إخلاصها لله ومتابعتها للسنة، فهما أساس النجاة، واعلم أن القلب يتقلب، وأن النفس أمارة بالسوء، فجاهد قلبك ونفسك حتى يستقيم لك دينك (من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

٩- الله سبحانه حكم عدل، وسيجازي كل إنسان بعمله في الآخرة، فأصلح نفسك، واسأل الله العون على الهداية قائلا: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون).

١٠- احرص على تعظيم المساجد واحترامها، والمشاركة في بنائها، والذهاب إليها بخشوع وطمأنينة، وإحيائها بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والعلم الشرعي، فهي بيوت الله التي بُنيت لإقامة ذكر الله، واحذر كل الحذر من امتهانها بالشرك ووسائله والبدع والمعاصي (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها).

١١- الله سبحانه واسع عليم، محيط بكل شيء، له المشارق والمغارب، فحيثما ذهبت وأينما حللت فتوجه إليه بالعبادة والصلاة (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم).

١٢- أعظم الناس كفرا وأشدهم إثما وأكثرهم جرما من ادّعى أن لله ولدا، لأنه يقدح في ملك الله وعظمته وجبروته وسلطانه وربوبيته ووحدانيته، فيجب عليك بغض من قال ذلك وعدم اتخاذه وليا، مع الحرص على دعوته ونصحه وتذكيره بالتي هي أحسن لعله يتذكر أو يخشى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون).

١٣- الله سبحانه قادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) فاسأله حاجاتك كلها وأنت محسن للظن بربك وبقدرته واستجابته لك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (١١٨-١٢٩) من تفسير السعدي

{وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} .

أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل، {أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً} {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ} الآية، وقالوا: {لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنز أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ} الآيات وقوله: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعًا} الآيات.

فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: {قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب.

ثم ذكر تعالى بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فقال: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور: الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته وهديه ودله، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني، قد دخلا في قوله: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} والثالث دخل في قوله: {بِالْحَقِّ} .

وبيان الأمر الأول وهو - نفس إرساله - أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة.

وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملا لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده، أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله، وأما الثاني: فمن عرف النبي صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت

مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم.

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

قوله: {بَشِيرًا} أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، {نَذِيرًا} لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي. {وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} أي: لست مسئولا عنهم، إنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} .

يخبر تعالى رسوله، أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى، إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: {إِنَّ هُدَى اللهِ} الذي أرسلت به {هُوَ الْهُدَى} .

وأما ما أنتم عليه، فهو الهوى بدليل قوله {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} .

فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

ثم قال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} .

يخبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب، ومنَّ عليهم به منة مطلقة، أنهم {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ} أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم.

فهؤلاء، هم المؤمنون حقا، لا من قال منهم: {نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه} .

ولهذا توعدهم بقوله {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} وقد تقدم تفسير الآية التي بعدها.

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}.

يا ذرية يعقوب اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، وأني فَضَّلتكم على عالَمي زمانكم بكثرة أنبيائكم، وما أُنزل عليهم من الكتب. وخافوا أهوال يوم الحساب إذ لا تغني نفس عن نفس شيئًا، ولا يقبل الله منها فدية تنجيها من العذاب، ولا تنفعها وساطة، ولا أحد ينصرها. [التفسير الميسر].

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} .

يخبر تعالى، عن عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته، الذي كل من طوائف أهل الكتاب تدعيه، بل وكذلك المشركون: أن الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي، كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان من الصادق، الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، ويخلص ذهبه، وكان من أجلّهم في هذا المقام، الخليل عليه السلام.

فأتم ما ابتلاه الله به، وأكمله ووفاه، فشكر الله له ذلك، ولم يزل الله شكورا فقال: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد.

وهذه - لعمر الله - أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.

فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبته أن يكثر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية.

فأجابه الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام فقال: {لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.

ثم ذكر تعالى، نموذجا باقيا دالا على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، حاطا للذنوب والآثام.

وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته فقال: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ} أي: مرجعا يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطرا، {و} جعله {أَمْنًا} يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار.

ولهذا كانوا في الجاهلية - على شركهم - يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده حرمة وتعظيما، وتشريفا وتكريما.

{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفردا مضافا، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج.

فيكون معنى قوله: {مُصَلًّى} أي: معبدا، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له.

{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات والأقذار، ليكون {لِلطَّائِفِينَ} فيه {وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} أي: المصلين، قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد [الحرام] ، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقا، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى.

وأضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه.

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} .

أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدا آمنا، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدبا مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيدا بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملا للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ} أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلا {ثُمَّ أَضْطَرُّهُ} أي: ألجئه وأخرجه مكرها {إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} .

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .

أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يحصل فيه النفع العميم.

ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته، خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح. {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا} أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ليكون أبلغ. يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين كله، والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج، تغليبا عرفيا، فيكون حاصل دعائهما، يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد - مهما كان - لا بد أن يعتريه التقصير، ويحتاج إلى التوبة قالا {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} .

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ} أي: في ذريتنا {رَسُولا مِنْهُمْ} ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة. {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ} لفظا، وحفظا، وتحفيظا {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} معنى.

{وَيُزَكِّيهِمْ} بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها. {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ} أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء. {الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرسول. فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم، الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "أنا دعوة أبي إبراهيم ".

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (١١٨-١٢٩)

الكلمة	المعنى
أو تأتينا آية	أو تأتينا بعلامة نطلبها نحن منك
يتلونه حقّ تِلاوته	يتّبعونه حق الاتّباع
عَدل	فِديَة
ابتَلَى	اختبَر وامتَحَن
بكلمات	بأَوَامِرَ ونواهٍ
عهدي	الإمامةُ في الدِين
مثابة للناس	مرجعا ومجمعا وموضع ثواب لهم
والعاكفين	والملازمين البيت الحرام للتعبد
أضطرّه	أدفعه بشدة
القواعد	الأُسُس
وأرِنا مناسكنا	بصّرنا بمعالم الحج وشرائعه
والحكمة	والسنة
ويزكيهم	ويربيهم على العمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة البقرة ١١٨-١٢٩

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الثامنة عشرة بعد المائة وحتى الآية التاسعة والعشرين بعد المائة.

قبل أن أبدأ بما يتعلق بالوقف والابتداء في هذه الآيات، سأل بعض الأخوة عما ورد في الأسبوع الماضي من الوقف على قول الله تعالى: (وقالوا اتخذ الله ولدا).

فإني في المقطع الصوتي أعني مقطع تصحيح التلاوة أمرت القارئ أن يقف على (ولدا) ثم يبدأ (سبحانه بل له ما في السموات وما في الأرض)، ثم في موضع الوقف والابتداء ذكرت أنه لم ينص على الوقف هنا أحدٌ من أئمة الوقف والابتداء المتقدمين إلا الهبطي، ورجحت هنالك أنه لا وقف.

فأقول: بنيت كلامي الأول في فقرة تصحيح التلاوة على ما أخذته عن أشياخي من الوقف على هذا الموضع، وعلى ما هو موجود في مصحف المدينة، وهو الذي نتعلم عليه نحن هنا في المدينة المنورة من وضع علامة الوقف أولى على قوله (ولدا)، ثم لما راجعت كتب الوقف والابتداء وجدت أن علماء الوقف والابتداء لم ينصوا على وقفٍ هنا خاصةً المتقدمون منهم: ابن الأنباري والداني والنحاس وحتى السجاوندي الذي اعتمدت كثيرٌ من المصاحف وقوفاته.

وقد نبه المحقق إلى أمرٍ مهمٍ وقد يكون هذا الأمر هو سبب وقوع الغلط في بعض المصاحف. وذلك أنه ذكر أن العلامة التي وضعها السجاوندي عند قوله (ولدا) هي علامة (لا) لأنه قال بعدها: وإن جاز الابتداء بقوله (سبحانه) يعني وإن جاز فإنه لا يصح الوقف على (ولدا) قال: ولكن يوصل بقولهم ردا له وتعجيلا للتنزيه. ذكر المحقق في الحاشية: أن في بعض الطبعات أو في بعض النسخ وضعت علامة الوقف (ط) الذي هي علامة الوقف المطلق عند السجاوندي بمعنى أنه وقفٌ معتبرٌ صحيحٌ، فلعل من وضع هنا علامةً من المصاحف التي اعتمدت وقوفات السجاوندي اعتمدت على هذه النسخة، وهذه النسخة أيضًا خطأ كما ذكرت لأنه قال: يوصل بقولهم ردًا لهم وتعجيلا للتنزيه، فلم أجد مناصًا من ترجيح قول الأغلب والعامة من علماء الوقف والابتداء، والله تعالى أعلم.

أبدأ فيما يتعلق بالوقف في هذه الآيات.

في قول الله تعالى (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قولهم انتهى، فهم قالوا (لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) انتهى قولهم، ثم حكى الله عن غيرهم قال: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم).

وهل يصح الوقف على قوله (مثل قولهم)؟

الجواب: نعم، ونص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الله سبحانه وتعالى حكى عن الذين من قبلهم أنهم قالوا مثل قولهم، يعني قالوا: (لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية)، ثم بين الله حال الفريقين فقال: (تشابهت قلوبهم)، وفي قوله (مثل قولهم) وضعت علامة الوقف اللازم في مصحف المدينة حتى لا يتوهم أن قولهم هو: تشابهت قلوبهم، يعني حتى لا يتوهم المستمع أن قول الذين من قبلهم أنهم قالوا تشابهت قلوبهم، وإنما هو حكايةٌ من الله سبحانه وتعالى لحال قلوب الذين لا يعلمون والذين من قبلهم.

وهل يصح الوقف على قوله (تشابهت قلوبهم)؟

الجواب: نعم يصح الوقف، ونص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وبعده (قد بينا)، (قد) لتأكيد الاستئناف، وهي مما يصح الابتداء بها غالبًا.

الآية التي تليها: (إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا) هل يصح الوقف هنا؟

الوقف هنا يختلف باختلاف القراءات فيه، ففي قراءة الجمهور (ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم) فـ (لا) هنا نافيةٌ فتأتي تُسألُ مرفوعةً، وبناءً على هذه القراءة يحتمل المعنى أحد أمرين:

إما أنت لست مؤاخذًا عمن لم يؤمن، يعني أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا للناس مبينًا لهم طريق الهدى ولست مؤاخذًا عمن لم يؤمن، فالواو بناءً على هذا واوٌ استئنافيةٌ ابتدائيةٌ فيصح الوقف على قوله: (ونذيرا).

المعنى الثاني: أنك غير مسؤولٍ عن هدايتهم فكأنه حال من قوله (أرسلناك بالحق) كأن الله قال: أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وغير مسؤولٍ عن أصحاب الجحيم، وبناءً على هذا لا وقف، لكن الوجه الأول أقرب على هذه القراءة.

والقراءة الثانية: وهي قراءة نافع ويعقوب بالنهي (ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم) يعني لا تسألْ عن حالهم، وبناءً عليها يصح الوقف، وهو الذي نص عليه الهبطي وغيره، لأنها جملةٌ طلبيةٌ بعد جملةٍ خبريةٍ

أخبر الله فقال له (إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا) ثم نهاه فقال (ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم) فيصح الفصل بينهما، وهذا التفصيل الذي ذكرته عليه عامة علماء الوقف والابتداء، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر عن حال اليهود والنصارى انتهى، أنهم لن يرضون عنك حتى تصير مثلهم وتتبع ديانتهم، ثم أمره بأن يجيبهم فيقول (إن هدى الله هو الهدى) وانتهت الجملة هنا فصح الوقف.

وهل يصح الوقف على قوله (إن هدى الله هو الهدى)؟

الجواب: نعم يصح الوقف، وعليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجواب الذي أُمر به النبي صلى الله عليه وسلم انتهى (قل إن هدى الله هو الهدى). ثم بين الله له سبحانه وتعالى حالاً ابتدأها بالشرط (ولئن اتبعت أهوائهم) اللام هذه دالةٌ على القسم ثم (إن) شرطية، فالقسم والشرط اجتمعا في هذه الجملة فصح الابتداء بها، وصح الوقف على قوله (هو الهدى).

وهل يصح الوقف على قوله (ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن (إن) شرطية (ولئن اتبعت أهواءهم) ما جوابها؟ جوابها (ما لك من الله من ولي ولا نصيرٍ) يعني إذا اتبعت أهواءهم ما النتيجة؟ (مالك من الله من ولي ولا نصير) فلا يصح الوقف على قوله (من العلم).

الآية التي تليها: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح الوقف، لماذا؟ لأن الخبر لم يأت بعد، خبر ماذا؟ خبر المبتدأ في قول الله تعالى (الذين آتيناهم) هذا مبتدأ أين خبره؟ (أولئك يؤمنون به).

وقد نص ابن الأنباري والنحاس على أنه لا وقف على قوله (يتلونه حق تلاوته)، واعتبره الأنباري وقفًا قبيحًا؛ لأن الخبر لم يأت بعد، ونبه النحاس رحمه الله إلى أن المعنى ينقلب فيصير المعنى أن أهل الكتاب الذين أوتوا الكتاب يتلونه حق تلاوته، فصار كأنه ثناءٌ عليهم جميعًا، والحقيقة أنه ثناءٌ على جماعةٍ منهم وهم الذين يتبعون الكتاب حق الاتباع أن أولئك هم الذين يؤمنون به.

طيب، هل يصح الوقف على قوله (أولئك يؤمنون به)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، والجملة التي بعده جملةٌ شرطيةٌ (ومن يكفر به) جملةٌ شرطيةٌ فصح الابتداء بها، وصح الوقف قبلها.

الآية التي تليها: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (وأني فضلتكم على العالمين) معطوفةٌ على (نعمتي التي أنعمت عليكم) بمعنى: اذكروا نعمتي واذكروا أني فضلتكم على العالمين، وقد نبهت سابقًا إلى (أن) المفتوحة لا يصح الوقف قبلها عادةً، ولا يصح الابتداء بها، والله أعلم.

الآية التي تليها: (واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا) هذه جملة (ولا يقبل منها عدلٌ) جملةٌ ثانية (ولا تنفعها شفاعةٌ) جملةٌ ثالثةٌ (ولا هم ينصرون) جملةٌ رابعةٌ معطوفات على بعضها، وقد سبقت شبيهتها في أسبوعٍ سابقٍ وقد ذكرت هناك أن بعض العلماء نص على الوقف في بعض هذه الجمل (واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا) نص على الوقف هنا الأنصاري والأشموني، والأمر فيه واسعٌ، والوصل أولى.

الآية التي تليها: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء ووجهه أن الله سبحانه وتعالى أخبر في جملةٍ شرطيةٍ أنه ابتلى إبراهيم بكلماتٍ فأتمها إبراهيم، وانتهى الخبر، ثم بدأ فقال له (إني جاعلك للناس إماما) فصح الوقف وصح الابتداء بقوله (قال إني جاعلك للناس إماما).

وهل يصح الوقف على قوله (إماما)؟

نعم يصح، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وهذا من باب القول المتبادل بين طرفين، وقد نبهت سابقًا أنه يصح الوقف في نهاية قول كل قائل، فالله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم (إني جاعلك للناس إماما) انتهى قوله فيصح الوقف، فأجاب إبراهيم (قال ومن ذريتي) يعني واجعل من ذريتي أئمةً وانتهى قوله، فأجابه الله وقال (لا ينال عهدي الظالمين) فصح الوقف في جميع هذه المواضع، والله أعلم.

الآية التي تليها: (وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا) هل يصح الوقف هنا؟

الوقف هنا مبنيٌ على اختلاف القراءات، فعلى قراءة الجمهور (واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى) بالأمر، فهو أمرٌ بعد خبر، أخبر الله أنه جعل البيت مثابةً للناس وجعله أمنًا، ثم أمر بأمرٍ فقال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، ثم أخبر فقال (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) فهذا أمرٌ بين خبرين، فصح الوقف قبل

الأمر وبعده، يعني يصح الوقف على قوله (وأمنا) ويصح الوقف على (مصلى) بناءً على هذه القراءة كما نص جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء كالداني والنحاس والسجاوندي والأنصاري وغيرهم.

وعلى قراءة نافع وابن عامر (واتخَذوا من مقام إبراهيم مصلى) على الخبر فصارت جملةً خبريةً أيضًا، وعلى هذه القراءة لا وقف على قوله (وأمنا) لأنه خبرٌ معطوفٌ على خبرٍ في جملتين معطوفتين، والله أعلم.

في الآية التي تليها: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح الوقف، لأن بعده (وارزق أهله من الثمرات) من تتمة الدعاء، فهو معطوفٌ على (اجعل) والعطف هنا وثيق الصلة، فقال: رب اجعل ورب ارزق أهله من الثمرات.

وهل يصح الوقف على قوله (وارزق أهله من الثمرات)؟

الجواب: لا يصح الوقف، لأن جملة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من تتمة قول إبراهيم، وهي بدل بعضٍ من كل، لأنه لما قال: (وارزق أهله من الثمرات) يعني كل أهله، فقيّد منهم فقال (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق من آمن منهم، فكان دعاء إبراهيم عليه السلام أن يرزق الله من آمن من أهل مكة المكرمة بالله واليوم الآخر، فانتهى كلامه عند قوله (واليوم الآخر).

وهل يصح الوقف على قوله (واليوم الآخر)؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وانتهى دعاء إبراهيم عليه السلام عند هذا، فقال الله سبحانه وتعالى بعدها له (قال ومن كفر فأمتعه قليلاً) فيصح الابتداء بقول الله سبحانه وتعالى.

وهل يصح الوقف على قوله (ثم أضطره إلى عذاب النار)؟

نعم يصح الوقف، نص عليه السجاوندي والأنصاري والهبطي. بعده (وبئس المصير)، (نعم) و (بئس) يُبدأ بهما غالبًا، يصح الابتداء بهما غالبًا، لأنها تنبيهٌ على المدح والذم، والله أعلم.

الآية التي تليها: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف الابتداء، ووجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن إبراهيم وإسماعيل يرفعان قواعد البيت، ثم أخبر عن دعائهما بالقبول، فهو على تقدير: يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، فصح الوقف هنا.

وهل يصح الوقف على قوله (ربنا تقبل منا)؟

نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، لأن بعدها (إن) المكسورة وهي التي يصح الابتداء بها غالبًا لكن ارتباطها بالدعاء ارتباطٌ وثيقٌ (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) السميع هنا بمعنى سمع الاستجابة، فأنت الذي تستجيب دعاءنا، فلذلك نقول الوصل أولى، والله أعلم.

في الآية التي تليها: (ربنا واجعلنا مسلمين لك) هل يصح الوقف هنا؟

نص عليه ابن الأنباري، وحكاه عنه الداني وغيره، والأوجه ألا يوقف، لأن قوله: (ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك) معطوفٌ على تقدير: واجعل من ذريتنا أمةً مسلمةً لك، فالوصل هو الأفضل والأصح هنا. والله أعلم.

وهل يصح الوقف على (ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك)؟

نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء وهو وجيهٌ، لأن بعده (وأرنا مناسكنا) دعاءٌ آخر لا ارتباط له بالدعاء الأول، ولا تقدير فيه مثل الجملة الأولى، جملة (ومن ذريتنا) فيها تقدير: واجعل من ذريتنا، فلذلك قلنا لا يصح الوقف، لكن جملة (وأرنا مناسكنا) لا تقدير فيه فصح الوقف على قوله (مسلمةً لك).

وهل يصح الوقف على قوله (وأرنا مناسكنا)؟

الجواب: نعم يصح، نص عليه الهبطي والأشموني والأنصاري لأنه دعاءٌ بعد دعاءٍ، وجملة (وتب علينا) لا ارتباط وثيق بينها وبين ما قبلها ولا تقدير فيها، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على (وتب علينا)؟

نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، لكن ارتباطها بـ (إنك أنت التواب الرحيم) ارتباطٌ وثيقٌ جدًا، تب إنك أنت التواب، فهو من دعاء الله باسمه سبحانه وتعالى المتضمن للتوبة على عباده والرحمة بهم، فالوصل أولى، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لأن جملة (يتلو عليهم آياتك) من صفة الرسول، يعني ابعث فيهم رسولاً يتلو، فهي من تتمة صفته، يتلو ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، هنا الوقف الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء (ويزكيهم)، ثم قال (إنك أنت العزيز الحكيم) جملةٌ مبتدأةٌ بـ (إنّ) فصح الوقف قبلها، والله أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله بركاته.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لطائف سورة البقرة ١١٨-١٢٩

مناسبة آية: (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم):

قال الألوسي: والآية اعتراض لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كان يهتم ويضيق صدره لإصرارهم على الكفر، والمراد إِنَّا أَرْسَلْناكَ لأن تبشر من أطاع وتنذر من عصى لا لتجبر على الإيمان فما عليك إن أصروا أو كابروا؟ روح المعاني (١/ ٣٦٨).

الفرق بين آيتيْ: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا...):

قال السيوطي: قوله تعالى: {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل} وقال بعد ذلك: {ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة} ففيه تقديم العدل وتأخيره والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى، وذكر في حكمته أن الضمير في "منها" راجع في الأولى إلى النفس الأولى وفي الثانية إلى النفس الثانية فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل وقدمت الشفاعة لأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها وبين في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع منها وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده ولذلك قال في الأولى: {ولا يقبل منها شفاعة} وفي الثانية: "ولا تنفعها شفاعة" لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تنفع المشفوع له. الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٩١-٣٩٢).

مناسبة ذكر إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام:

قال ابن القيم: ثم ذكر البيت الحرام وتعظيمه وحرمته وذكر بانيه وأثنى عليه وأوجب اتباع ملته فقرر في النفوس بذلك توجهها إلى البيت بالتعظيم والإجلال والمحبة وإلى بانيه بالاتباع والموالاة والموافقة وأخبر تعالى أنه جعل البيت مثابة للناس يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا فالقلوب عاكفة على محبته دائمة الاشتياق إليه متوجهة إليه حيث كانت ثم أخبر أنه أمر إبراهيم وإسماعيل بتطهيره للطائفين

والقائمين والمصلين وأضافه إليه بقوله: {أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ} وهذه الإضافة هي التي أسكنت في القلوب من محبته والشوق إليه ما أسكنت وهي التي أقبلت بأفئدة العالم إليه فلما استقرت هذه الأمور في قلوب أهل الإيمان وذكروا بها فكأنها نادتهم أن استقبلوه في الصلاة ولكن توقفت على ورود الأمر من رب البيت.
بدائع الفوائد (٤/ ١٥٨).

وقال البقاعي: ولما كان من إمامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله ببنائه قال إثر ذلك ناعياً على أهل الكتاب مخالفته وترك دينه وموطئاً لأمر القبلة: {وإذ جعلنا البيت} أي الذي بناه إبراهيم بأم القرى {مثابة للناس} أي مرجعاً يرجعون إليه بكلياتهم. كلما تفرقوا عنه اشتاقوا إليه هم أو غيرهم آية على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ١٥٢).

شرف آل إبراهيم عليه السلام (ومن ذريتي):

قال ابن القيم: ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على الإطلاق خصهم الله سبحانه وتعالى منه بخصائص:

منها أنه جعل فيه النبوة والكتاب فلم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبي إلا من أهل بيته.

ومنها أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

ومنها أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين إبراهيم ومحمدا صلى الله وسلم عليهما. قال تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا} وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وهذا من خواص البيت.

ومنها أنه سبحانه جعل صاحب هذا البيت إماما للعالمين كما قال تعالى {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما}.

ومنها أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياما للناس وقبلة لهم وحجا فكان ظهور هذا البيت من أهل هذا البيت الأكرمين.

ومنها أنه أخرج منهم الأمتين المعظمتين اللتين لم تخرجا من أهل بيت غيرهم وهم أمة موسى وأمة محمد صلى الله وسلم عليهما وأمة محمد صلى الله عليه وسلم تمام سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله.

ومنها أن الله سبحانه أبقى عليهم لسان صدق وثناء حسنا في العالم فلا يذكرون إلا بالثناء عليهم والصلاة والسلام عليهم قال تعالى: {وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين}.

ومنها جعل أهل هذا البيت فرقانا بين الناس فالسعداء أتباعهم ومحبوهم ومن تولاهم، والأشقياء من أبغضهم وأعرض عنهم. جلاء الأفهام (ص: ٣٠٩-٣١٠).

سبب نزول: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى):

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)، فنزلت هذه الآية. صحيح البخاري (١/ ٨٩).

(والركع السجود):

قال الألوسي: وخص الركوع والسجود بالذكر من جميع أحوال المصلي لأنهما أقرب أحواله إليه تعالى وهما الركنان الأعظمان وكثيرا ما يكنى عن الصلاة بهما ولذا ترك العطف بينهما ولم يعبر بالمصلين مع اختصاره إيذانا بأن المعتبر صلاة ذات ركوع وسجود لا صلاة اليهود. وقدم الركوع لتقدمه في الزمان... وكان آخرهما على فعول لأجل كونه فاصلة والفواصل قبل وبعد آخرها حرف قبله حرف مدّ ولين. روح المعاني (١/ ٣٧٩).

(رب اجعل هذا بلدا آمنا)، و (رب اجعل هذا البلد آمنا):

قال ابن جزي: فإن قيل: لم قال في البقرة بلدا آمنا، فعرّف في إبراهيم ونكّر في البقرة؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: القواعد من البيت، وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية إبراهيم، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيلي: وهو أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم، لأنها مكية فلذلك قال فيه: البلد بلام التعريف التي للحضور: كقولك: هذا الرجل، وهو حاضر، بخلاف آية البقرة، فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها، فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة وهو أنه قال: هذا بلدا آمنا قبل أن يكون بلدا، فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدا آمنا، وقال: هذا البلد بعد ما صار بلدا. وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكي لفظه فيها على وجهين. التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٧-٩٨).

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل):

قال الألوسي: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ عطف على وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ وإذ للمضي وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية استحضارا لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظموه. روح المعاني (١/ ٣٨١).

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البقرة ١١٨-١٢٩

(قد بينا الآيات لقوم يوقنون):

قال ابن عثيمين: لا ينتفع بالآيات إلا الموقنون؛ لقوله تعالى: {قد بينا الآيات لقوم يوقنون} ؛ وأما غير الموقنين فلا تتبين لهم الآيات لما في قلوبهم من الريب والشك.

ومنها: أن الموقن قد يتبين له من الآيات ما لم يتبين لغيره؛ ويؤيده قوله تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم}.

ومنها: أن الآيات تنقسم إلى قسمين: آيات شرعية، وآيات كونية؛ فالآيات الشرعية: ما جاءت به الرسل من الوحي؛ والقسم الثاني آيات كونية: وهي مخلوقات الله الدالة عليه، وعلى ما تقتضيه أسماؤه، وصفاته، كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، وغيرها: (وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد).

ومنها: زيادة العلم باليقين؛ لأن من آيات الله هذا الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فكلما ازداد يقينك تبين لك من آيات الله ما لم يتبين لغيرك، فيزداد علمك؛ فباليقين يزداد العلم؛ قال تعالى: {ويزداد الذين آمنوا إيماناً} ؛ فكلما كان الإنسان أقوى يقيناً كان أكثر علماً؛ وكلما ازداد علمه ازداد يقينه؛ فهما متلازمان. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٥)

(بشيرا ونذيرا):

قال ابن عثيمين: رسالة النبي صلى الله عليه وسلم متضمنة لأمر، ونهي، وتبشير، وإنذار؛ لقوله تعالى: {بشيراً ونذيراً} ؛ والحكمة من ذلك ظاهرة؛ وذلك لأن الإنسان قد يهون عليه فعل الأوامر، ويشق عليه ترك المنهيات؛ أو بالعكس؛ فلو كانت الشريعة كلها أوامر ما تبين الابتلاء في كفّ الإنسان نفسه عن المحارم، ولو كانت كلها نواهي ما تبين ابتلاء الإنسان بحمل نفسه على الأوامر؛ فكان الابتلاء بالأمر والنهي غاية الحكمة؛ فالشيخ الكبير يهون عليه ترك الزنى؛ ولذلك كانت عقوبته على الزنى أشد من عقوبة الشاب؛ المهم أن الابتلاء لا يتم إلا بتنويع التكليف؛ فمثلاً الصلاة تكليف بدني؛ والزكاة بذل للمحبوب؛ والصيام ترك محبوب؛ والحج تكليف بدني، ومالي. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٨).

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم):

قال ابن جرير: وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديا نصرانيا، وذلك مما لا يكون منك أبدا، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل. تفسير الطبري (٢/ ٥٦٢-٥٦٣).

(ولئن اتبعت أهواءهم...):

قال ابن تيمية: متابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك. ومن هذا أيضا قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}. فانظر كيف قال في الخبر: (مِلَّتَهُمْ) ، وقال في النهي (أَهْوَاءَهُمْ) ، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه، أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٩٩).

وقال ابن القيم: متبع الهوى ليس أهلا أن يطاع ولا يكون إماما ولا متبوعا فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة ونهى عن طاعته أما عزله فإن الله سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} أي لا ينال عهدي بالإمامة ظالما وكل من اتبع هواه فهو ظالم كما قال الله تعالى {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} وأما النهي عن طاعته فلقوله تعالى {وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٧٥).

(يتلونه حق تلاوته):

عن ابن عباس: (يتلونه حق تلاوته) يتبعونه حق اتباعه. وقال أيضا: يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه. وقال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله. تفسير الطبري (٢/ ٥٦٦-٥٦٧).

قال ابن القيم: المتابعة هي التلاوة التي أثنى الله على أهلها في قوله تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله) وفي قوله: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به) والمعنى: يتّبعون كتاب الله حق اتباعه، وقال تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة)، وقال: (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن)، فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع، يقال: اتل أثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه، ومنه قوله تعالى: (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها) أي: تبعها في الطلوع بعد غيبتها... والمقصود التلاوة الحقيقية وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقا بخبره وائتمارا بأمره وانتهاء بنهيه وائتماما به حيث ما قادك انقدت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقا. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٢).

(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات):

قال ابن عثيمين: {بكلمات} ؛ هذه الكلمات ــ التي هي محل الابتلاء، والاختبار ــ أطلقها الله سبحانه وتعالى؛ فهي كلمات كونية؛ وشرعية؛ أو جامعة بينهما؛ واختلف المفسرون في هذه الكلمات؛ وأصح الأقوال فيها أن كل ما أمره به شرعـًا، أو قضاه عليه قدراً، فهو كلمات؛ فمن ذلك أنه ابتُلي بالأمر بذبح ابنه، فامتثل؛ لكن الله سبحانه وتعالى رفع ذلك عنه حين استسلم لربه؛ وهذا من الكلمات الشرعية؛ وهذا امتحان من أعظم الامتحانات؛ ومن ذلك أن الله امتحنه بأن أوقدت له النار، وأُلقي فيها؛ وهذا من

الكلمات الكونية؛ وصبر، واحتسب؛ فأنجاه الله منها، وقال تعالى: {يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم} ؛ وكل ما قدره الله عليه مما يحتاج إلى صبر، ومصابرة، أو أمره به فهو داخل في قوله تعالى: {بكلمات} ... تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٤١).

(قال ومن ذريتي):

قال ابن جرير: وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: "ومن ذريتي"، مسألة منه ربه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ)، فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه، بقوله: "لا ينال عهدي الظالمين". والظاهر من التنزيل يدل على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة. لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: "ومن ذريتي"، في إثر قول الله جل ثناؤه: "إني جاعلك للناس إماما". فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته، لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه، لكان مبينا. ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى، من تكريره وإعادته، فقال: "ومن ذريتي"، بمعنى: ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الإمامة للناس. تفسير الطبري (٢/ ١٩).

وقال ابن عاشور: وإنما قال إبراهيم: ومن ذريتي ولم يقل وذريتي لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم فلم يسأل ما هو مستحيل عادة لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء. التحرير والتنوير (١/ ٧٠٥).

قال ابن عثيمين: ينبغي للإنسان أن يدعو لذريته بالإمامة، والصلاح؛ لقوله تعالى: {قال ومن ذريتي} ؛ وإبراهيم طلب أن يكون من ذريته أئمة، وطلب أن يكون من ذريته من يقيم الصلاة: {رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٤٣).

وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم في آية أخرى: {واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام} ؛ فالذرية صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦٤).

فضيلة إبراهيم عليه السلام:

قال ابن القيم: وهو الذي بنى بيت الله وأذن في الناس بحجه فكل من حجه واعتمره حصل لإبراهيم من مزيد ثواب الله وكرامته بعدد الحجاج والمعتمرين قال تعالى {وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى تحقيقا للاقتداء به وإحياء آثاره صلى الله عليه وسلم على نبينا عليه وسلم

ومناقب هذا الإمام الأعظم والنبي الأكرم أجل من أن يحيط بها كتاب، وإن مد الله في العمر أفردنا كتابا في ذلك يكون قطرة في بحر فضائله أو أقل جعلنا الله ممن ائتم به ولا جعلنا ممن عدل عن ملته بمنه وكرمه... عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد اقرئ امتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. جلاء الأفهام (ص: ٢٧٦).

(قال لا ينال عهدي الظالمين):

قال ابن جرير: هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماما يقتدي به أهل الخير. وهو من الله جل ثناؤه جواب لما يتوهم في مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله. فأخبر أنه فاعل ذلك، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم، فإنه غير مُصَيِّره كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده، بالتكرمة بالإمامة. لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته، دون أعدائه والكافرين به. تفسير الطبري (٢/ ٢٠)

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى):

عن قتادة: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"، إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها. ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى اخلولق وانمحى. تفسير الطبري (٢/ ٣٥).

قال ابن عثيمين: وجوب اتخاذ المصلى من مقام إبراهيم؛ لقوله تعالى: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى} ؛ لأن الأصل في الأمر الوجوب؛ فإن قلنا بأن المراد بالمقام جميع مناسك الحج فلا إشكال؛ لأن فيه ما لا يتم الحج إلا به كالوقوف بعرفة، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة؛ ومنه ما يصح الحج بدونه مع وجوبه كالمبيت بمزدلفة، ورمي الجمرات؛ ومنه ما يصح الحج بدونه وليس بواجب، كصلاة الركعتين بعد الطواف على المشهور؛ وإذا قلنا: المراد به الركعتان بعد الطواف صار فيه إشكال: فإن جمهور العلماء على أنهما سنة؛ وذهب الإمام مالك إلى أنهما واجبتان؛ والذي ينبغي

للإنسان: أن لا يدعهما؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الآية بهما، حيث تقدم إلى مقام إبراهيم بعد الطواف، فقرأ: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٤٨).

(أن طهرا بيتي):

قال ابن عثيمين: وجوب تطهير البيت من الأرجاس الحسية، والمعنوية؛ لقوله تعالى: {وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا} ؛ والعهد هو الوصية بالأمر الهام؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}؛ ولهذا لا يجوز للمشركين وغيرهم من أهل الكفر أن يدخلوا أميال الحرم؛ لأنهم إذا دخلوها قربوا من المسجد الحرام والله تعالى يقول: {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} .

ومن فوائد الآية: اشتراط طهارة مكان الطواف؛ لقوله تعالى: {للطائفين} . ومنها: اشتراط طهارة لباس الطائفين من باب أولى، وأنه لا يجوز أن يطوف بثوب نجس؛ لأن ملابسة الإنسان للثياب ألصق من ملابسته للمكان. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٤٩).

(وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر):

قال ابن تيمية: وأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا ثم يعاقبه في الآخرة كما قال عن الخليل: {وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} - قال الله -: {ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} . والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته، لم يبحه لمن يستعين به على معصيته؛ بل هؤلاء وإن أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فإنه يعاقبهم كما قال: {ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} . مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٣-٥٤٤).

شرف مكة وخصائصها:

قال ابن القيم: ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام، فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه صلى الله عليه وسلم، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين كاشفي رءوسهم، متجردين عن لباس أهل الدنيا، وجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب، ماحيا للأوزار، حاطا للخطايا... ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة... فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد؛ لما جعل عرصاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: {وهذا البلد الأمين}، وقال تعالى: (لا أقسم بهذا البلد)، وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة... وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك كان شد الرحال إليه فرضا... بل ومن خصائصها كونها قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها. ومن خواصها أيضا أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض. ومن خواصها أيضا أن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض...

وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد... ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس، أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرا، بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا.

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها ... حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

فلله كم لها من قتيل وسليب وجريح، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح، ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد، والأهل والأحباب والأوطان، مقدما بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطف

والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه -لو ظهر سلطان المحبة في قلبه- أطيب من نعم المتحلية وترفهم ولذاتهم...

وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه وتعالى بقوله: {وطهر بيتي} فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته. زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧-٥٢).

(فأمتّعه قليلا):

قال ابن عثيمين: القلة هنا تتناول الزمان، وتتناول عين الممتَّع به؛ فالزمن قصير: مهما طال بالإنسان العمر فهو قليل؛ قال الله عزّ وجلّ: {كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار}؛ كذلك عين الممتع به قليل؛ كل ما يحصل للإنسان من هذه الدنيا من اللذة، والمتاع قليل بالنسبة للآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لموضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها»؛ ومع قلته فهو مشوب بكدر سابق، ولاحق، كما قال الشاعر:

(فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نُسَرُّ) ويقول الآخر:

(لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم)

وإذا شئت أن تعرف حقيقة الأمر فقس ما بقي من حياتك بما مضى؛ الآن كلنا يعرف أننا خلفنا أياماً كثيرة؛ فما خلفنا بالأمس كأنه لا شيء؛ نحن الآن في الوقت الذي نحن فيه؛ وأما ما مضى فكأنه لم يكن؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم واصفاً الدنيا: «إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها»: إنسان اطمأن قليلاً تحت ظل شجرة، ثم ارتحل! هذه الدنيا كلها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٥٣).

(ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم):

عن وهيب بن الورد [من أئمة السلف] قال: قرأ (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا)... ثم يبكي. فقال: يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يقبل منك. تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٣).

قال البقاعي: {ربنا تقبل منا} أي: عمَلَنا بفضلك ولا ترده علينا، إشعاراً بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وإن اجتهد في جنب عظمة مولاه. ولما تضمن سؤال القبول المشعر بخوف الرد علم الناقد البصير بالتقصير علّله بقوله: {إنك} وأكده بقوله: {أنت السميع العليم} أي فإن كنت سمعت أو علمت منا حسناً فزده حسناً، وإن كنت سمعت أو علمت غير ذلك من نحو قول ناشىء عن اختلاج في النفس بما سببه كلال أو إعياء فاغفره. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ١٥٨-١٥٩).

(ربنا واجعلنا مسلمين لك):

قال ابن القيم: {إن الدين عند الله الإسلام} يعني الذي جاء به محمد، وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.

وقد دل قوله {إن الدين عند الله الإسلام} على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعه من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح {فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين} وقال إبراهيم وإسماعيل {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك - ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} وقال يعقوب لبنيه عند الموت {ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك}- إلى قوله - {ونحن له مسلمون} وقال موسى لقومه {إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين} وقال تعالى {فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون} وقالت ملكة سبأ {رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين}. فالإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد دينا سواه. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٤١).

قال ابن عثيمين: الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله؛ وإلا هلك؛ لقوله تعالى: {واجعلنا مسلمين} ؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان...

إن قال قائل: كيف يستقيم أن يسأل إبراهيم، وإسماعيل ربهما أن يجعلهما مسلمين له مع أنهما كانا كذلك؟ فالجواب: أن المراد بذلك تثبيتهما على الإسلام؛ لأن الإنسان من حيث هو إنسان لا يأمن العاقبة؛ أو يقال: إن المراد تقوية إسلامهما بالإخلاص لله عزّ وجلّ، والانقياد لطاعته؛ أو يقال: إنهما قالا

ذلك توطئة لما بعدها في قولهما: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦٣-٦٥).

دعاء الله بأسمائه الحسنى:

قال ابن القيم: الداعي يشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه أو يفتتح دعاءه به وتقدم أن هذا من قوله {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}

قال سليمان عليه السلام في دعائه ربه {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب}.

وقال الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام في دعائهما {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم}.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ربِّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور) مائة مرة في مجلسه، إسناده صحيح.

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وقد سألته إن وافقت ليلة القدر ما أدعو به؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني). سنده صحيح.

وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه وقد سأله أن يعلّمه دعاء يدعو به في صلاته، قال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم). جلاء الأفهام (ص: ٣١٨-٣١٩).

تأثير الدعاء:

قال ابن عثيمين: أن للدعاء أثراً في حصول المقصود سواء كان دفع مكروه، أو جلب محبوب؛ لأنه لولا أن للدعاء أثراً لكان الدعاء عبثاً؛ وقول من يقول: «لا حاجة للدعاء: إن كان الله كتب هذا فهو حاصل، دعوت أو لم أدعُ؛ وإن كان الله لم يكتبه فلن يحصل، دعوت أو لم أدعُ» ، فإن جوابنا عن هذا أن نقول: إن الله قد كتبه بناءً على دعائك؛ فإذا لم تدع لم يحصل، كما أنه لو قال: «لن آكل الطعام؛ فإن أراد الله لي الحياة فسوف أحيا ــ ولو لم آكل؛ وإن كان يريد أن أموت فسوف أموت ــ ولو ملأت بطني إلى

حلقومي» ؛ نقول: لكن الأكل سبب للحياة؛ فإنكار أن يكون الدعاء سبباً إنكار أمور بديهيات؛ لأننا نعلم علم اليقين فيما أُخبرنا به، وفيما شاهدناه، وفيما جرى علينا أن الله سبحانه وتعالى يقدِّر الأشياء بالدعاء؛ فالله تعالى قص علينا في القرآن قصصاً كثيرة فيها إجابة للدعاء؛ كذلك يجري للإنسان نفسه أشياء يدعو الله بها فيشاهدها رأي العين أنها جاءت نتيجة لدعائه؛ فإذاً الشرع، والواقع كلاهما يبطل دعوى من أنكر تأثير الدعاء. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٥٤-٥٥).

(ويعلّمهم الكتاب والحكمة):

قال ابن تيمية: قال غير واحد من العلماء: منهم يحيى بن أبي كثير وقتادة والشافعي وغيرهم (الحكمة): هي السنة لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة. مجموع الفتاوى (١/ ٦).

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم... إنك أنت العزيز الحكيم):

قال ابن عثيمين: مناسبة العزة، والحكمة لبعث الرسول؛ وهي ظاهرة جداً؛ لأن ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزة: قال الله تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} ؛ للمؤمنين عرباً كانوا، أو عجماً؛ من كان مؤمناً بالله عزّ وجلّ قائماً بأمر الله فإن له العزة؛ ومن لم يكن كذلك فاته من العزة بقدر ما أخل به من الإيمان، والعمل الصالح؛ ولهذا يجب أن تكون رابطة الإيمان أقوى الروابط بين المؤمنين؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك عزة واجتماع على الخير برابطة أقوى من هذه الرابطة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ١١٨-١٢٩

١- احرص على أن تكون من الموقنين، وذلك بتعزيز الإيمان في نفسك، والاستسلام التام لأمر الله وقدره، حتى تتبين لك آيات الله الكونية والشرعية، فتبصرها بقلب المؤمن الحي، فتزداد بها إيمانا وعلما ويقينا (قد بينا الآيات لقوم يوقنون).

٢- شريعة الله جاءت واضحة شاملة منوعة، ففيها البشارة والنذارة، والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، حتى تكون في حياتك كلها جامعا بين الخوف والرجاء، فلا تعش بالرجاء وحده فتهمل العمل، ولا تعش بالخوف وحده فتقنَط من رحمة ربك (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا).

٣- احذر من السعي في إرضاء أعداء الدين من اليهود والنصارى وغيرهم باتّباع أهوائهم، فإنهم لن يرضوا منك بالتنازل عن شيء من دينك أو أخلاقك، ولن يرضيهم منك إلا الانسلاخ التامّ من الإسلام، وعاقبة ذلك أن يتخلى الله سبحانه عن ولايتك ونصرتك، ويخلّي بينك وبين نفسك فتهلك، فاسعَ في تحقيق ما يرضي الله ولو سخط الناس (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير).

٤- اتّبع كتاب الله حق الاتّباع، بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، حتى تحقق الإيمان بالقرآن على الوجه الأكمل (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به).

٥- أهوال يوم القيامة وأحواله عظيمة، فلا يُغني أحد عنك شيئا، ولا يُقبل منك الافتداء من عذاب الله ولو بملء الدنيا ذهبا، ولن ينجيك إلا عملك الصالح الذي تقدّمه الآن، فازدد من الأعمال الصالحة ما دمت في الدنيا حتى تفوز برحمة الله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون).

٦- احرص على الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في الدعاء لذريتك بالصلاح والاستقامة والإمامة في الدين مع إصلاح نفسك بالاستقامة على الدين، وقل دوما: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)، (وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي).

٧- جعل الله بيته الحرام مكانا آمنا للمؤمنين، يتزودون فيه بالحسنات، فيحجون ويعتمرون ويتعبدون، ويعودون إليه بين الفينة والأخرى، ويشتاقون إليه دوما، ولا تنقضي حاجتهم منه، فاجعل لنفسك نصيبا من ذلك، وتابع بين العمرة والحج ما استطعت إلى ذلك سبيلا (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا).

٨- احرص على تطهير بيوت الله والحفاظ على نظافتها حسًا ومعنًى، فطهّرها من الشرك والبدع والمعاصي، ومن النجاسات والقذارات والأوساخ، وأخصها بيت الله الحرام فكن عند زيارته للحج والعمرة محافظا على نظافته وطهارته، متطهرا في جسدك وملابسك (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود).

٩- جعل الله مكة بلدا آمنا، فاحرص عند زيارتها أن تحافظ على أمنها، فلا تروّع فيها إنسانا ولا حيوانا، ولا تقطع فيها شجرة، ولا تلتقط مالا ساقطا (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا).

١٠- رزق الله في هذه الدنيا يعمّ المؤمن والكافر، وهو حلال لك ما دمت تؤدي شكره بالإيمان بالله والقيام بعبادته، وأما الكافر فإنه سيتمتع به في الدنيا قليلا ثم يحاسب عليه يوم القيامة لأنه لم يؤدّ شكره (قال ومن كفر فأمتّعه قليلا ثم أضطرّه إلى عذاب النار وبئس المصير).

١١- اسأل الله القبول في كل عمل صالح تقوم به، فذلك دأب الأنبياء والصالحين، واعلم أنه لا فائدة من العمل إذا لم يُقبل، ولا يُقبل العمل إلا بأدائه وفق ما أراده الله، بحضور قلب وإخلاص ومتابعة وخضوع وحب وخوف ورجاء، (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون)، فاجعل ديدنك: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم).

١٢- اسأل الله لك ولذريتك الثبات على الإسلام، فإن فتن اليوم تتخطف الناس من حولك، ولولا تثبيت الله لك بفضله ورحمته لزاغ قلبك وانحرفت نفسك (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك).

١٣- العبادات توقيفية، لا تؤخذ إلا عن طريق الوحي: الكتاب والسنة، لا بالرؤى والمنامات، ولا بالعقل والاستحسان، ولا بالكشف والذوق، فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام طلبا من الله أن يريهما مواضع الحج وشرائعه، ولم يتعبدا من تلقاء أنفسهما (وأرِنا مناسكنا).

١٤- داوِم على التوبة والاستغفار في كل وقت وحين، وبعد الفراغ من العبادات خاصة، اعترافا بالتقصير في حق المولى الكريم سبحانه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

١٥- بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأربعة أمور: يتلو علينا القرآن، ويعلمنا الكتاب، ويعلمنا الحكمة، ويزكينا، فاسأل نفسك: ما مدى استفادتك من هذه الأمور الأربعة، تلاوة القرآن، وتعلّمه وفهمه، وتعلّم السنة، والعمل بكل ذلك؟ فإن كنت محسنا فزد إحسانا، وإن كنت مقصّرا فتدارك ذلك (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة البقرة (١٣٠-١٤١) من تفسير السعدي

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} .

أي: ما يرغب {عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} بعد ما عرف من فضله {إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} أي: جهلها وامتهنها، ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال: {وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا} أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صار بها من المصطفين الأخيار. {وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} الذين لهم أعلى الدرجات.

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ} امتثالا لربه {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} إخلاصا وتوحيدا، ومحبة، وإنابة فكان التوحيد لله نعته. ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصى بها بنيه. فأنتم - يا بني يعقوب - قد وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال الانقياد، واتباع خاتم الأنبياء قال: {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ} أي: اختاره وتخيره لكم، رحمة بكم، وإحسانا إليكم، فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه.

ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعالى منكرا عليهم: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} أي: حضورا {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} ؟ فأجابوه بما قرت به عينه فقالوا: {نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا} فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا، {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} فجمعوا بين التوحيد والعمل. ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية.

ثم قال تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} أي: مضت {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ} أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا ينفع أحدا إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعاؤكم، أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟

{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} .

أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال. قل له مجيبا جوابا شافيا: {بَلْ} نتبع {مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، قائما بالتوحيد، تاركا للشرك والتنديد. فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية.

{قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

هذه الآية الكريمة، قد اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به. واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام، بهذه الأصول، وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان، وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان، دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما، كان الإيمان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق، والإسلام، اسما للأعمال الظاهرة وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة، فقوله تعالى: {قُولُوا} أي: بألسنتكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان، بدون اعتقاد القلب، نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل عمل القلب، عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر عليه، إذا كان خيرا ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد، والمقترن به عمل القلب.

وفي قوله: {قُولُوا} إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه.

وفي قوله: {آمَنَّا} ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوبا إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام بحبل الله جميعا، والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحدا، وعملهم متحدا، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد.

وفي قوله: {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ} إلخ دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: "أنا مؤمن" ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان. فقوله: {آمَنَّا بِاللهِ} أي: بأنه موجود، واحد أحد، متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه.

{وَمَا أُنزلَ إِلَيْنَا} يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: {وَأَنزلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من صفات الباري، وصفات رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلة، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك.

{وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ} إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا، ما نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار. فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلا.

وقوله: {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين.

فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم - وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب - فإنهم يكفرون بغيره، فيفرقون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا، أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كذبوا محمدا، فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم.

وفي قوله: {وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ} دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء. وفي قوله: {مِنْ رَبِّهِمْ} إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملا.

وإذا كان ما أوتي النبيون، إنما هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا إلى لخير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم، يصدق الآخر، ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}. وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بد أن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه.

فلما بيَّن تعالى جميع ما يؤمن به، عموما وخصوصا، وكان القول لا يغني عن العمل قال: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، وهو {لَهُ} على العامل وهو {مُسْلِمُونَ}.

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة - على إيجازها واختصارها - على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلى

التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} .

أي: فإن آمن أهل الكتاب {بمثل ما آمنتم به} - يا معشر المؤمنين - من جميع الرسل، وجميع الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله {فَقَدِ اهْتَدَوْا} للصراط المستقيم، الموصل لجنات النعيم، أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم: "كونوا هودا أو نصارى تهتدوا "فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه، و "الهدى "هو العلم بالحق، والعمل به، وضده الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاقة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها، بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول، فلهذا وعد الله رسوله، أن يكفيه إياهم، لأنه السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، كفاك الله شرهم.

وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد. ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر.

{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} .

أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية، لحث الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور، فلهذا قال - على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية-: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً} أي: لا أحسن صبغة من صبغته.

وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب، فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه، ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده. فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن "العبادة "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال، فتقديم المعمول، يؤذن بالحصر. وقال: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما.

{قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} .

المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما، يجتهد في إقامة الحجة على ذلك، والمطلوب منها، أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق، ويقيم الحجة على المعاند، ويوضح الحق، ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت مماراة، ومخاصمة لا خير فيها،

وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب، يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحدا، ليس ربا لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك. فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة. وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى بالله من

غيرهم؛ لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول، ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية، إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين.

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} .

وهذه دعوى أخرى منهم، ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين.

فرد الله عليهم بقوله: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ} فالله يقول: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وهم يقولون: بل كان يهوديا أو نصرانيا.

فإما أن يكونوا، هم الصادقين العالمين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه - من وضوحه - لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك.

وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء، لم يكونوا هودا ولا نصارى، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم. ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ} فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال: {وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} بل قد أحصى أعمالهم، وعدها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار، مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها.

فيفيد ذلك الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ويفيد أيضا ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام، أن الأمر الديني والجزائي، أثر من آثارها، وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له.

ثم قال تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

تقدم تفسيرها، وكررها، لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معاني كلمات سورة البقرة (١٣٠-١٤١)

الكلمة	المعنى
يَرغَبُ عن	يُعرِض ويَنصرف عنه
سفِه نفسَه	امتهنها واستخفّ بها
اصطفيناه	اخترناه ووفقناه
شهداء	حضورًا
حضر يعقوبَ الموتُ	ظَهرت عليه مُقدماته وأسبابه
خَلَت	مَضَت
حنيفًا	مائلا عن الباطل مقبلا على الحق
والأسباط	والأنبياء من ذرية يعقوب عليه السلام
في شِقاق	في ضلال وخلاف شديد
صِبغَةَ الله	الزموا دين الله وفطرته

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الوقف والابتداء في سورة البقرة ١٣٠-١٤١

حمدا لك اللهمّ، وصلاةً وسلامًا على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة البقرة من الآية الثلاثين بعد المائة وحتى الآية الحادية والأربعين بعد المائة.

أبدأ بالآية الأولى: قول الله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم يصح الوقف، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الاستفهام انتهى (من يرغب عن ملة إبراهيم) انتهى عند قوله (إلا من سفه نفسه)، ثم بدأ جملةً خبريةً بالإخبار عن إبراهيم أنه اصطفاه في الدنيا، وأنه في الآخرة من الصالحين (ولقد اصطفيناه في الدنيا)، والواو هنا واوٌ استئنافيةٌ، و(قد) يبدأ بها عادةً، (ولقد اصطفيناه) واللام فيها لام جواب قسمٍ محذوفٍ.

و هل يصح الوقف على قوله: (ولقد اصطفيناه في الدنيا)؟

نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وهو وقفٌ عند الهبطي، ووضعت عليه علامة الوصل أولى في مصحف المدينة والوقف عليه صحيح، والواو في قوله (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) تحتمل أن تكون حالية وأن تكون عاطفة (ولقد اصطفيناه) (وإنه) فتحتمل أنها: والحال أنه في الآخرة لمن الصالحين، وتحتمل أنها مجرد واو عاطفة، لكن هنا جملتين مختلفتين، الأولى تخبر عن حاله في الدنيا، والثانية عن حاله في الآخرة، فصح الوقف.

الآية التي تليها: (إذ قال له ربه أسلم) هل يصح الوقف هنا؟

نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وهو وقفٌ في مصحف المدينة وضعت عليه علامة الوصل أولى، ووقفٌ عند الهبطي أيضًا، ووجهه أن الأمر الذي وجّهه إليه الله سبحانه وتعالى انتهى (إذ قال له ربه أسلم) ثم جاءت استجابته عليه السلام لهذا الأمر فقال (أسلمت لرب العالمين). وهنا لا نقول أن هذا من باب الشرط وجواب الشرط، لو كان جوابًا للشرط لجاءت فيه الفاء: فقال أسلمت لرب العالمين، لكن ليس هذا من هذا الباب، وإن كان السجاوندي نص على المنع من الوقف هنا، لكن الذي عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء مثل الهبطي والأنصاري والأشموني، وهو مرويٌ عن الإمام نافع أيضًا هو الأولى، والله أعلم.

الآية التي تليها: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب)

اختلف العلماء في الوقف هنا، فمنهم من جعل الوقف على قوله: (ووصى بها إبراهيم بنيه) ومنهم من جعله على قوله: (وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) ومنهم من لم يجعل هنا وقفًا أصلاً.

وجه القول الأول الذي جعل الوقف على (بنيه) قال: إن الوصية من إبراهيم لبنيه، وانتهت الجملة، يعني أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بالإسلام أي: أسلموا، ثم ابتدأ جملةً جديدةً: ويعقوب قال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) فيعقوب هنا مرفوعٌ بالابتداء، وهذا الذي ذهب إليه الأخفش والهبطي.

ومنهم من جعل الوقف على قوله (ويعقوب)، ووجهه قالوا: وصى إبراهيم بنيه ويعقوب أيضًا وصى بنيه بذلك أي: بالإسلام، ثم ابتدأ فذكر قولهما لذريتهما أو لبنيهما (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) على تقدير: قالا يا بني إن الله اصطفى لكم الدين.

والقول الثالث أنه لا وقف، قالوا معنى الجملة: وصى إبراهيم بنيه ويعقوب بقولهما يا بني إن الله اصطفى لكم الدين، وهذا هو الأقرب، والوقف على (ويعقوب) نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء كأبي حاتم السجستاني وابن الأنباري والداني والأنصاري والأشموني فله وجهٌ، والله أعلم، وإن كان الوصل أولى.

وبناءً على القول بعدم الوقف في هذه الآية إذا احتاج أن يقف وقفًا حسنًا فأين يقف؟ يعني إذا اضطر أين يقف في موضعٍ قبل أن يصل لنهاية الآية فأين يقف؟

يقف على (اصطفى لكم الدين) (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) ثم يرجع فيقول (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

من الأخطاء الموجودة عند بعض القراء أن يقف (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن) وهذا وقفٌ قبيحٌ، هل ينهى عن الموت؟ بل ينهى عن الموت على غير الإسلام، فلا يصح الوقف على: (فلا تموتن) وإن أراد أن يربطه بما قبله.

الآية التي تليها: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن (إذ) الثانية التي في قوله (إذ قال لبنيه) بدلٌ من (إذ) الأولى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه) يعني هل كنتم حضورًا حين حضر يعقوب مقدمات الموت فقال

لبنيه ما تعبدون من بعدي، فلا يصح الوقف على (الموت)، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد الإنكار على اليهود في زعمهم أو الاحتجاج عليهم بإثبات موت يعقوب عليه السلام، إنما أراد أن يثبت لهم أن يعقوب عليه السلام وصى أولاده بالإسلام قال: (ما تعبدون من بعدي) ولم يوصِ إليهم باليهودية أو غيرها، فلم يصحّ الوقف على قوله (الموت).

وهل يصح الوقف على قوله: (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي)؟

الجواب: نعم يصح الوقف، ونص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن قول يعقوب عليه السلام انتهى، وبدأ جواب بنيه (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك) إلى آخر قولهم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك)؟

الجواب: لا يصح الوقف، لأن قوله (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) بدلٌ من (آبائك) يعني آبائك الذين هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق.

وهل يصح الوقف على قوله (إلهًا واحدًا) قبل قوله (ونحن له مسلمون)؟

جوزه السجاوندي والأنصاري والأشموني، ولم ينص عليه البقية، ووجه تجويزه أنهم اعتبروا الجملة مختلفة، وإن كانت الواو فيها واوا حالية، وبعضهم جعل الواو واوًا مستأنفةً، يعني أنهم أخبروا وأجابوا عن سؤال يعقوب لما قال (ما تعبدون من بعدي) فقالوا (نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا) ثم أتموا جملةً أخرى (ونحن له مسلمون) يعني مستسلمون له في كل أحوالنا، فهل هو من تتمة الجواب وحكايةٌ للحال؟ هذا ما ذهب إليه الأكثر فمنعوا من الوقف، أو أنها جملةٌ إخباريةٌ مستقلةٌ لا علاقة لها بالجواب عن سؤال يعقوب عليه السلام، فجوّز من جوّز الوقف هنا، وهو محتمل، والله أعلم.

لكن إذا قلنا بعدم الوقف أين يقف إذا أراد أن يقف وقفًا حسنًا؟

(قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا) هذا الوقف الحسن ثم يرجع من أين؟ يرجع من قوله: (إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون).

وهنا خطأٌ قبيحٌ جدًا يقع فيه البعض لمراعاة الوقف الحسن، فيقول مثلا (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل) أو يقف على (إبراهيم) ثم يقول (وإسحاق إلهًا واحدًا) هذا قبيحٌ جدًا (إسحاق

إلهًا)! لا بد أن ترجع من قوله: (وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا) إذا لم تستطع أن تصل إلى (إلهًا واحدًا) لا بد أن ترجع من (وإله آبائك) أما (وإسحاق إلهًا واحدًا) أو حتى (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا) هذا كله قبيحٌ لأنه يوهم معنًى فاسدًا، والله أعلم.

الآية التي تليها: (تلك أمةٌ قد خلت) هل يصح الوقف هنا؟

نعم يصح، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة (لها ما كسبت) جملةٌ مستأنفةٌ، أخبر الله أن تلك أمةٌ قد خلت، يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم قد مضوا، لهم ما كسبوا ولنا ما نكسب (ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)، فقوله: (لها ما كسبت) جملةٌ مستأنفةٌ.

وهل يصح الوقف على (لها ما كسبت) قبل (ولكم ما كسبتم)؟

نص جماعةٌ من علماء الوقف على الوقف هنا، ولم ينص البقية عليه، وممن نص عليه الهبطي والداني وأبو حاتم السجستاني وابن الأنباري وغيرهم، والواو في قوله (ولكم ما كسبتم) واوٌ عاطفةٌ لكن هل العطف هنا وثيق الصلة أو لا؟

الجواب: نعم وثيق الصلة، لهم ما كسبوا ولكم ما كسبتم، فهي جملتان متقابلتان العطف وثيق الصلة والوصل أولى ولا شك.

وهل يصح الوقف على (ولكم ما كسبتم) قبل (ولا تسئلون عما كانوا يعلمون)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، واعتبر البعض أن الواو هنا واو استئنافية، وبعضهم قالوا بل هي واوٌ عاطفةٌ لكن الجملتين مختلفتان، يعني ولو قلنا أن الواو عاطفة (ولا تسئلون) فجملة (ولكم ما كسبتم) وجملة (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) بينهما اختلافٌ، ولا ارتباط بينهما مثل الارتباط الموجود بين قوله: (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) فصح الوقف، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة الوقف والابتداء، ووجهه أن قولهم انتهى وبدأ الجواب على قولهم: (قل بل ملة إبراهيم حنيفًا).

وهل يصح الوقف على (حنيفًا)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وجملة (وما كان من المشركين) جملةٌ مستأنفةٌ أي: ولم يك إبراهيم من المشركين كما هو حال اليهود والنصارى، فصح الوقف، وإن كان بعض العلماء جعله من تتمة القول، أي: (قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين)، وبناءً على هذا لا يصح الوقف، والأمر فيه محتملٌ، والله أعلم.

الآية التي تليها: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) أين الوقف؟

لا وقف في هذه الآية إلى قوله (وما أوتي النبيون من ربهم) هنا جوّز الوقف السجاوندي والأشموني وعلله السجاوندي بقوله لطول الكلام، وجعل: (لا نفرق بين أحدٍ منهم) مستأنفًا، والأظهر أنّ (لا نفرّق) جملةٌ حاليةٌ أي: آمنا بهؤلاء الأنبياء وما أنزل إليهم غير مفرقين، فبناءً عليه لا وقف هنا أيضًا.

(لا نفرق بين أحدٍ منهم) هل يصح الوقف هنا؟

نص أيضًا السجاوندي والأشموني على جوازه، وجملة: (ونحن له مسلمون) تحتمل أن تكون الواو هنا واوًا استئنافيةٌ وتحتمل أن تكون حاليةً وتحتمل أن تكون عاطفةً، وبناءً على كونها حاليةً لا وقف، وبناءً على كونها عاطفةً أو استئنافيةً يصح الوقف لأنها جملةٌ مختلفةٌ عما قبلها، والوقف هنا محتملٌ، والله أعلم.

الآية التي تليها: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة الشرطية انتهت، وبدأت بعدها جملةٌ شرطيةٌ أخرى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) ما النتيجة ما الجواب؟ (فقد اهتدوا) ثم بدأ (وإن تولوا) وإن كانت الواو هنا واوًا عاطفةً، لكنها جملةٌ شرطيةٌ جديدةٌ فصح الوقف قبلها.

(وإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة (فسيكفيكهم الله) فيها الفاء التي هي رابطةٌ لجواب الشرط، أين الشرط؟ هنا شرطٌ مقدرٌ أي: إن أرادوا ذلك أو إن فعلوا ذلك فسيكفيكهم الله، فهي جملةٌ شرطيةٌ مستقلةٌ، وهي جملةٌ أيضًا للتهديد والوعيد، والجملة التي قبلها وصفٌ لحالهم يعني قال (وإن تولوا فإنما هم في شقاق) (هم في شقاق) وصف حالهم أنهم في شقاقٍ وعنادٍ، ثم بيّن وهدّد وتوعّد فقال: (فسيكفيكهم الله) فصح الوقف قبلها.

وهل يصح الوقف على قوله (فسيكفيكهم الله)؟

صحح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، والواو في قوله (وهو السميع العليم) تحتمل أن تكون استئنافية أو حالية، وكونها حالية أقرب أي: فسيكفيكهم الله والحال أنه سبحانه السميع العليم، فهو يعلم حالهم ويطلع عليه ويستطيع أن يكفيَ نبيه عليه الصلاة والسلام، فالوصل هنا أولى، وهو أظهر في بيان ظهور مقتضى أسماء الله سبحانه وتعالى في أفعاله بعباده، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (صبغة الله) هل يصح الوقف هنا؟

نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة (ومن أحسن من الله صبغةً) جملة استفهامية وهي جملة معترضة، يعني أنه قال: الزموا صبغة الله، ثم وصف هذه الصبغة فقال: (ومن أحسن من الله صبغة) ثم عاد فقال: (ونحن له عابدون) فصح الوقف لأن الجملة جملة معترضة وإن كانت الواو فيها واو حالية إلا أنه يصح الابتداء بالاستفهام غالبا كما سبق.

(ومن أحسن من الله صبغة) هل يصح الوقف هنا ؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، بل نص بعضهم على أنه أفضل من الوقف على (صبغة الله) ووجهه أن جملة (ونحن له عابدون) جملةٌ تحتمل أن تكون استئنافية وتحتمل أن تكون حالية وتحتمل أن تكون معطوفة، فبناء على كونها استئنافية أو معطوفة يصح الوقف لأن العطف غير وثيق الصلة، وبناءً على كونها حالية لا يصح الوقف، والأمر في هذا محتمل، والله أعلم.

الآية التي تليها: (قل أتحاجوننا في الله) هل يصح الوقف هنا ؟

الجواب: لا يصح لأن (وهو ربنا) جملة حالية، والحال أنه ربنا وربكم.

وهل يصح الوقف على (وربكم)؟

جوزه جماعةٌ كالسجاوندي والأنصاري والأشموني، واعتبروا جملة (ولنا أعمالنا) جملة خبرية مستأنفة مبتدأة، يعني أن الاحتجاج بينهم كان في الله سبحانه وتعالى فقال: (أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم) وانتهت الجملة، ثم أخبر فذكر النتيجة التي ستكون يوم القيامة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) فصح الوقف بناءً على هذا، ومن اعتبر جملة (ولنا أعمالنا) معطوفة على قوله (وهو ربنا وربكم) لم يصحح الوقف، والأمر في هذا واسع، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ولكم أعمالكم) قبل (ونحن له مخلصون)؟

مرت شبيهاتها قبل قليل (ونحن له عابدون) (ونحن له مسلمون) وكلها مما يحتمل الواو أن تكون عاطفة أو حالية أو استئنافية، ومن جعلها استئنافية أو عاطفة صحح الوقف قبلها، ومن جعلها حالية منع الوقف، والأمر فيها واسع ومحتمل، والله أعلم.

الآية التي تليها: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى) هنا الوقف الذي نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وانتهى قولهم الذي أنكره عليهم ثم أجابهم فقال (قل أأنتم أعلم أم الله).

وهل يصح الوقف على (أم الله)؟

الجواب: نعم، ونص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن الجواب انتهى وبدأ التهديد والوعيد فقال (ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله) والجملة استفهامية، ويصح الابتداء بالاستفهام غالبًا، والواو فيها أيضًا واوٌ استئنافيةٌ.

وهل يصح الوقف على قوله (ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن الواو التي بعدها واو استئنافية وهي جملة نفيٍ (وما الله بغافل عما تعملون)، ويصح الابتداء بالنفي غالبًا، والله أعلم.

الآية الأخيرة: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) مرت شبيهتها قبل قليل.

هذا آخر ما في المقطع، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف سورة البقرة ١٣٠-١٤١

الفرق بين (رغب في كذا) و (رغب عن كذا):

قال ابن عثيمين: {يرغب عن ملة إبراهيم}: يقال: رغب في كذا؛ ورغب عنه؛ والفرق أن «رغب فيه» يعني طلبه؛ و «رغب عنه» يعني تركه، واجتنبه؛ هنا: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم} يعني تركها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٦٩).

(وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق):

قال ابن عثيمين: {وإله آبائك} جمع أب؛ ثم بينوا الآباء بقولهم: {إبراهيم وإسماعيل وإسحاق} ؛ {إبراهيم} بالنسبة إلى يعقوب جدّ؛ و {إسماعيل} بالنسبة إليه عم؛ و {إسحاق} بالنسبة إليه أب مباشر؛ أما إطلاق الأبوة على إبراهيم، وعلى إسحاق فالأمر فيه ظاهر؛ لأن إسحاق أبوه، وإبراهيم جده؛ والجد أب؛ بل قال الله عزّ وجلّ لهذه الأمة: {ملة أبيكم إبراهيم}؛ وهي بينها وبين إبراهيم عالَم؛ لكن الإشكال في عدِّهم إسماعيل من آبائه مع أنه عمهم؛ فيقال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»؛ و «الصنو» الغصنان أصلهما واحد؛ فذُكر مع الآباء؛ لأن العم صنو الأب؛ وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الخالة بمنزلة الأم»؛ كذلك نقول: العم بمنزلة الأب؛ وقيل: إن هذا من باب التغليب، وأن الأب لا يطلق حقيقة على العم إلا مقروناً بالأب الحقيقي؛ وعلى هذا فلا يكون فيها إشكال إطلاقاً. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧٧-٧٨).

معاني (الأمّة) في القرآن:

قال ابن عثيمين: و «الأمة» هنا (تلك أمة قد خلت) بمعنى طائفة؛ وتطلق في القرآن على عدة معانٍ؛ المعنى الأول: الطائفة، كما هنا؛ المعنى الثاني: الحقبة من الزمن، مثل قوله تعالى: {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة} يعني: بعد حقبة من الزمن؛ والمعنى الثالث: الإمام، مثل قوله تعالى: {إن إبراهيم كان أمة}؛ والمعنى الرابع: الطريق، والملة، مثل قوله تعالى: {إنا وجدنا آباءنا على أمة}. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨١).

سبب نزول: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا):

عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه! فاتبعنا يا محمد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل فيهم: "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين". تفسير الطبري (٣/ ١٠٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤١).

وجه إضافة الحنيفية إلى إبراهيم عليه السلام:

قال ابن جرير: فإن قال قائل: أوَ ما كان مَنْ كان من قبل إبراهيم صلى الله عليه وسلم، من الأنبياء وأتباعهم، مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامةَ إبراهيم وأتباعه؟ قيل: بَلى.

فإن قال: فكيف أضيف "الحنيفية" إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟

قيل: إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متّبعًا طاعة الله، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إمامًا فيما بيّنه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبُّدًا به أبدًا إلى قيام الساعة. وجعل ما سنّ من ذلك عَلَمًا مميّزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيعِ منهم له والعاصي. فسمِّي الحنيفُ من الناس "حنيفًا" باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسُمِّي الضالُّ من ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: "يهودي، ونصرانيّ، ومجوسيّ"، وغير ذلك من صنوف الملل. تفسير الطبري (٣/ ١٠٢-١٠٣).

(قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا...):

قال ابن تيمية: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الإخلاص تارة [الترمذي]، وتارة قوله تعالى {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم} الآيات. وفي الثانية {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} [ابن خزيمة والحاكم]. وهذا باب واسع؛ لأن الناس

مضطرون إلى هذين الأصلين فلا ينجون من العذاب ولا يسعدون إلا بهما. فعليهم أن يؤمنوا بالأنبياء وما جاءوا به وأصل ما جاءوا به أن لا يعبدوا إلا الله وحده. مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٧٩).

(قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا...):

قال ابن عاشور: وقدم الإيمان بالله لأنه لا يختلف باختلاف الشرائع الحق، ثم عطف عليه الإيمان بما أنزل من الشرائع. التحرير والتنوير (١/ ٧٣٩).

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) وفي آل عمران: (وما أُنزل علينا):

قال ابن جماعة: قوله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا. وفى آل عمران: قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا.

جوابه: لما صدر آية البقرة بقوله: (قُولُوا) وهو خطاب المسلمين ردا على قول أهل الكتاب: (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) قال: (إلينا) . ولما صدر آية آل عمران بقوله: قل قال: (علينا) . والفرق بينهما: أن (إلى) ينتهى بها من كل جهة، و (على) لا ينتهى بها إلا من جهة واحدة وهي: العلو.

والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي صلى الله عليه وسلم من جهة العلو خاصة، فحسن وناسب قوله: (علينا) لقوله: (قل) مع فضل تنويع الخطاب. وكذلك أكثر ما جاء في جهة النبي صلى الله عليه وسلم ب (على)، وأكثر ما جاء في جهة الأمة ب (إلى) . كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص: ١٠٧).

(وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل...)، (وما أوتي موسى وعيسى):

قال ابن عثيمين: قد يسأل سائل: لِمَ عبر الله تعالى بقوله: {وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل}، وفي موسى وعيسى قال تعالى: {وما أوتي موسى وعيسى}؛ فهل هناك حكمة في اختلاف التعبير؟

فالجواب: أن نقول بحسب ما يظهر لنا ــ والعلم عند الله: إن هناك حكمة لفظية، وحكمة معنوية.

الحكمة اللفظية: لئلا تتكرر المعاني بلفظ واحد؛ لو قال: «ما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وما أنزل إلى موسى ... وما أنزل إلى النبيين» تكررت أربع مرات؛ ومعلوم أن من أساليب البلاغة الاختصار في تكرار الألفاظ بقدر الإمكان.

أما الحكمة المعنوية: فلأن موسى وعيسى دينهما باقٍ إلى زمن الوحي، وكان أتباعهما يفتخرون بما أوتوا من الآيات؛ فالنصارى يقولون: عيسى ابن مريم يُحيي الموتى، ويفعل كذا، ويفعل كذا؛ وهؤلاء يقولون: إن موسى فلق الله له البحر، وأنجاه، وأغرق عدوه، وما أشبه ذلك؛ فبين الله سبحانه وتعالى في هذا أن هذه الأمة تؤمن بما أوتوا من وحي وآيات. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨٧-٨٨).

المراد بالأسباط:

قال ابن تيمية: وفسّر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولادُه لصلبه بل ذُرِّيّتُه، كما يقال فيهم أيضا "بنو إسرائيل"، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل.... فسُمُّوا الأسباطَ لكثرتهم، فكما أن الأغصان من شجرة واحدة، كذلك الأسباط كانوا من يعقوب. ومثل السبط الحافد، وكان الحسن والحسين سِبْطَي رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأسباط حفدة يعقوب ذَرارِي أبنائه الاثنَي عشر. وقال تعالى: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا)، فهذا صريحٌ في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كلُّ سِبْطٍ أمةٌ، لا أنهم بَنُوه الاثنا عشر. بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطًا، فالحال أن السِّبْطَ هم الجماعة من الناس.

ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب، لم يُرِد أنهم أولادُه لصلبه، بل أرادَ ذريتَه، كما يقال: بنو إسرائيل وبنو آدم. فتخصيصُ الآية ببنيه لصلبه غلط، لا يدلُّ عليه اللفظُ ولا المعنى، ومن ادّعاه فقد أخطأ خطأً بيِّنًا.

والصواب أيضًا أن كونهم أسباطًا إنما سُمُّوا به من عهد موسى للآية المتقدمة، ومن حينئذٍ كانت فيهم النبوة، فإنه لا يُعرَف أنه كان فيهم نبيّ قبلَ موسى إلا يوسف. ومما يؤيِّد هذا أنّ الله تعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) الآيات، فذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو كان إخوةُ يوسف نُبِّئوا كما نبئَ يوسف لذُكِروا معه. جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٩٧).

(وما أوتي النبيون) وفي آل عمران: (والنبيون):

قال ابن جماعة: "قوله تعالى. (وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ)، وفي آل عمران: (والنَّبِيُّونَ) .

جوابه: أن آل عمران تقدم فيها: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيا، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح فيه بإيتائهم ذلك. كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص: ١٠٨).

(صبغة الله):

قال ابن تيمية: صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)، صَبَغَ القلوبَ والأشياءَ بهذا الإيمان حتى أنارت به القلوب، وأشرقت به الوجوه، وظهر الفرقان بين وجوه أهل السنة وأهل البدعة، كما قال في المؤمنين: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ)، وفي الكفار: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ)، وفي المنافقين: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ). جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٣٣).

(فسيكفيكهم الله):

قال ابن عثيمين: {فسيكفيكهم الله} ؛ هذه الجملة فيها فعل، وفاعل، ومفعولان؛ الفاعل: لفظ الجلالة؛ والفعل: {يكفي} ؛ والمفعول الأول: الكاف؛ والمفعول الثاني: الهاء؛ والسين هنا يقول العلماء: إنها للتنفيس، وتفيد شيئين هما تحقق الوقوع، وقرب الوقوع؛ بخلاف «سوف» فإنها تفيد التحقق؛ ولكن مع مهلة. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٩٣).

(فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم):

قال ابن عثيمين: قد يقول قائل: يبدو لنا أن المناسب أن يقول: «وهو القوي العزيز» لأنه قال: {فسيكفيكهم الله} فما هو الجواب عن ختمها بالسمع، والعلم؟ فالظاهر لي - والله أعلم - أنه لما كان تدبير الكيد للرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء قد يكون بالأقوال، وقد يكون بالأفعال؛ والتدبير أمر خفي ليس هو حرباً يعلن حتى نقول: ينبغي أن يقابل بقوة، وعزة؛ قال تعالى: {وهو السميع العليم} أي حتى الأمور التي لا يُدرى عنها، ولا يبرزونها، ولا يظهرون الحرابة للرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله سميع عليم بها. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٩٣-٩٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فوائد سورة البقرة ١٣٠-١٤١

(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه):

قال ابن القيم: أوصى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم، وكان يعلم أصحابه، إذا أصبحوا أن يقولوا: " أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما، وما كان من المشركين"... فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} .

فقسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيها لا أسفه منه، ورشيدا، فالسفيه: من رغب عن ملته إلى الشرك، والرشيد: من تبرأ من الشرك قولا وعملا وحالا، فكان قوله توحيدا، وعمله توحيدا، وحاله توحيدا، ودعوته إلى التوحيد. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٤٦).

وقال ابن عثيمين: المخالفين للرسل سفهاء؛ لقوله تعالى: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، وقوله في المنافقين: {ألا إنهم هم السفهاء}، وقوله تعالى: {سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها}؛ فإنهم ــ وإن كانوا أذكياء، وعندهم علم بالصناعة، والسياسة ــ هم في الحقيقة سفهاء؛ لأن العاقل هو الذي يتبع ما جاءت به الرسل فقط. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧١-٧٢).

(وإنه في الآخرة لمن الصالحين):

قال ابن عثيمين: الصلاح وصف للأنبياء، ومن دونهم؛ فيوصف النبي بأنه صالح، ويوصف متبع الرسول بأنه صالح؛ ولهذا كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحيّون الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقولهم: «مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح» [متفق عليه]؛ فوصفوه بالصلاح. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧١-٧٢).

(فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون):

قال ابن عثيمين: ينبغي للإنسان أن يتعاهد نفسه دائماً حتى لا يأتيه الموت وهو غافل؛ لقوله تعالى: {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} . ومنها: أن الأعمال بالخواتيم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧٦).

(وإله آبائك...):

قال ابن عثيمين: النفوس مجبولة على اتباع الآباء؛ لكن إن كان على حق فهو حق؛ وإن كان على باطل فهو باطل؛ لقولهم: {وإله آبائك} ؛ ولهذا الذين حضروا وفاة أبي طالب قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧٩).

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم):

قال ابن عثيمين: {تلك أمة قد خلت} : المشار إليه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومن سبق؛ وكان اليهود يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في هؤلاء؛ فبين الله تعالى أن هذه أمة قد مضت {لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} فلا تنالون مما كسبوا شيئاً؛ ولا ينالون مما كسبتم شيئاً...

والاعتماد على أعمال الآباء لا يجدي شيئاً؛ لقوله تعالى: {تلك أمة قد خلت ... } الآية؛ يعني هم مضوا، وأسلموا لله؛ وأنتم أيها اليهود الموجودون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم أن تنظروا ماذا كسبتم لأنفسكم. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨٠-٨١).

عن إبراهيم بن آزر الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم؟ فأقبل عليه، وقال: اقرأ {تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ} . طبقات الحنابلة (١/ ٩٧).

قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين. قال: «تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها». حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٤)

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما. البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).

(ولا تُسألون عما كانوا يعملون):

قال ابن عثيمين: الآخِر لا يُسأل عن عمل الأول؛ ولكن الأول قد يُسأل عن عمل الآخر، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} ؛ فقد يكون الأول صاحب بدعة، ويُتَّبَع على بدعته؛ فيكون دالاً على ضلالة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ لكن الآخر لا يسأل عن عمل الأول؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»؛ وفي لفظ: «فتؤذوا الأحياء». تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨٢).

(وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا):

قال ابن عثيمين: أهل الباطل يدْعون إلى ضلالهم، ويدَّعون فيه الخير؛ {كونوا هوداً أو نصارى} هذه دعوة إلى ضلال؛ {تهتدوا} : ادعاء أن ذلك خير؛ وهكذا أيضـًا قد ورث هؤلاء اليهود من ضل من هذه الأمة، كأهل البدع في العقيدة، والقدر، والإيمان ــ الذين ادعوا أنهم على حق، وأن من سلك طريقهم فقد اهتدى؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لتركبن سَنن من كان قبلكم».

ومن فوائد الآية: أن كل داع إلى ضلال ففيه شبه من اليهود، والنصارى؛ دعاة السفور الآن يقولون: اتركوا المرأة تتحرر؛ اتركوها تبتهج في الحياة؛ لا تقيدوها بالغطاءِ، وتركِ التبرج، ونحو ذلك؛ أعطوها الحرية؛ وهكذا كل داع إلى ضلالة سوف يطلي هذه الضلالة بما يغر البليد فهو شبيه باليهود، والنصارى. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨٤).

(قل بل ملة إبراهيم حنيفا):

قال ابن جرير: احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، قل - للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: "كونوا هودا أو نصارى تهتدوا" -: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به -فإن دينه كان الحنيفية المسلمة- وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك -على اختلافه- لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم. تفسير الطبري (٣/ ١٠٢-١٠٣).

وقال ابن تيمية: قال تعالى {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه} إلى قوله {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} . وإذا كان كذلك فاليهود والنصارى ليسوا على ملة إبراهيم وإذا لم يكونوا على ملته لم يكونوا يعبدون إله إبراهيم. فإن من عبد إله إبراهيم كان على ملته قال تعالى {وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين} إلى قوله {وهو السميع العليم} فقوله: {قل بل ملة إبراهيم} يبين أن ما عليه اليهود والنصارى ينافي ملة إبراهيم. وهذا بعد مبعث محمد مما لا ريب فيه فإنه هو الذي بعث بملة إبراهيم. والطائفتان كانتا خارجتين عنها بما وقع منهم من التبديل. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦٩).

وقال ابن تيمية: والقرآنُ كلُّه يدلُّ على أن الحنيفيَّةَ هي ملةُ إبراهيم، وأنها عبادةُ الله وحدَه والبراءةُ من الشرك. وعبادتُه سبحانَه إنما تكون بما أَمَرَ به وشرعَه، وذلك يدخل في الحنيفية. ولا يدخلُ فيها ما ابتُدِعَ من العبادات، كما ابتدَعَ اليهودُ والنصارى عباداتٍ لم يأمر بها الأنبياءُ، فإنّ موسى وعيسى وغيرَهما من أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعَهم كانوا حُنَفاءَ بخلافِ من بَدَّلَ دينهم فإنه خارج عن الحنيفية. وقد أمر الله أهلَ الكتاب وغيرَهم أن يعبدوه مخلصين له الدين حنفاء، فبدَّلوا وتصرَّفوا من بعد ما جاءتهم البينة. وكلامُ السلفِ وأهل اللغة يدلُّ على هذا وإن تنوعتْ عباراتهم. جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٨٠-١٨١).

وقال ابن عثيمين: اليهودية والنصرانية نوع من الشرك؛ لأن قوله تعالى: {وما كان من المشركين} في مقابل دعوتهم إلى اليهودية والنصرانية يدل على أنهما نوع من الشرك؛ كل من كفر بالله ففيه نوع من الشرك؛ لكن إن اتخذ إلهـاً فهو شرك حقيقة، وواقعـاً؛ وإلا فإنه شرك باعتبار اتباع الهوى. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٨٦).

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...):

قال ابن تيمية: وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود، والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم}. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٤٢).

(وما أوتي النبيون من ربهم):

قال ابن عثيمين: الرسل ليسوا مستقلين بهذه الآيات؛ فلا يملكون أن يأتوا بهذه الآيات، أو بهذا الوحي؛ فهم يتلقون من الله؛ حتى الرسول صلى الله عليه وسلم إذا طُلب منه الآيات لا يستطيع أن يأتي بها؛ ولهذا لما اقترح المكذبون عدة آيات قال تعالى: {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولًا}، وقال تعالى: {وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين}، أي فلا أملك أن آتي بالآيات. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٩٠).

(فسيكفيكهم الله):

قال ابن جُزي: (فسيكفيكهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بني قريظة وأجلى بني النضير وغير ذلك. التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٩).

(صبغة الله):

قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره ب"الصبغة: صبغةَ الإسلام. وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية. فقال الله تعالى ذكره -إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به: "كونوا هودًا أو نَصَارَى تَهتدوا"-: قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيمَ، صبغة الله التي هي أحسن الصِّبَغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشركَ بالله، والضلالَ عن محجَّة هُداه. تفسير الطبري (٣/ ١١٧).

وقال ابن تيمية: {أولئك على هدى من ربهم} واستعمل في هذا حرف الاستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالما موقنا بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال: {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة} . مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٣).

وقال ابن القيم: صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له وصبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط والمضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء فظهرت فطرة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم. تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٨٧).

(ومن أحسن من الله صبغة):

قال ابن عثيمين: العقل يقضي بالتزام الدين؛ لقوله تعالى: {ومن أحسن من الله صبغة}؛ فإن العقل يهدي إلى التزام الأحسن؛ كل إنسان له عقل سليم فإن عقله يأمره بالتزام الأحسن. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٩٨).

(قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم...):

قال ابن تيمية: {قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون} فإنا مشتركون في أنه ربنا كلنا وأن عمل كل عامل له لا لغيره، وامتزنا نحن بأنا مخلصون له، وأنتم لستم مخلصين له، فأوجب هذا أن الحق معنا دونكم، وأن أعمالنا صالحة مقبولة، وأعمالكم مردودة.

ويشبه ذلك قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} فأمره لهم أن يقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يتضمن إقامة الحجة عليهم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٨٢-٨٣).

(قل أأنتم أعلم أم الله):

قال ابن عثيمين: الرد على أهل التحريف في أسماء الله، وصفاته الذين يقولون: «إن هذا جائز عقلاً على الله؛ فنقر به؛ وهذا يمتنع عقلاً على الله؛ فلا نقر به» كالمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم؛ نقول لهم كلهم في الجواب: {أأنتم أعلم أم الله} : أأنتم أعلم بما يجوز على الله، ويمتنع عليه، ويجب له، أم الله أعلم بما يمتنع عليه، ويجب له، ويجوز له؟!!! وهذه في الحقيقة حجة ملزمة مفحمة مقحمة لهؤلاء الذين يتحكمون في صفات الله تعالى بعقولهم، فيقولون: «يجب لله كذا؛ يمتنع عليه كذا» ؛ نقول: {أأنتم أعلم أم الله} . تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٠٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة البقرة ١٣٠-١٤١

١- العقل كل العقل في اتّباع نهج الأنبياء، والسير على طريقتهم التي اصطفاها الله لهم، فتمسّك بذلك وعُضّ عليه بالنواجذ، وإياك والسفهاء الذين يزهّدون في طريقة الأنبياء وسنتهم وهديهم (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه).

٢- كُن مبادرا للامتثال لأوامر ربك فور علمك بها، مقتديا بإبراهيم عليه السلام حين قال الله له (أسلم قال أسلمت لرب العالمين).

٣- أعظم وصية يوصِي بها الشخص أبناءه وأهله وذريته: الثبات على الدين حتى الموت، والتمسك بالتوحيد، فاجعلها وصيتك الدائمة لمن حولك، وداوِم على مدارسة التوحيد وتعلّمه وتعليمه والتواصي به، حتى لا يتطرق الخلل إليه: (يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)، (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك).

٤- الأعمال بالخواتيم، ولا تدري متى يُختم لك، وعلى أي حال يُختم لك، فتعاهد نفسك دائما بإيقاظها من رقدتها، وتنبيهها من غفلتها، وتعاهد إيمانك وإخلاصك واتّباعك للسنة، وكن محافظا عليها أشد من محافظتك على مالك ودنياك (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

٥- احفظ لسانك من الطعن في أحد من الصحابة، أو التدخل فيما شجر بينهم، ولو وقع منهم خطأ في موقف أو مسألة، فإنهم حملة الدين، وبهم انتشر الإسلام في الأصقاع، ولهم من بحار الحسنات ما يغمر ما وقع منهم -لو وقع-، بل الواجب محبتهم جميعا والترضي عنهم والاستغفار لهم، ولهم ما كسبوا، فاحفظ حسناتك، واعمل لنفسك ما يُنجيك يوم القيامة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون).

٦- عامة أهل الكفر والبدع والنفاق يدعون إلى معتقداتهم، ويزعمون أن الهدى معهم حتى ولو كانوا يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، وما ذاك إلا لتكثير سوادهم من ناحية، ولزعزعة الإسلام في نفوس ضعفاء الإيمان من ناحية أخرى، فاحذر كل الحذر، وداوِم على سؤال الله الهداية (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا).

٧- أظهر إيمانك، واصدع به، واثبت عليه، وادعُ إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولو خالفك من خالفك (قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط...).

٨- كل ما ظهر على أيدي الرسل من الآيات والمعجزات فإنما هو من ربهم؛ لتأييدهم وإظهار صدقهم، فهم بشر لا يملكون الإتيان بالآيات وخوارق العادات، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا، فالتجئ إلى الله وحده في كل حاجاتك (وما أوتي النبيون من ربهم).

٩- من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: كفاية الله له وحفظه وحمايته حتى بلّغ دين الله أتمّ بلاغ، وانتشرت شريعته في كل الأرجاء، بالرغم من تكالب الأعداء عليه وقوتهم وكثرتهم، (فسيكفيكهم الله) فأظهر الاعتزاز بدينك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

١٠- المؤمن الحق ينصبغ بصبغة الإيمان، فينصبغ قلبه بمعرفة الله ومحبته والإخلاص له وعبادته، ويظهر سيما الإيمان عليه في عمله وأخلاقه، وفي وجهه وهيئته وسمته، فكن متمسكا بهدي الإسلام في الظاهر والباطن حتى يكون صبغة لك (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة).

١١- إنما يظهر إيمانك بربك في إخلاصك لربك في عباداتك، فلا تعبد إلا الله، ولا تقصد بالعبادة غير الله، ولا يكفي في ذلك مجرد الدعوى باللسان التي تكذّبها الحال (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون).

١٢- كل ما أخبر الله به مما كان أو سيكون، في الأرض أو السماء، في الدنيا أو الآخرة فإنه حق، سواءً فهمته أو لم تفهمه، قبِله عقلك أو لم يقبله، فسلّم لأخبار الله ودع عنك تشويش المشوشين وشبهات المشككين: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (أأنتم أعلم أم الله).

١٣- راقِب الله في كل أحوالك، واستحيِ من نظر الله إليك حق الحياء، فهو سبحانه مطّلع عليك، ويحصي عليك كل صغيرة وكبيرة (وهو السميع العليم)، (وما الله بغافل عما تعملون).